

ديسمبر 2020

الرقم الدولي

2394 – 6628

معامل التأثير العربي

1.18

مجلّة الشّمس

مجلة أدبية محكمة دولية

Chief Patron

Dr.Asgar Hassan Samoon

(IAS)

Editor-in- Chief

Dr.Meraj Ud Din Para Nadvi

رئيس التحرير

د.معراج الدين الندوي

تصدر عن وزارة التعليم العالي بولاية جموں و کشمیر الهند 191101

ISSN 2394-6628

(Vol-03 Issue 23) December 2020 مجلة التلميز



Government of Jammu & Kashmir Higher Education Department



Chief Patron

Dr. Asgar Hassan Samoon (IAS)



Vice Chief Patron

Prof. Yaseen Ahmad Shah

مجلة التلميز

AL-TILMEEZ

ISSN 2394 -6628

**Monthly Arabic Research Journal
Of**

Higher Education Department J&K Govt.

A Monthly Refereed Research Journal in Arabic Language & Literature



Director Journal

Prof. M. Muzaffar Husain Nadvi

سجلو انتصاركم بمردو الفخر



Editor in Chief

Dr. Meraj ud Din Para Nadvi

مجلة التلميز

دعوة المشاركة و شروط النشر:

تدعو "مجلة التلميز" الباحثين وأساتذة الجامعات والمتخصصين في اللغة العربية وآدابها من أرجاء العالم الإسلامي، لتقديم نتائجهم العلمي مما له علاقة بموضوعات المجلة وذلك للنشر بها.

يشترط في المقالات المقدمة للنشر ما يلي:

* أن يكون البحث أصيلاً وجديداً، لم يسبق نشره في نشرات أخرى مهما كانت، ولم يسبق عرضه أو المشاركة به في ندوة أو ملتقى علمي.

* ألا يقل عدد صفحات المقال عن 10 صفحات ولا يزيد عن 15 صفحة، بما فيها المصادر والهوامش و الجداول والرسوم التوضيحية، ويجب أن ترقم الصفحات ترقيماً متسلسلاً.

* أن يكون المقال مطبوعاً على الكمبيوتر وفق برنامج "Microsoft Word" بخط من نوع Sakkal Majalla

* تحتفظ المجلة عن نشر مقالين متتاليين في العدد ذاته أو في عددين متتاليين لمؤلف واحد.

يجب أن يكون المقال خالياً من الأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية والمطبعية قدر الإمكان.

ويجب أن يراعى في الأعمال المتضمنة لنصوص شعرية أو آيات قرآنية كريمة، أو أسماء أعلام ضبطها بالشكل وتخريج الأحاديث والأبيات

* أن توضع الهوامش فكل صفحة وكذلك توضع المراجع والمصادر على آخر صفحة المقال ويراعى في طريقة التمهيش المنهج التالي:

* الكتب: إسم ولقب المؤلف، عنوان الكتاب، الجزء، الترجمة (إن وجدت) الطبعة دار النشر/ الناشر، مكان النشر، وسنة النشر.

* المقالات: إسم ولقب المؤلف، "عنوان المقال"، عنوان المجلة، (الجهة التي تصدر عنها)، العدد، الصفحة.

* المراجع الإلكتروني: اسم المؤلف، أو المنظمة "عنوان المقال"، العنوان الإلكتروني كاملاً، تاريخ التصفح: اليوم، الشهر، السنة.

* المخطوطات: اسم المؤلف وعنوان المخطوط كاملاً، ويذكر اسم المكان المحفوظ فيه ويشار إلى تاريخ النسخة، وعدد أوراقها.

* الصحف: إذا كان خبراً يكتب اسم الصحيفة، والعدد، والتاريخ، ومكان الصدور. أما إذا كانت مقالة يكتب اسم الكاتب،

"وعنوان المقالة" واسم الصحيفة، ثم تحديد نوعها (يومية، أسبوعية، شهرية)، (ومكان الصدور) والعدد، والتاريخ، والصفحة.

* يحق للمجلة (إذا رأت ضرورة لذلك) إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة للنشر دون المساس بمضمونها، كما

تحتفظ المجلة بحقوقها في حذف أو إعادة صياغة بعض العبارات التي لا تتناسب مع أسلوب النشر.

* الدراسات التي تنشرها المجلة تُعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.

المراسلة والاشتراك: يمكنك إرسال بحثك العلمي إلى لجنة التحكيم في المجلة العربية للنشر العلمي عن طريق:

إرسال البحث إلى الإيميل التالية: editor@tilmeezjournal.com موضحاً اسم الباحث - عنوان البحث - وصف مختصر للبحث

وبالباحث.



Government of Jammu & Kashmir Higher Education Department

الهيئة الاستشارية / Advisory Board

رئيس قسم العربية سابقا بجامعة عليكرة الإسلامية	البروفيسور محمد صلاح الدين العمري
عميد كلية الآداب سابقا بجامعة عليكرة الإسلامية	البروفيسور كفيل أحمد القاسمي
رئيس قسم اللغة العربية بجامعة كشمير سرينجر	البروفيسور صلاح الدين تاك
المسجل بالجامعة العقودية سرينجر كشمير	البروفيسور عبد الحميد شيخ
رئيس قسم اللغة العربية بجامعة عليكرة الإسلامية	البروفيسور محمد سميع أختر
الأستاذ بقسم اللغة العربية بجامعة عليكرة الإسلامية	البروفيسور محمد فيضان بك
رئيس قسم العربية سابقا بجامعة عليكرة الإسلامية	البروفيسور مسعود أنور علوي
رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة سرينجر	البروفيسور منظور أحمد خان
رئيس مركز الدراسات العربية والإفريقية بجامعة جواهر لال نهرو	البروفيسور رضوان الرحمن
الأستاذ المساعد بقسم علم اللاهوت السني عليكرة	الدكتور ربحان أختر القاسمي
رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة سرينجر	البروفيسور عبدالرحمن واني
رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة كشمير	البروفيسور شاد حسين
رئيس قسم اللغة العربية سابقا بالجامعة المليية الإسلامية	البروفيسور محمد أيوب تاج الدين الندوي
جامعة اللغة الإنجليزية و اللغات الأجنبية بحيدرآباد	البروفيسور السيد جهانكير
رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة المليية الإسلامية	البروفيسور حبيب الله خان
الأستاذ المشارك بجامعة جواهر لال نهرو	الدكتور عبيد الرحمن طيب
رئيس معهد اللغة العربية بصورة سرينجر، كشمير	البروفيسور عبد الرحمن وار
الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية بجامعة كشمير	الدكتور طارق أحمد أهنكر
الأستاذة المشاركة بقسم العربية بجامعة عليكرة الإسلامية	الدكتورة تسنيم كوثر
المدير العام لشبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات بالمغرب	د. زكريا السرتي المغربي
رئيس قسم اللغة العربية بجامعة بابا غلام شاه بادشاه	الدكتور شمس كمال أنجم
المحاضر بالجامعة السعودية الإلكترونية	د. تيسير محمد أحمد الزيادات
الأستاذ المساعد بالجامعة العالية، كولكتا- الهند	د. معراج أحمد معراج الندوي
أستاذة تاريخ الأديان ، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان.	د. كريمة نور عيساوي
رئيس تحرير مجلة الرسالة الدولية للدراسات والبحوث ومحاضر	الدكتور رضوان بلخيري
بقسم علوم الإعلام والاتصال و نائب عميد كلية العلوم الإنسانية	
والإجتماعية بجامعة العربي التبسي تبسة الجزائر.	

مجلة التلميذ

مجلة علمية عربية محكمة شهرية تصدر
عن وزارة التعليم العالي
و كشمير

مجلس التحرير

Editorial Board

الرئيس العام

الدكتور أصغر حسن سامون

(IAS)

نائب الرئيس العام

البروفيسور يسين أحمد شاه

مدير التحرير

البروفيسور محمد مظفر حسين الندوي

رئيس التحرير

الدكتور معراج الدين الندوي

مساعدوه

الدكتورة نور أفشان

الدكتور عناية الله واني الندوي

الدكتور فاروق أحمد مير القاسمي

الدكتور محمد ربحان الندوي

الآراء المنشورة في مجلة "التلميذ" تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

محتويات العدد

06	رئيس التحرير	كلمة العدد
07	إسلام محمد السيد عيسى هرس	النقبة لأغراض خاصة ودرس تطبيقي على شريحة المراسل الفني
23	و.أوركن زيب الأظمي	صلة مجهولة للفعل "حلَّ يحلُّ"
30	و.عبد المالك مغشيش	النبوغ المغربي في التصنيف الأدبي
43	تبسم محي الدين	أهمية العنوان في قصص الأطفال
51	و.بوشياء سعيد الهدي	أدب الرحلة للأطفال
61	سيدة محارة بيضاء	قاسم أمين وقضايا المرأة في المجتمع المصري
72	عبيد الرحمان	تطور الرواية في سوريا: عبد السلام العجيلي نموذجا
78	محمد فاروق حسن	مساهمة الشاه رفيع الدين الدهلوي في الشعر العربي وميزاته
88	و.محمد محتاب عالم	تاريخ البث الإذاعي باللغة العربية في الهند
95	السيد محمد بشير سي كي	مساهمات الشيخ أبي الحسن الندوي في الأدب العربي.....
102	و.توصيف أحمد مير	مفهوم الترجمة وأهميتها وأنواعها في الأدب العربي
108	محمد ميكانيل	الدراسة الموضوعية لروايات أحلام مستغانمي
124	هيفاء شاكري	العودة (قصة قصيرة)
128	إرم زهراء رضوي	من يسمعي (قصة قصيرة)

AL-TILMEEZ

Arabic Research Journal

Of

Higher Education Department J & K Govt.

A Monthly Refereed Research Journal in Arabic Language & Literature

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد:



الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، وجعل العلم ضياءً والقرآن نورا، ورفع الذين أوتوا العلم درجات عليّة، وجعل تعليمه نعمة مقدمةً على خلق الإنسان، ومقدمةً على تعليمه البيان. والصلاة والسلام على رسول الله الهادي إلى سبيل الإيمان، وعلى آله وصحبه وأهل القرآن والسنة، اللهم أدخلنا في زمرة من يا رحيم يا رحمن! قرأنا الكرام!

هذا العدد ثمرة جهد متواصل لأعضاء "مجلة التلميز" النشطاء فإنها استطاعت أن تجمع بين بحوث متنوعة ودراسات ومادة مختلفة، ولا تزال تصدر أعدادا ممتازة وإنها أول مجلة شهرية تصدر بصورة فعالة من بدايتها لتوفير الفرصة الباحثين أن يقوموا بالنشر فيها ببحوثهم الأدبية والعلمية والثقافية وهي تستقبل دائما طلبات الباحثين لنشر أبحاثهم وأبحاثهم في الأعداد الصادرة منها، وهي مجلة ثقافية دينية أدبية محكمة دولية غير سياسية خادمة للغة العربية وقائمة بها بنشاط وممارسة فعليّة لهدفها النبيل. وتقديم القطعات العلمية الأصيلة والمناقشة الفكرية التي توضح الوعي الشامل بشكل مناسب وبشكل سليم، دون أن تكون مفرطة. ورجاء كل واحد من المحبين للغة العربية كبير بأن المجلة ستلعب دورا مثاليا وحالما نموذجيا في ربط الباحثين والشباب والمتعلمين بهذه اللغة العظيمة والكريمة التي تكتسب أهميتها بكونها لغة الدين والحضارة إلى جانب أهميتها في مجالات الإقتصاد والأسواق العالمية.

وأنتم سترون هذا العدد الجديد يحتوي على ملف واسع يتضمن باقة متميزة من المقالات العلمية والقراءات الأدبية ويحتوي على دراسات وأبحاث ومقالات فكرية وأدبية وصلت إلينا هذه المشاركات من أنحاء العالم وفي الواقع يضم هذا العدد في طيّاته ودفتيه كل أنواع العلوم والفنون والمعارف والثقافات من الأدب العربي القديم والحديث والمعاصر الذي سيلحظه القارئ الكريم في صفحات المجلة (إن شاء الله)

فنقدم هذا العدد الجديد بكل فرح وسرور إلى قرائنا الكرام، راجين أن يجدوا فيه ما يفيدهم وينفعهم في أمور دينهم ودنياهم، فنقدم لهم بالتهنئة بأنه صدر عدده الثالث والعشرون لشهر ديسمبر سنة 2020 من الميلاد وسيتابعون معنا في هذا العدد إقبالا كبيرا من قبل الباحثين والأدباء الأفاضل ببحوثهم العلمية والأدبية الشيقة.

ونحن بثقة متينة ورجاء وثيق بأن تكون هذه المجلة نبراسا للوصول إلى قمة العلم والأدب وإنارة السبيل للباحثين والباحثات جميعا.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نقول: نرجو أن يحقق العدد المتعة المعرفية والإضافة العلمية والإفادة المنشودة.

رئيس التحرير

الدكتور معراج الدين الندوي

مرحبا بكم معنا في العدد الثالث والعشرين واقـرؤوه بكل رغبة وشوق.

العَرَبِيَّةُ لِأَغْرَاضٍ خَاصَّةٍ وَدَرْسُ تَطْبِيقِيٍّ عَلَى شَرِيحَةِ الْمُرَاسِلِ الْحَرْبِيِّ



إسلام محمد السيد عيسى هجرس

طالب ماجستير بجامعة آيدن، تركيا

Islam Mohamed Elsayed Esa Hagraas
Istanbul Aydin University Turkey

المقدمة

انصبّت فكرة تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة على النفاذ إلى هدف التعليم مباشرة، بما يحقق الهدف بجهود رشيدة في الوقت الأمثل، وبلا تشتت بين فروع العربية وتفصيلها الواسعة، فلا حاجة لمتعلم اللغة لكي يعمل بالسياحة إلى أن يحفظ شعرا من القيس مثلاً، أو أن يفهم بلاغة القرآن الكريم ويحتاج بجوامع الكلم النبوية.

وبإدراك الإنسان لأهمية اللغة، فقد شرع في بناء اللغات وتطويرها، ولازمت ذلك دوماً حركة لتعليم اللغة وتعلّمها، كانت بدائية في العصور الأولى، حتى أسهمت الحضارات في جعلها عملية مقصودة منظمة لها فصولها ومراحلها ونظرياتها وأنواعها التي تخدم أغراضها، فكان تعليم اللغات لأغراض خاصة من تجليات تلك الثورة التي نقلت هذا المجال إلى أرض جديدة.

وقد غطى البحث العربي مساحات وخدم شرائح متعددة، بتذليل مناهج متكاملة لها، ومنها ما جرت ترجمته إلى مقررات وبرامج ومؤلفات، وقد اخترت لرسالة الماجستير التي أعكف هذه الأيام على إتمامها أن تتناول شريحة "المراسل الحربي"، فكانت مدخلاً لي إلى معرفة ما أنجز في المجال بالاطلاع على الدراسات السابقة وعمل ما يشبه الأرشيف لدراسات هذه الشرائح بالعربية، ثم كانت فكرة المقال الكشف عن هذه المساحة حتى تاريخ كتابته، لتفيد من ينوي تناول شريحة جديدة.

الملخص: هذا المقال تلخيص لجانب من رسالتي للماجستير تحت عنوان "مَنْهَجٌ مُقْتَرَحٌ لِتَعْلِيمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِأَغْرَاضٍ إِعْلَامِيَّةٍ (الْمُرَاسِلُ الْحَرْبِيُّ نَمُودَجًا)"، اتبع منهجاً وصفيّاً مسحيّاً ليقدم مفهوم اللغات لأغراض خاصة، وفي القلب منها العربية، والمساحات الملأى منها بما يسهم في اقتراح المساحات الفارغة، مع نبذة عن

شريحة المراسل الحربي والمنهج المقترح لتعليمها العربية عن طريق درسٍ مؤلّف تطبيقي لهذا المنهج، لتكون أسئلة الدراسة الرئيسية هي:

- ما مفهوم تعليم اللغات لأغراض خاصة، والعربية تحديدًا؟
 - ماذا أنجز البحث العربي في هذا المجال؟
 - كيف طبقنا ذلك على شريحة المراسل الحربي؟
- مجيبين هذه الأسئلة باختصار يكون تفصيله بالرسالة، مع توسُّع الرسالة فيجانها التطبيقي. فنسأل الله التوفيق والسداد.

الكلمات المفتاحية: العربية لأغراض خاصة - المراسل الحربي - تحليل الحاجات - صياغة المقررات.

تمهيد :

محطات تاريخية وأسباب متجددة تسببت في إقبال ألسنة مختلفة على تعلُّم اللغة العربية لإنجاز أغراض بين العام والخاص، كالتالي:

- السبب الديني لتعلُّم العربية على رأس أسباب تعلُّمها لأغراض خاصة، وجاء ذلك مع بعثة النبي وانتشار الدين ودخول الناس فيه، وامتد ذلك تاريخيًا حتى يومنا، ليشمل المسلمين الجدد، وطلاب الأزهر الشريف، والجامعات الإسلامية من المسلمين غير العرب.
- السبب الأكاديمي، وارتبط ذلك تاريخيًا بمرحلة الاستشراق وعكوف بعض الباحثين غير العرب على علوم العربية.
- الدبلوماسية والعمل في السفارات والوزارات والسياسة من أسباب تعلُّم العربية أيضًا.
- المستجدات الأمنية والعسكرية على الساحة العالمية وأحداث بعينها التي جرّت أعدادًا غفيرة إلى تعلُّم العربية، كأحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول وتفجير برجي التجارة العالميين.
- الانفتاح المالي والاقتصادي على الأسواق المليونية العربية، التي تضمن أرباحًا ضخمة، وأسواق الذهب الأسود/النفط.
- الإعلام والعمل بمؤسسات صحفية وبقاع من العالم تتحدث العربية كلغة أمٍ جعل شريحة تقبل على تعلُّمها، وهو من الأغراض الخاصة التي نطبق عليها ببحثنا هذا عبر شريحة المراسل الحربي.
- وبالبحث والتقصي وقراءة الواقع، سنجد أن هذا المجال على أهميته ليس مخدومًا عربيًا بما يكفي لسد المطلوب، ولا يزال يحتاج إلى الكثير من العمل الجاد حتى يُغطّى.

التعريف:

تعددت تعريفات تعليم اللغة لأغراض خاصة كالتالي:

- نهجٌ لتعليم اللغة قائم على حاجات المتعلمين وإجابة سؤال بسيط: لماذا يحتاج هذا المتعلم إلى اللغة الأجنبية؟، ومنه تخرج عناصر المنهج كافة من أهداف ومحتوى وطريقة تدريس وتقويم. وينسب هذا التعريف إلى هاتشنسون وترز¹.
- وهو اتجاه يهتم بالإيفاء بحاجات الدارسين، وموضوعاته مرتبطة بمهنة أو تخصص آخر، ويتمركز في تراكيبه وألفاظه وبناء جملته وتحليل خطابه حول لغة خاصة بفرع من المعرفة، لكن تدريسه لا يتقيد بطريقة معينة ولا محتوى موضوع مسبقاً. وهو من تعريف ستريفنس².
- وبتخصيص اللغة العربية، يُعرف إسلام يسري³ منهج تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة بأنه مدخل لتعليم اللغة العربية تُحدّد فيه عناصر المنهج من أهداف ومحتوى وطرق تدريس وتقويم، وتحدد فيه عملية التدريس ذاتها بناء على خصائص الدارسين وأهدافهم من تعلم العربية وطبيعة الموقف الذي سيستخدمونها فيه.
- ويمكننا أن نجمل التعريفات السابقة جميعاً في محورين: محور تحليل حاجات الدارسين، ونتبع فيه منهجاً وصفيّاً، ومحور بناء منهج يلي هذه الحاجات، ونتبع فيه منهجاً بنائياً.

مميزات تعليم العربية لأغراض خاصة:

- تحقيق الأهداف بأقصر الطرق وأقل الجهود.
- عدم التشتت فيما لا يفيد الهدف المباشر.
- رؤية ثمرة العمل، ما يجعل دافعية المتعلمين مستدامة.
- البناء على بذرة موجودة من التعلم، فالتعليم لأغراض خاصة عادة ما يستهدف من تجاوزوا المستوى الأول ومن هم على أرضية، ما يجعل العملية أكثر سلاسة وفاعلية.
- تجانس المتعلمين، ما يجعل التفاعل داخل الصف أحسن أثراً.
- الجدوى الاقتصادية للمتعلم، فهو يدفع مقابل خدمة مفيدة له بالكامل، لا تضرب في اتجاهات مختلفة غير معلومة الجدوى.

صور متنوعة لبرامج تعليم العربية لأغراض خاصة⁴:

تعددت نماذج هذه البرامج طبقاً لعوامل متعددة، كالجمهور المستهدف ومجتمع تعلّم اللغة ودوافع

¹ Hutchinson and Waters, *English for specific purposes*, Cambridge University Press, sixth printing, U.K, 1991, page 19

² Strevens, *ESP after twenty years: A re-appraisal. ESP: State of the Art*, Singapore, 1988, page 12

³ الحدقي، إسلام يسري، منهج متكامل لتعليم العربية للأغراض الدبلوماسية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، كوالالمبور، 2008، ص 26.

⁴ أنظر: طعيمة. رشدي، تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة، مفاهيمه، أسسه، منهجياته، كتابندوة تعليم اللغة لأغراض خاصة، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، الخرطوم، 2003، ص 24.

المتعلمين وخلفياتهم الثقافية والاجتماعية والدينية، ومن هذه البرامج ما يلي:

- برنامج تعليم العربية للوافدين بمدينة البعوث بالأزهر الشريف، وله شقٌّ عامٌّ يستهدف تأهيل الطالب الأجنبي لغويًّا ليحتكَّ بالمجتمع المصري عربي اللسان، وشقٌّ خاصٌّ يدرس فيه محتوى يناسب دراسته المستقبلية في أصول الدين أو القرآن والحديث أو اللغة العربية.
- برنامج تعليم العربية للإعلاميين، ويقدم للعاملين في الإذاعات العربية في دول غير ناطقة بها.
- برنامج تعليم العربية للعاملين في شركات البترول مثل أرامكو، ويطلق عليه العربية لأغراض خاصة بالتجارة ورجال الأعمال.
- وقياسًا على ما سبق: العربية للممرضين والأطباء، والدبلوماسيين، والأكاديميين وطلاب اللغات الشرقية، ولأغراض العلوم والتكنولوجيا، ولأغراض الدراسات العربية والإسلامية... إلخ.

ويمكننا أن ندرجها جميعًا في ثلاثة محاور:

- تعلُّم اللغة لأغراض مهنية، واختصارها في تعليم الإنجليزية هو (EOP)، كالسياحة والتجارة والعمل الدبلوماسي والإعلامي، كمجال بحثنا هذا حول المراسل العسكري.
- تعليم اللغة لأغراض أكاديمية، واختصارها في تعليم الإنجليزية هو (EAP)، كالعقيدة وتحقيق التراث.
- تعليم اللغة لأغراض إسلامية، واقترح هذا المحور إسلام يسري¹، ليغطي به الشريحة التي تتعلم العربية كوسيلة لفهم دينها.

مقارنة بين تعليم العربية للحياة ولأغراض خاصة:

بين النمطين من تعليم العربية تشابه واختلاف ذكره رشدي طعيمة²، نستعرضه كالتالي:

نوع التشابه	تفاصيل التشابه
الهدف	كلاهما يهدفان إلى تعلم لغة أجنبية.
الجمهور	كلا الجمهورين لا يتحدث العربية.
المنهجية	كلا البرنامجين يحتاج إلى منهجية وتدرّيس وتقويم

¹ الحدقي، إسلاميسري، منهجتنا للتعليم العربية للأغراض الدبلوماسية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، كوالالمبور، 2008، ص 26.

² أنظر: طعيمة، رشدي، مجلة تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة، وثائق وبحوث: ندوة تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة، الخرطوم، 2003، ص 15.

الاختلاف:

العربية لأغراض خاصة	العربية للحياة	نوع الاختلاف
تهدف إلى تعليم المهارات المطلوبة في العمل فقط لـ كل المهارات بالضرورة .	تهدف إلى تعليم مهارة القراءة تمامًا، وتحقيق الاتصال شفهيًا وتحريريًا.	الأهداف
تتخصص في مواقف بعينها، كالتعامل بين الطبيب والممرضة، وبين الطبيب والمريض، وبينه وأهل المريض، وقراءة النشرات الطبية وتوجيه إرشادات.	تدور حول المواقف العامة والاتصال، بما تحتويه من فهم للأفكار والتفاعل معها، والتعبير عن النفس بشكل مفهوم.	الحاجات اللغوية
يدور حول احتياجات الدارسين، فنستنتج أنه يستخدم المصطلحات والمفردات الشائعة في تخصصه، لذلك وجدت معاجم طبية ومعاجم فلسفية وغيرها.	يجسد الأهداف والموضوعات العامة لغير الناطق باللغة عند حديثه مع أهلها، اعتمادًا على فوائده شيوخ تتيح له المفردات كثيرة الاستخدام في اللغة عمومًا.	المحتوى
يحدد المعلم الطريقة بتقديره، أو تحددها له المؤسسة، ويحدث ذلك بعد دراسة أهداف الدارسين وظروفهم وظروف العملية التعليمية. ففي البرامج القصيرة من حيث المدة - وهو الطابع الغالب في برامج العربية لأغراض خاصة كما لاحظنا في تجربة اليمن- تكون طريقة القواعد والترجمة هي المفضلة، لأنها تدخر الوقت والجهد. وإن كانت دراسات حديثة في مجال اللسانيات التطبيقية تتمسك بأفضلية عدم وجود لغة وسيطة .	طرق التدريس هنا معروفة محددة، وتنوع فيكون الاختيار بينها حسب المعلم والبيئة والدارسين وأعدادهم والمؤسسة، ومن هذه الطرق: • القواعد والترجمة. • الطبيعية. • المناقشة. • التوليفية. • السمعية الشفهية.	طرق التدريس
متنوعة أيضًا، ولكنه تنوع داخل النطاق، وهذا انعكاس لمحدودية الأهداف والمحتوى.	متنوعة، بما يتناسب مع تنوع المحتوى والأهداف.	الأنشطة

المهارات	تغطي كل المهارات: • القراءة. الكتابة. الاستماع. التحدث.	تغطي المهارات التي تخدم الغرض، فقد تستبعد مهارة أو أكثر، لولم يكن المتعلم في حاجة إليها لخدمة غرضه.
التقويم	نابع من المهارات المدروسة، لذلك فهو يقيم كل المهارات (القراءة، الكتابة، التحدث، الاستماع)	يقتصر على المهارات المدروسة، فلا يقيم كل المهارات بالضرورة.
الثقافة	عامة، كأن يعرف الدارس ثقافة الإنسان العربي أو السعودي عمومًا بلا تخصيص.	خاصة، كمعرفة ثقافة رجل الأعمال العربي، أو طالب العلم الشرعي العربي.
الانتماء إلى مجتمع لغوي	طبقًا لهذا المحور فإن المجتمع اللغوي ينعكس على البرنامج، فمتعلم العربية للأغراض العامة في دولة يختلف عنه في دولة أخرى، نظرًا إلى اختلاف المواقف الاتصالية، فالانتماء هنا متحقق فعّال.	تدور البرامج حول محتوى شبه موحد في كل مجال، بصرف النظر عن المجتمع المحيط، فمتعلم الطب في أمريكا وأستراليا، أو سوريا وقطر، سيلتقيان في طبيعة الموضوعات والمصطلحات، فلا أثر للبيئة المحيطة.
الجمهور	غير متجانس، تتعدد مشاربه لعدم تحدّد الأهداف.	متجانس متشابه، فكلهم أطباء أو قانونيون أو تجار... إلخ.
المؤهلات المسبقة	لا تُشترط أية مؤهلات مسبقة، فقد يبدأ الدارس من المستوى الأول ولا حرج.	قد تحتاج إلى مؤهلات مسبقة، كأن يكون قد اجتاز المستوى المتوسط أو المتقدم من تعلم العربية للحياة. لكن لا مانع نظريًا من تعلّم المبتدئ للعربية لأغراض خاصة على التوازي مع تعلّمه للحياة، مع شروط ومحددات ليكون مُجدّيًا.
التعامل مع النص	التركيز يكون على اللغويات، وعلى ما يجهل المتعلم من تراكيب ومفردات، مع الإسهاب في بعض التفاصيل.	التركيز يكون على المعلومات التي يعرفها الدارس ويجهل لغتها، ويركز المعلم على التفهيم بالسياق وربط المبنى بالمعنى.
دور المعلم	غالبًا ما يكون المعلم محور العملية التعليمية، يسأل والطالب يجيب.	تكون العملية التعليمية تبادلية تعاونية تأخذ طابع المجموعات، والمعلم منسق بينهم، فيما يشبه التعليم الذاتي.

مواصفات معلم اللغة لأغراض خاصة:

- إتقان اللغة العربية علمًا نظريًا وأداءً تطبيقيًا في الصف الدراسي مع طلابه.
- إتقان المجال التخصصي الذي يُعَلِّم اللغة من أجله، الطب مثلاً، أو على الأقل الإحاطة العلمية بالثقافة العامة للمجال، فلا تُشترط المعرفة بالدقائق والتفاصيل.
- ليس مطلوبًا من المعلم أن يبالغ في شرح المعلومات العلمية بتفاصيلها الدقيقة، بل عليه أن يعرفها ويمر في درسه عليها مرورًا هادفًا بلا إفراط ولا تفريط.
- التواصل مع أصحاب التخصصات بشكل مستمر، للاستفادة منهم والاطلاع على الجديد الفارق، فعلى الأغلب لن يكون شخص واحد مُلمًا بالعربية وكل التخصصات الأخرى التي تدرس العربية لأغراض خاصة.
- (من نماذج الأساتذة الذين جسدوا إتقان اللغة ومجالًا تخصصيًا علميًا د. أحمد زكي/رئيس تحرير العربي، الذي كان متخصصًا في الكيمياء وضليعًا في العربية).
- إتقان مهنة التدريس بتفاصيلها الكثيرة ومهامها، من خلال تحصيل محتوى تربوي مؤهل، وانعكاس ذلك على قاعة الدرس، تدريسيًا وتنسيقيًا ووساطة بين المتعلمين ورقابة على غايات البرنامج، بما يحقق النتائج المرجوة.
- أن يكون مواكبًا للتكنولوجيا متواصلًا مع لغة العصر، فيستطيع استخدام الحاسوب، والتعامل مع الإنترنت وبرامج الاتصال ووسائل التواصل الاجتماعي، متمكنًا من أدوات البحث الهائلة التي ذلتها الشبكة العنكبوتية والسماوات المفتوحة.
- دافعية التعلم والتطور وقبول النقد، بخاصة أن يعمل مع مستويات مرتفعة، علميًا وعمليًا واجتماعيًا وحتى لغويًا، فهو يتقلب بين طلاب الماجستير والدكتوراه ورجال الأعمال والدبلوماسيين والإعلاميين وغيرهم من المتحققين على مستويات متعددة، ولا عيب في أن يتعلم منهم كما يتعلمون منه.

العقبات المتوقعة لتعليم العربية لأغراض خاصة:

- في مقابل الدراسات الوفيرة التي درست مجال تعليم اللغة لأغراض خاصة في الإنجليزية مثلاً وفي لغات أخرى، فإن الدراسات العربية لا تزال قليلة ولا تغطي المطلوب¹.
- الازدواجية اللغوية التي ستقابل متعلم العربية، سواء للأغراض العامة أو الخاصة، فبعد أن يتعلم الفصحى سيتعامل معه المتحدثين بالعامية على الأغلب.

¹ أنظر: حسين، مختار الطاهر، تعليم اللغة العربية لغير الناطقين في ضوء المناهج الحديثة، ط1، الدار العالمية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011، ص409.

- الكوادر المدربة، وهي قليلة جدًا وغير متوفرة أحيانًا، يضطر أصحاب مشروعات التعليم إلى تكليف معلمين غير متخصصين أو متخصصين في جانب دون آخر أو في مجالات مقارنة.
- وبسبب اعتماد المشروعات على غير المدربين الأكفاء، فقد فشلت مشاريع في تحقيق غرضها، وكانت من مُحبطات المشاريع الجديدة، لأنهم توقعوا الفشل ذاته، وهذا يؤخر مسيرة المجال ككل.
- البعد الاقتصادي والتسويقي، فالمؤسسات التي تقوم على التعليم إما أن تكون ربحية وإما أن تكون وقفية، وتظل أمام ذوي المشاريع الربحية مخافة الخسارة.
- قلة المعلومات المتوفرة أحيانًا عن المتعلمين، ما يجعل المحتوى غير دقيق في تلبية احتياجاتهم.
- استغناء بعض الشرائح التي قد تكون مستهدفة ومعنية بالأمر عن تعلم العربية، واكتفاؤها بالإنجليزية، لظنهم عدم الحاجة، كبعض الدبلوماسيين الأجانب في البلاد العربية.

تصميم البرامج والمناهج والمقررات:

وحين نشرع في تفصيل هذا المحور، فسوف تواجهنا معضلة تُعَدُّ المصطلحات والترجمات، فبالإنجليزية لدينا syllabus و program و course و curriculum، وبالعربية لدينا مقرر ومخطط منهج ومنهج ومساق وبرنامج وخطة، ولا حلَّ أمام باحث جديد إلا أن يعتمد مصطلحاته وترجماته بالانتخاب من بين ما تقدّم، وهو ما سنحاول تنفيذه في السطور القادمة.

سنختار من بين المصطلحات الكثيرة مصطلحين هما الأقرب إلى بحثنا، وهما البرنامج والمنهج. البرنامج: خطة مفصلة تتناول أعمالاً وخطوات واجبة التنفيذ خلال فترة محددة، مع تفصيل الآلية المتبعة لإنجاح العمل، ونلاحظ كيف يتوسع البرنامج ليغطي تفاصيل حول الخطة وظروف تطبيقها، مثل كثافة المدة وعدم كثافتها... إلى آخره.

المنهج: هو عمومي أكثر من البرنامج، وليس مهمته التفصيل الدقيق بل وصف الخطوط العريضة، كالأهداف والمحتوى وطرق التدريس والتقويم، ويمكننا أن نستعرض نموذجًا من هذه النماذج:

نموذج تايلور¹:

- وهو أحد أقدم النماذج وأكثرها تأثيرًا حتى الآن، وقد بناه بالإجابة على أسئلة أربعة:
- ما الأهداف الرئيسية التي يجب أن يحققها المنهج؟ وأجاب بأن للأهداف مصادر ثلاثة هي (المتعلم - دراسة الحياة المعاصرة - المادة الدراسية)، وعلى واضع المنهج - حسب تايلور - أن يعرض قائمة الأهداف على الفلسفة وعلم النفس لانتقاء الأهم والأكثر فاعلية.

¹ Tyler, Ralph W, Basic Principles of Curriculum and Instruction, University of Chicago Press, 1949

- ما الخبرات التربوية التي تحقق هذه الأهداف؟ وقد عرّف الخبرة التربوية بأنها التفاعل بين المتعلم وظروف البيئة الخارجية، ويجري حصر هذه الأهداف وتقليلها بتنمية هذه الخبرات.
- كيف يمكن تنظيم هذه الخبرات لتكون فعّالة؟ ويحصل ذلك بتحقيق الاستمرارية والتتابع والتكامل.
- كيف نقيّم تحقّق الأهداف؟ ويشير بذلك إلى عملية التقويم التي تختبر تغيّر سلوك التلميذ وفقاً لما تعلّم، وتتعدد صور التقويم ووسائله عند تايلور، بين القبلي والبعدي، والامتحانات والملاحظة المباشرة والمقابلات والاستبانات.



وبالاطلاع على نماذج متعددة بعد نموذج تايلور لاحظنا:

- اشتراكها جميعاً في بعض الأركان مع فروق في التفاصيل، فجّلّها ذكر (الأهداف - الخبرات أو المحتوى - تنسيق الخبرات أو الطرق - الوسائل والأنشطة - التقويم)، وهو ما يمكن أن نستفيد به في شقنا التطبيقي من الرسالة لإنجاز منهجنا المقترح.
- تبين وجه الشبه بين البرامج والمناهج، الذي جعلنا نستطيع أن نصف المنهج بأنه جزء من البرنامج، أو أن نصف البرنامج بأنه تطبيق للمنهج بإسقاط عموميته على حالات بعينها ومنحها صفة التطبيق والتنفيذ والتفاعل مع الظروف والمتغيرات، وهذه النتيجة جعلنا نستطيع أن نستفيد مما ورد في أي من الاثنين في خدمة الآخر.

مداخل تصميم المناهج والبرامج والمقررات:

- ولنتجاوز مسألة المصطلحات، فسوف نعتمد تعريفاتنا ثم ننتقل منها إلى التفصيل، إذ إنها:
- المنهج:** هو خطة عامة للعملية التعليمية تضم الأهداف والمحتوى والطرق والوسائل والتقويم.
- البرنامج:** هو منهج أضيفت إليه تفاصيل تخص المتعلم وظروف التعليم ككثافة المدة من عدمها.
- المقرر:** تحويل المنهج إلى عناوين موضوعات ينبغي تدريسها للطلاب لتحقيق غايات المنهج وأهدافه.
- الكتاب:** وثيقة مكتوبة تترجم ما سبق من منهج ومقرر إلى محتوى يمكن تدريسه مباشرة للطلاب.
- ونهدف بهذه التعريفات إلى إقرار استفادة كل هذه المصطلحات من بعضها، فكل منها مرحلة من الأخرى.

ولدينا حسب هاتشنسون (Hutchinson and Water, 1987) ثلاثة مناهج لتصميم المقررات:

لغوي: يهدف إلى تحديد العمليات والأساليب المساعدة على أداء لغوي جيد، بلا اقتصار على محتوى معين.
مهاري: يهدف إلى تحديد العمليات والأساليب المساعدة على أداء لغوي جيد.
تعليمي: وهو أفضلهم إذ يكون الطالب فيه مركزاً لا المعلم، ويحدد هذا المنهج الكفايات اللازمة ووسائل اكتسابها، مركزاً على الطالب وجاعلاً عملية صياغة المقرر تفاعلية بين التلميذ وأستاذه.
مناهج اللغة الأجنبية، وهي ستة مناهج متكاملة وضعها مؤسسو المجال (krahne, 1987) تتشابه وتختلف معاً، ووضع منهجاً سابغاً (محمود كامل الناقه، 1985) هي:

المنهج التركيبي: أو النحوي، يعتمد على تعليم القواعد كغاية كبرى بوصفها البنية التحتية للغة.
منهج المواقف: يركز على الاتصال كغاية لتعلم اللغة، ويركز على تلبية حاجة المتعلم للاتصالية.
منهج الفكرة: أو الوظيفي، يدعم الاتصال كمنهج الموقف، لكنه يعتمد على الأفكار لا المواقف.
المنهج المهاري: يعلم كفايات مهارة تُنتج بصورة سلوك لغوي، كالأصوات والمفردات والقواعد والتحدث.
منهج المهام: يعتمد تنفيذ مهام مركبة، وخلالها يتعلم الطالب اللغة بالتعبية، كتحكيم مباراة أو زيارة رسمية.

منهج المحتوى: يقدم معلومات وموضوعات للطالب، وخلالها يتعلم اللغة ضمناً.
المنهج متعدد الأبعاد: وهو المنهج الذي اقترحه الناقه وهو الأشمل والأفضل، إذ يدمج عدداً من المناهج معاً لتحقيق الفائدة، بتقديم أربع مقررات (لغوي - ثقافي - اتصالي - عن اللغة بشكل عام).

تحليل الحاجات:

ويرتكز على هذا العنصر تقديم المنهج المقترح بأركانه الأربعة (اللغوي - الاتصالي - الثقافي - العام) ويضاف إليه التقني والتربوي أحياناً ليكون أكمل وأوفي، وهو تحديد حاجات المتعلم وما يلي غرضه من تعلم اللغة ويكون عبر وسائل منها (الدراسات السابقة - الدراسة الاستقصائية - الاستبانة - الملاحظة - المقابلة الشخصية - التقويم - المذكرات الشخصية - أساليب تقدير الذات - وثائق سابقة - الاختبارات التكوينية) إلى آخره.

الإطار الأوروبي المرجعي لتعليم اللغات:

وهو إطار عالمي لتحديد مستويات تعليمي اللغة يبدأ من A1 ويصل إلى C2 عبر ستة مستويات، ويحدد الإطار الكفايات العامة والاتصالية المطلوبة لاجتياز المستوى وتحقيق متطلباته، ويفيد علمنا بهذا الإطار في تحديد الغايات اللغوية المطلوبة لمتعلم اللغة لأغراض خاصة، بناء على افتراض أنه في المستوى المتوسط أو الأعلى. وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية عن الألمانية عام 2008.

ماذا أنجز البحث العربي في هذا المجال؟

يناقش هذا السؤال بطريقة ما مكانة البحث الحالي بين الأبحاث السابقة، والأماكن الخالية التي لم يذهب إليها البحث العربية، عبر تقرير الأراضي التي وطئها بالفعل، وقد مرت الدراسة الأم للماجستير التي أعدها الباحث وهي بصدد المناقشة قريباً بعنوان "مَنْهَجٌ مُقْتَرَحٌ لِتَعْلِيمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِأَغْرَاضِ إِعْلَامِيَّةٍ (الْمُرَاسِلُ الْحَرْبِيُّ نَمُودَجًا)"، على عدد كبير من الأبحاث غطت مناهج مقترحة لهذه الشرائح بعد مسح للغالبية الكبرى التي توفرت منها: (شريحة الدبلوماسيين - شريحة العاملين بالحقل الطبي - شريحة متعلمي العلوم الشرعية بأقسامها - شريحة السياحة - شريحة الأكاديميين - شريحة الحجاج والمعتنمين - شريحة العاملين بالاقتصاد والتجارة).

كما تناول بعض الأبحاث التنظير للمجال نفسه وصياغة أسسه، أو تقييم مناهجه وتقويمها، أو تقديم مقترح لمقرر مادة تعليم العربية لأغراض خاصة كمجال دراسي للأساتذة وغير ذلك من التخصصات. ونلاحظ وجود شرائح غير مخدومة منها (المهندسون - البيطريون - موظفو المطارات والمضيفون - العاملون بالمصانع والشركات) إلى آخر الشرائح الموجودة التي من بينها "المراسل الحربي".

لذلك قرر الباحث أن يخوض غماره كموضوع جديد، معتمداً على أن الصحافة مجاله الثاني الذي يعمل فيه منذ عام 2010. كما يعتزم بعد الانتهاء من هذا البحث وتقديمه كمنهج مقترح لتعليم العربية لأغراض إعلامية بالتطبيق على المراسل الحربي، أن يستكمل هذا الجهد بتحويل المنهج إلى مقرر وسلسلة من الكتب القابلة للتقديم للمراسلين الحربيين غير العرب، الراغبين في تعلم العربية لخدمة مجالهم. وهي المنطقة الثانية الفارغة، فالشرائح التي قدمت لها مناهج لم تتحول هذه المناهج إلى مقررات وكتب في أغلبها، وهو اقتراح عام تقدمه الأطروحة للزملاء الباحثين ليعملوا فيها في أبحاث قادمة.

المراسل الحربي: وفي هذا القسم من المقال يناقش الباحث مفهوم المراسل الحربي، ويقدم درساً تطبيقياً مقترحاً يمثل المنهج الذي توصل إليه من خلال أدوات البحث في الرسالة الأم.

مفهوم المراسل الحربي هو مراسل خارجي، يختص من بين المهمات المتنوعة بمناطق الحرب والنزاع، مما يجعل عمله أخطر بكثير من التغطية المدنية للاحتفالات والفاعليات وغيرها من المناطق الآمنة للعمل الصحفي، وهذا يستدعي بداهة مؤهلات مختلفة أو إضافية للمراسل الحربي وامتنيازات وحقوق نتناولها تباعاً.

ولدينا نوعان من إعلام الحروب، إعلام الشؤون المعنوية التابع للجيش¹، وإعلام الحربي المستقل كقنوات الأخبار التي تغطي الحروب ومناطق النزاع مثل قناة BBC وقناة الجزيرة.

¹ أنظر: أبوسمرة، محمد، استراتيجيات الإعلام العسكري والحربي، دار الراية، 2012، ص 26.

يقول د. حازم الحمداني¹: "المراسل الحربي هو صحفي أو مذيع يغطي أخبار الحملات العسكرية والمعارك لصحيفة ما أو راديو أو تلفاز". وهذا التعريف ينفي فكرة اقتصار معنى الإعلام الحربي على العمل لصالح جيش دولة أو لشؤون معنوية، فهو تغطية بهدف نقل المعلومة مع تعدد الأغراض الذي تتسع له صيغة هذا التعريف، فقد تشير ببساطة إلى النمط الثاني لمراسل الحروب.

ويتوجه هذا البحث من مراسل المنصة المستقلة وإليه فهو ليس معنياً كثيراً بتوفير مادة لتأهيل كوادر الشؤون المعنوية للجيش، بل بالمراسل العسكري العادي الذي تقع على كاهله مهمة نقل الحقيقة، مهما ابتعد ذلك عن الواقع.

مهارات المراسل الحربي²:

للمراسل الحربي أدوات ومهارات وسمات شخصية هامة وضرورية ليكون مؤهلاً لأداء مهمته بطريقة مثلى، نتناولها من خلال هذه المحاور:

مهارات صحفية:

- التفريق بين الصور المختلفة للخبر الصحفي؛ بين الخبر العادي، والتحقيق الاستقصائي، والتقرير، والتحليل المعمق، ومقال الرأي، والمقابلة الصحفية، إلى آخر هذه الأنواع.
- أن يُحسن الإجابة على أسئلة الخبر الستة في مادته حتى تكون مفيدة وافية وإن كانت قصيرة، وهذه الأسئلة هي: ماذا - من - متى - أين - كيف ما مصدر الخبر؟
- أن تكون له مصادره المتنوعة للأخبار.
- أن يمتلك شجاعة الكاميرا ولغة الجسد الجيدة للوقوف أمام الشاشة.

سمات أخلاقية:

- أورد بعضاً منه عارف حجاوي³ في 43 نقطة، تدور حول:
- الاستيثاق من المعلومة، ودقة عرضها، بصدق، وبلا تشويه، أو حجب، أو مجاملة، أو تهويل، أو تدخل بأي صورة، مع تصحيح الأخطاء إن وقعت.
 - لا يلعب بمشاعر المشاهدين ولا ينادي بالثأر.

¹ الحمداني، حازم، الإعلام الحربي والعسكري، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2010، ص73.

² استعان الباحث في هذا المحور بـ "دليل رويترز للمراسل الصحفي"، الذي صدر في لندن عام 2006، في 55 صفحة، ويكتتاب "في المهمة: دليل للتغطية الصحفية في الأوضاع الخطرة"، الذي أصدرته لجنة حماية الصحفيين وترجمه إلى العربية أيمن ح. حداد، وكانت طبعته الأولى عام 1992، لكن صدرت منه تحديثات عدة حتى 2018.

³ حجاوي، عارف، عزيزي المستمع.. الأسس الصحفية لمهنة المذيع مع نماذج من البرامج الإذاعية، معهد الإعلام في جامعة بيرزيت، بيروت، 2006، ص10.

- يتحلى بأمانة النسبة إلى المصادر، ولا ينتحل جهد الآخرين، ويحصل على معلوماته بطريقه شرعية.
- يحترم القانون، ويكون ضد العنصرية والتعصب، ومع المساواة، مهما تنوع الجنس والدين والطبقة.
- الاستقلالية عن توجهات المعلنين والمالكين والدولة والمنصة.
- لا يستغل موقعه للمصالح الشخصية بكل أنواعها.
- يخدم قضايا وطنه والقضايا العادلة عمومًا.

سمات نفسية:

يمكن إجمالها في بعض ما ذكرته وكالة رويترز في نشره لها، وهي: الفضول - الجرأة - الرسالية - الحسّ الإخباري - المثابرة - الموضوعية - الشك - سهولة التواصل.

مهارات أمنية في المناطق غير المعادية:

التدريب: فيحصل على دورة تدريبية أو أكثر، من خلال إحدى الشركات التي تقدم دورات أمنية في كيفية حماية الصحفي لنفسه ولزملائه في العمل الميداني، وتقوم المعرفة الأمنية للمراسل على جناحين، الخبرة والتدريب، فتوجد جوانب مهارية تُثَبِّتُها التجربة، وجوانب أخرى لا بد من معرفتها نظرياً. لذلك تنقسم تلك الدورات في العادة إلى شقين، شقٌّ في قاعة الدرس، وشقٌّ آخر للتطبيق في الميدان وصناعة ظروف شبيهة بتلك التي سيواجهونها هنالك في مناطق النزاع، عن طريق برامج المحاكاة التمثيلية.

مهارات أمنية في المناطق المعادية:

وتضاف إلى المهارات الأمنية السابقة، وهي (البقاء على اتصال - تقليل الأخطار).

أدوات المراسل الحربي¹:

وإذا عددنا النقطة الأولى مهارية تتعلق بمعارف وخبرات يكتسبها المراسل، فإن هذه النقطة أدواتية، تتعلق بمواد ومعدات ينبغي له أن يصطحبها معه حسب الحاجة، ليحصل على أكبر قدر من الحماية والسلامة، ومن هذه الأدوات ما يلي: (السترات الواقية - الخوذات - العربات المصفحة - معدات الوقاية من المواد الكيماوية والبيولوجية - التأمين الصحي).

المخاطر المتوقعة لمهنة المراسل الحربي:

من هذه المخاطر: (الغياب عن الأسرة لفترات طويلة - الإصابة - الأسر - فقدان الزملاء - القتل - كرب ما بعد الصدمة)، وبشكل عام فإن هذه ليست كل الأخطار التي يتعرض لها المراسل الحربي، وفي المكتبة العالمية

¹ استعان الباحث في هذا المحور بـ "دليل رويترز للمراسل الصحفي"، وكتاب "في المهمة: دليل للتغطية الصحفية في الأوضاع الخطرة"، اللذين ورد تفصيلٌ عنهما سابقاً.

الكثير من الكتابات حول هذه القضية.

كيف يحمي القانون الدولي المراسل الحربي؟

يعامل الصحفي المرافق للقوات المسلحة المعتمد من قبلها طبقاً لاتفاقية "جنيف الرابعة سنة 1949" إذا وقع في الأسر، طبقاً لنظام أسرى الحرب، فهو بمثابة جندي. أما النوع الثاني وهو صحفي غير تابع للقوات المسلحة وغير مرافق لها وينفذ مهام خطيرة في مناطق النزاع المسلح، فلا يعامله القانون الدولي كجندي، بل يخضع لنظام حماية المدنيين، طبقاً للمادة 79 من البروتوكول الإضافي الأول لعام 1977.

درس تطبيقي على المنهج المقترح:

وبتطبيق وسيلتي الاستبانة والمقابلة اللتين طبقتا على عدد من المراسلين الحربيين العاملين أمكننا استخراج خطوط للمنهج المقترح تحت محاوره (اللغوية – الاتصالية – التقنية – الثقافية – العامة)، وتحديد (أهدافه – محتواه – طرق تدريسه – تقويمه)، ونبتاول في السطور القادمة درساً تطبيقياً لهذا المنهج.

"شهود العيان"

النتائج المتوقعة للدرس:

- 1 - قدرة المراسل على إجراء حوار مع شهود العيان.
- 2 - تعلم بعض عبارات التواصل الإنساني مثل تقديم التعازي.
- 3 - فهم المعنى العام وطرح السؤال المناسب.

شهود العيان

المُرَاسِلُ: سَيِّدَاتِي سَادَتِي نَعْرِضُ لَكُمْ هَذَا الْجَوَّارَ مَعَ شَاهِدٍ عَيَانٍ بِمِنْطَقَةِ الزَّعِاعِ عَلَى الْحُدُودِ السُّورِيَّةِ-الْتُّرْكِيَّةِ فِي الْجَانِبِ السُّورِيِّ الْمُتَاخِمِ لِمَدِينَةِ شَانْلِي أَوْرُقَا التُّرْكِيَّةِ، مَرْحَبًا أَخِي.

شَاهِدُ الْعَيَانِ: مَرْحَبًا.

المُرَاسِلُ: مَاذَا حَدَّثَ هُنَا هَذَا الصَّبَاحَ؟

شَاهِدُ الْعَيَانِ: قَصِفْتُ مِنْ جَانِبِ النِّظَامِ السُّورِيِّ لِلْمَدَنِيِّينَ.

المُرَاسِلُ: فِي رَأْيِكَ مِنَ الْمُسْتَهْدَفِ مِنْ هَذَا الْقَصْفِ؟

شَاهِدُ الْعَيَانِ: جَيْشُ النِّظَامِ يَدَّعِي أَنَّهُ يَرُدُّعُ الْمُتَمَرِّدِينَ مِنَ الْمُعَارِضَةِ.

المُرَاسِلُ: لِمَاذَا تُسَيِّ ذَلِكَ ادِّعَاءًا، أَلَيْسَ هَذَا صَحِيحًا؟

شَاهِدُ الْعَيَانِ: الْحَقِيقَةُ أَنَّ الْقَذِيفَةَ سَقَطَتْ عَلَى أَحَدِ بُيُوتِ الْمَدَنِيِّينَ وَلَا عِلَاقَةَ لِذَلِكَ بِمُوَاجَهَةِ الْمُعَارِضَةِ.

المُرَاسِلُ: مَا الْخَسَائِرُ الَّتِي تَرْتَبَتْ عَلَى هَذَا الْقَصْفِ؟

شَاهِدُ الْعِيَانِ: تُوفِّي كُلُّ مَنْ كَانَ فِي الْمَنْزِلِ مِنْ أَثَرِ الْقَصْفِ.

الْمُرَاسِلُ: كَمْ كَانَ عَدَدُهُمْ؟

شَاهِدُ الْعِيَانِ: خَمْسَةٌ، أَبًا وَأُمًّا وَثَلَاثَةَ أَبْنَاءٍ، بَيْنَمَا كَانَ الْابْنُ الرَّابِعُ خَارِجَ الْمَنْزِلِ.

الْمُرَاسِلُ: تَعَاذِينَا فِي الضَّحَايَا، شُكْرًا لَكَ.

كلمات جديدة:

أسماء: مُتَاخَم - شاهد عيان - نزاع - قصف - مدني - مستهدف - متمرد - معارضة - ادِّعاء - قذيفة - علاقة - مواجهة - خسائر - تعازي - ضحايا.
أفعال: يعرض - يدَّعي - يُسَيِّ - تَرْتَّب - تُوفِّي.
روابط: من أثر - بينما.
أدوات استفهام: ماذا - من - ما - كم.
تدريب:

(1) ضع علامة √ أمام العبارة الصحيحة وعلامة X أمام العبارة الخاطئة:

- تقع سوريا بجوار تركيا وبينهما حدود مشتركة ()
- قَتَلَ الجيش التركي في هذه الحادثة مدنيين أتراكا ()
- ضحايا القصف أب وأم وأربعة أبناء ()
- جرى قصف المنزل صباحًا ()
- جيش النظام السوري يكذب ()
- (2) أدخل هذه الكلمات في جمل من إنشائك: (بينما - توفي - كم - مستهدف - خسائر).

توصيات:

في ختام المقال يوصي الباحث بما يلي:

- تأليف كتب يمكن تدريسها لشريحة المراسل الحربي مباشرة على غرار الدرس بالأعلى.
- توسيع مجال دراسة شريحة المراسل الحربي بعقد مزيد من المقابلات ونشر الاستبانة على نطاق أوسع لمزيد من الدقة والصدق.
- تتبع المناهج السابقة التي صُممت لشرائح أخرى وتحويلها إلى كتب تعليمية قابلة للاستخدام المباشر.

- مواصلة تغطية الشرائح التي لم يتناولها البحث العربي في مجال تعليم العربية لأغراض خاصة.

المصادر والمراجع:

المراجع العربية:

- 1 - حجاوي، عارف، عزيزي المستمع.. الأسس الصحافية لمهنة المذيع مع نماذج من البرامج الإذاعية، معهد الإعلام في جامعة بيرزيت، بيروت، 2006.
- 2 - الحدقي، إسلام يسري، منهج متكامل لتعليم العربية لأغراض الدبلوماسية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، كوالالمبور، 2008.
- 3 - حسين، مختار الطاهر، تعليم اللغة العربية لغير الناطقين في ضوء المناهج الحديثة، ط1، الدار العالمية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011.
- 4 - الحمداني، حازم، الإعلام الحربي والعسكري، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمّان، 2010.
- 5 - رويترز، "دليل رويترز للبراسل الصحفي"، لندن، 2006.
- 6 - أبوسمرة، محمد، استراتيجيات الإعلام العسكري والحربي، دار الراية، 2012.
- 7 - طعيمة، رشدي، مجلة تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة، وثائق وبحوث: ندوة تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة، الخرطوم، 2005.
- 8 - لجنة حماية الصحفيين، "في المهمة: دليل للتغطية الصحفية في الأوضاع الخطرة"، ترجمة أيمن ح. حداد، ط1: 1992، صدرت منه تحديثات عدة حتى 2018.
- 9 - الناقة، محمود كامل، برامج تعليم العربية للمسلمين الناطقين بلغات أخرى في ضوء دوافعهم، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1985.

المراجع الأجنبية:

- 1- Hutchinson and Waters, English for specific purposes, Cambridge University Press, sixth printing, U.K, 1991.
- 2- Krahnke, K, Approaches to Syllabus Design for Foreign Language Teaching, Language in Education: Theory and Practice, No 67, Prentice-Hall, Inc., Book Distribution Center, Route 59 at Brook Mill Drive, West Nyack, Ny 10994, 1987.
- 3- Strevens, ESP after twenty years: A re-appraisal. ESP: State of the Art, Singapore, 1988.
- 4- Tyler, Ralph W, Basic Principles of Curriculum and Instruction, University of Chicago Press, 1949.

صلة مجهولة للفعل "حَلَّ يَحُلُّ"



- د. أورك زيب الأعظمي

رئيس التحرير - مجلة الهند الدولية المحكمة

أستاذ مساعد، في قسم اللغة العربية وآدابها،

بالجامعة المليية الإسلامية، نيودلهي

Abstract :Like some other foreign languages Arabic enjoys with peculiar use of prepositions for a single verb. For example, *kharaja yakhruju khurūjan* which is used with five different prepositions (*ilā, bā, ‘alā, ‘an* and *fī*) as it is used without preposition too. These prepositions, when used, bring a significant change into the original meanings of the verbs. Such useages are called ‘*taḍmīn*’ or ‘*ikhtilāf al-ṣilah wa al-fī’l*’ as named by the great scholar of India ‘Imām ‘Abdul Ḥamīd Farāhī.

Halla yahullu/yahillu is an Arabic verb which has five prepositions. Among these prepositions are ‘*ilā*’ and ‘*an*’ that, unfortunately, could not find place in Arabic dictionaries. In the following short article only one preposition of this verb- *ilā*- is discussed in the light of Arabic poetry and the Holy Qur’ān.

مدخل إلى الموضوع:

اللغة العربية، كمثل اللغات الأخرى، تتغير معاني الأفعال فيها بتغير حروف الجر (صلات الأفعال) مثل فعل "خَرَجَ يَخْرُجُ خُرُوجًا" فإذا دخلت عليه "إلى" دلّ على معنى البروز إلى العدو المهاجم، وإذا دخلت عليه "الباء" دلّ على معنى الإخراج، وإذا دخلت عليه "على" دلّ على معنى الاتباع والظهور، وإذا دخلت عليه "عن" دلّ على معنى النفي عن الشيء، وإذا دخلت عليه "في" دلّ على معنى الخروج من خلاله، وأما إذا دخلت عليه "من" فيدلّ على معنى الخروج من مكان خاص. والقرآن الكريم قد كثرفيه استخدام هذا الأسلوب. يسميها معظم اللغويين بـ"التضمين" بينما سماها الإمام عبد الحميد الفراهي بـ"اختلاف الصلة والفعل".¹

ومن مثل هذه الأفعال فعل "حلّ يحلّ" فجاءت له خمس صلات (إلى والباء وعلى وعن وفي). ذكرت المعاجم ثلاثاً منها وهي (الباء وعلى وفي) بينما فاتها ذكر الاثنتين وهما (إلى وعن). وفي هذه المقالة نخصّ حديثنا بصلة "إلى". وسندرس صلة "عن" في مقالة أخرى إن شاء الله تعالى.

¹ رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن، 1/199

فعل "حَلَّ يَحُلُّ" بصلة "إلى" في القرآن الكريم وكلام العرب: حلَّ يحُلُّ: جاء واستقرَّ، وحلَّ يحِلُّ: جاز وشرع. وصلة "إلى" جاءت مع كلا البابين (يَحُلُّ ويَحِلُّ). استخدم الشعراء العرب البابَ الأوَّل. وأما الباب الثاني فلمَّا أجد شاهداً عليه في كلام العرب سوى أنَّ القرآن الكريم قد استخدمه. قال زهير بن أبي سلمى يمدح بني سنان:

فالناس فوجان، في معرفه، شرَّعُ	فمنهم صادر، أوقارِبُّ يردُّ
رحبُ الفناء لو أنَّ الناسَ كلهم	حلَّوا إليه، إلى أن ينقضي الأبد
ما زال في سببه سَجَلٌ يعمهم	ما دام في الأرض، من أوتادها، وتد ¹

وقال لبيد بن أبي ربيعة العامري:

وجارته إذا حلَّت إليه	لها نفلٌ وحظٌّ في السنام
فإنَّ تقعدَ فمُكرمةَ حصانٍ	وإنَّ تظعنَ فمُحسنةُ الكلام ²

وقال الأثير بن المعتز الرباعي:

وإنَّ جارةً حلَّت إليه وفي بها	فبانَتْ ولم تُهتِكْ لجارته سترُ
عفيفٌ عن السوات ما التبتست به	صليبٌ فما يُلْقَى بعُودٍ له كسر ³

وقال المخبل السعدي:

نقلنا له أثمانه في بيوتنا	وحلَّت إلينا يومَ حلَّت رواحلُه ⁴
---------------------------	--

ف"حلَّ إليه" يعني هنا "أوى إليه ولجأ".

وقالت الخنساء، و"حلَّ إليه" هنا يعني "جاء" و"وصل":

إذا ما الضيقُ حلَّ إلى ذراه	تلقاه بوجهٍ غيرِ بَسْرٍ ⁵
-----------------------------	--------------------------------------

وقال تعالى:

"ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْبَرُ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ۚ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ

¹ ديوانه، ص 44

² ديوانه، ص 201

³ شعراء أمويون، ص 284

⁴ عشرة شعراء مقلون، ص 68

⁵ ديوانها، ص 44

آلَعَتِيق ٣٣". (سورة الحج)

مردفات هذا الفعل مع هذه الصلة: وترادف معناه الأول (أوى إليه) أفعال عديدة بنفس الصلة ومنها فعل "أوى إليه" فقال الأفوه الأودي:

إلى حفرة يأوي إليها بسعيه	فذلك بيت الحق لا الصوف والشعر ¹
---------------------------	--

و"بيت الحق": البيت الذي يخلد فيه.

وقال عامر المحاربي:

وكنا نجوماً كلما انقضّ كوكبٌ	بدا زاهرٌ منهنّ ليس بأقتماً ²
بدا زاهرٌ منهنّ تأوي نجومه	إليه إذا مستأسد الشرّ أظلماً
ألا أيها المستخبري ما سألتني	بأيامنا في الحرب إلا لتعلماً ³

وقال الأخطل:

لعمرك ما لاقيتُ يوم معيشةٍ	من الدهر، إلا يوم شقراء أقصرُ
حواريةٌ لا يقربُ الدّمُ بيتها	مطهرةٌ يأوي إليها مطهر ⁴

وقال تعالى: "قَالَ لَوَأَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْءَاوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ٨٠" (سورة هود)

وفعل "أتى إليه" كما قال أبو ذؤيب الهذلي:

على إثر أخرى قبل ذلك قد أتت	إليك فجاءت مُقشعراً شوائها ⁵
-----------------------------	---

وقال ساعد بن جوية:

ولا أقيم بدار الهون إنّ ولا	آتي إلى الغدر أخشى دونه الخمجا ⁶
-----------------------------	---

وفعل "بكى إليه" كما قال أبو جلدة اليشكري:

فقلّ للحواريّات يبكين غيرنا	ولا تبكنا إلا الكلابُ النوايحُ
-----------------------------	--------------------------------

¹ ديوانه، ص 71

² أقتم: ما عليه الغبار

³ ديوان المفضليات، ص 319

⁴ ديوانه، ص 175

⁵ ديوان الهذليين، 1/162

⁶ ديوان الهذليين، 2/210 والخمج: سوء الثناء

رماحُ النصاري والسيوف الجوارح¹

بكين إلينا خشيةً أن تُبيحها

وفعل "جمع إليه" فقال لبيد بن أبي ربيعة العامري:

أولئك أسرتي فاجمع إليهم	فما في شعبتك لهم نديد ²
-------------------------	------------------------------------

وقال تعالى: "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْفِيئَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا
٨٧". (سورة النساء)

وكذا فعل "جاء إليه" كما قال تأبط شراً:

ألا تلكما عِرسِي، مَنِيعةٌ، ضُمِنْتُ	من الله إثمًا ³ مستسرًا وعالنا
تقول: تركتَ صاحبًا لك ضائعًا	وجئتَ إلينا فارقًا مُتباطنًا ⁴
إذا ما تركتُ صاحبي لثلاثة	أو اثنينِ مثلينا فلا أبتُ آمنًا ⁵

وقالت الخنساء:

فناط ⁶ إليها سيفه ورداءه	وجاء إلى أفياء ما علَّقَ الركبُ ⁷
-------------------------------------	--

وقال أبو جندب:

أبي الناسُ إلا الشرَّمني فدعهم	وإياي ما جاءوا إليّ بمنكر ⁸
--------------------------------	--

"جاءوا إليّ بمنكر" أي ارتكبوا المنكر ثم لجأوا إليّ.

وقال النمر بن تولب:

فجاءتْ له حرْدُ ⁹ إليّ كأنما	تجلَّلها من نافضِ الوردِ أفكَل ¹⁰
---	--

ومنه "أجاءه إليه" كما قال حسان بن ثابت الأنصاري:

¹ شعراء أمويون، ص 387² ديوانه، ص 46³ إثم هنا لسوء الظن والقول، منيعة اسم امرأته⁴ الفارق من فرق الشعر والمتباطن: ممثلي البطن.⁵ ديوانه، ص 212-213 و"فلا أبتُ آمنًا" دعاء من الشاعر على نفسه.⁶ ناط: علَّق⁷ ديوانها، ص 15⁸ ديوان الهذليين، 93/3⁹ الحرْد: الغيظ¹⁰ جمهرة أشعار العرب، ص 425

إذ شددنا شدة صادقة	فأجأناكم إلى سفح الجبل ¹
ومنه قوله تعالى: "فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ". (سورة مريم)	
وهكذا فعل "ركن إليه" فقال حسان بن ثابت الأنصاري:	
رَكْنَا إِلَيْهِ وَلَمْ نَعْصِهِ	غداةً أتانا من أرضِ الحرم ²
و"اطمأن إليه" كما قال الكميت الأسدي:	
أمامَ قلوبٍ كالحصى مطمئنةً	إلى ثقةٍ المستبطآتِ عجَّالها ³
و"فزع إليه" كما قال الأعشى الكبير:	
فإذا ربيعةً أزمعت لعظيمة	فزعتُ إليك، خيولها ورجالها ⁴
و"لجأ إليه" فقال عدي بن زيد العبادي:	
أسندَ ظني إلى المليك ومن	يلجأ إليه فلم ينله الضر ⁵
وكذلك "ورد إليه" فقال يزيد بن عبد المدان:	
تمالى على النعمان قومٌ إليهم	موارده في ملكه ومصادره
على غيرِ ذنبٍ كان منه إليهم	سوى أنه جادت عليهم مَواطره ⁶
وقال الكميت الأسدي:	
إليه مواردُ أهلِ الخصاص	ومن عنده الصَدَرُ المُبْجِلُ ⁷
وأما المعنى الثاني (جاء ووصل) فبرادفه فعل "بلغ إليه" كما قال عنتره بن شداد العبسي:	
ما زلتُ مرتقبًا إلى العلياء	حتى بلغتُ إلى ذرى الجوزاء ⁸

¹ شرح ديوانه، ص 242² شرح ديوانه، ص 305³ ديوانه، ص 272⁴ ديوانه، 717/2⁵ ديوانه، ص 128⁶ شعراء النصرانية، 89/1⁷ ديوانه، ص 323⁸ ديوانه، ص 22

وفعل "صار إليه" كما قال النعمان بن بشير الأنصاري:

إلهم يصير الأمر بعد شتاته	فمن لك بالأمر الذي هو لازم ¹
---------------------------	---

وقال الفرزدق:

أرى العز والأحلام صارت إلهم	وإن ثوب الداعي رأيهم حشداً ²
-----------------------------	---

ويشبهه "نزل إليه" فقال امرؤ القيس:

فلما أجنّ الشمس عني غورؤها	نزلتُ إليه قائماً بالحضيض ³
----------------------------	--

وقال القطامي:

فكلّ قبيلة نزلوا إلينا	وحلّوا بيننا كرهوا الوقاعاً ⁴
------------------------	--

مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ: وقبل نهاية هذا المقال نودّ أن نتحدّث قليلاً عن قوله تعالى "مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ". فـ"مَحَلُّهَا" هنا من حلّ يحلّ (بكسر الحاء) لا من حلّ يحلّ (بضمّ الحاء) كما قلنا في البداية. يقول ابن عاشور:

"المحلّ بفتح الميم وكسر الحاء مصدر ميمي من حلّ يحلّ إذا بلغ المكان واستقرّ فيه. وهو كناية عن نهاية أمرها، كما يقال: بلغ الغاية، ونهاية أمرها النحر أو الذبح. و(إلى) حرف انتهاء مجازي لأنها لا تنحرف في الكعبة، ولكن التقرب بها بواسطة تعظيم الكعبة لأن الهدايا إنما شرعت تكملة لشرع الحج، والحجّ قصد البيت".⁵

ويقول الشيخ أمين أحسن الإصلاحات صاحب تفسير "تدبر قرآن" مشيراً إلى كونه تضييماً: "مجيء حرف الجر (إلى) بعد (مَحَلُّهَا) تضمين وهو يعني ثم سوقها إلى البيت العتيق فذبحها هناك".⁶

ونحمد الله سبحانه وتعالى على أنه وفّقنا لخدمة اللغة العربية لغة القرآن الكريم ولغة أهل الجنة.

¹ ديوانه، ص 140

² ديوانه، ص 121

³ ديوانه، ص 96

⁴ ديوانه، ص 34

⁵ تفسير التحرير والتنوير، 258/17

⁶ تدبر قرآن، 247/5 وقال الطبري بعدما نقل الأقوال المختلفة عن الآية الثالثة والثلاثين: "وأولى الأقوال عندي بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ثم محلّ الشعائر التي لكم فيها منافع إلى أجل مسعى إلى البيت العتيق، فما كان من ذلك هدياً أو بدناً فبموافاته الحرم في الحرم، وما كان من نسك فالطواف بالبيت". تفسير الطبري، 549/16

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- تدبر قرآن (باللغة الأردوية) للشيخ أمين أحسن الإصلاحي، تاج كمبني، دلهي، الهند، 1989م
- تفسير التحرير والتنوير للإمام ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م
- جامع البيان عن تأويل أي القرآن (تفسير الطبري) للعلامة ابن جرير الطبري، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط1، 2001م
- جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، تحقيق: محمد علي البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.
- ديوان الأخطل، شرح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1994م
- ديوان الأعشى الكبير بشرح محمود إبراهيم محمد الرضواني، وزارة الثقافة والفنون والتراث، إدارة البحوث والدراسات الثقافية، الدوحة، قطر، 2010م
- ديوان الأفوه الأودي، شرح وتحقيق: د. محمد التونجي، دار صادر، بيروت، ط1، 1998م
- ديوان الخنساء، اعتنى به وشرحه: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، 2004م
- ديوان الفرزدق، شرح الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987م
- ديوان القطامي، تحقيق: إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1960م
- ديوان الكميت بن زيد الأسدي، جمع وشرح وتحقيق: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط1، 2000م
- ديوان المفضليات للمفضل الضبي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط6
- ديوان النعمان بن بشير الأنصاري، تحقيق: الدكتور يحيى الجبوي، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط2، 1985م
- ديوان النمر بن تولب العُكلي، شاعر مخضرم، جمع وشرح وتحقيق: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط1، 2000م
- ديوان الهذليين، الجمهورية العربية المتحدة، الثقافة والإرشاد القومي، طبعة دار الكتب، 1996م
- ديوان امرئ القيس، ضبطه وصحّحه: الأستاذ مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م
- ديوان تأبط شراً وأخباره، جمع وتحقيق وشرح: علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1984م
- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي، شرح: ضابط بالحربية، مطبعة السعادة، مصر، د.ت
- ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح وتقديم: الأستاذ علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988م
- ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق وجمع: محمد جبار المعبيد، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، 1965م
- ديوان لبيد بن أبي ربيعة العامري، دار صادر، بيروت، د.ت
- رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن للإمام عبد الحميد الفراهي (المجموعة الأولى)، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائير، أعظم كره، الهند، 1991م
- شرح ديوان عنتر بن شداد العبسي، للعلامة التبزي، دار الكتاب العربي، ط1، 1992م
- شعراء النصرانية للأب لويس شيخو اليسوعي، مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين، بيروت، 1890م
- شعراء أمويون للدكتور نوري حمودي القيسي، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط1، 1985م
- عشرة شعراء مقلّون، صنعة: أ.د. حاتم صالح الضامن، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، العراق، 1990م

النبوغ المغربي في التصنيف الأدبي

قراءة في الفسيفساء الأدبية في كتاب "المصون في سر الهوى المكنون"

لإبراهيم الحصري القيرواني

Moroccan Tobacco in Literary Classification

Read in the literary mosaics in the book of "almusawn fi sirialhiwaaalmaknun

" Ibrahim Al-HosariKairwani"

الدكتور عبد المالك مغشيش

قسم اللغة والأدب العربي ،

جامعة عباس لغرور خنشلة الجزائر

Abstract :The book "almusawn fi sirialhiwaaalmaknun" by Moroccan critic" Ibrahim Al-Hosari" is a miniature of the general life in the "alsinhaji" era during the days of this country's glory when the Islamic Maghreb reached the height of prosperity, cultural progress and prayers. This is why the exclusive author writes his book in accordance with the wishes of the recipients of all kinds of life and literature, and he has created it through this book, which puts the reader in the direction of many and varied models of literature that can be dispended from other works. It has a variety of literary varieties in a harmonious mosaic of value and beauty.

Key words (:Al-Hosari, almusawn, Recipient, Moroccan Literature)

الملخص: إن كتاب "المصون في سر الهوى المكنون" للأديب و الناقد "إبراهيم الحصري" المغربي صورة مصغرة للحياة العامة في العهد الصنهاجي في أيام عز هذه الدولة حين وصل المغرب الإسلامي قمة الازدهار و الرقي الحضاري و الدعة، مما جعل الحصري يؤلف كتابه بما يتوافق ورغبات المتلقين في شتى صنوف الحياة و الأدب و قد أبدع في ذلك من خلال هذا المصنف الذي وضع القارئ اتجاه نماذج من الأدب عديدة ومتنوعة يستطيع أن يستغني به عن غيرها من المصنفات، بما تتضمنه من صنوف أدبية متنوعة في فسيفساء منسجمة ذات قيمة وجمال.

الكلمات المفتاحية: (الحصري ، المصون، المتلقي، الأدب المغربي).

مقدمة: بلغ التأليف الأدبي في الأدب المغربي القديم مع نهاية القرن الرابع الهجري قمة الازدهار و الرقي في دعائمه الثلاث، الشكل و المضمون و الكم و الكيف، لكن الملاحظ أن نشاط الدراسات النثرية، في شقيها الفني و التألوفي لم يكن متساويا خلال هذا العصر في عطائه، فالنثر التألوفي الأدبي كان أكثر ظهورا و بروزا في القرن

الخامس الهجري لما شهدته الساحة الثقافية والأدبية والفكرية من نشاط بارز وازدهار كبير.

ومن الملاحظ أن حجم الحركة الأدبية الكبرى في هذا العصر، ولدت عددا من الأصناف التأليفية المختلفة التي تطورت مع تطور المجتمع ورفيحه، ولذلك فإن بعض أشكال التصانيف قد سمت وارتقت وتعددت، فيما بعضها قد قلت وندرت وخبث، وهذا لدواعي سياسية ومذهبية، حيث نجد أن الكتابات الأدبية بصنوفها المختلفة، قد شملها التطور والازدهار، فيما نجد التصانيف المذهبية قد قلت مقارنة بالقرون السابقة.

وقد بزغ مع بداية القرن الخامس الهجري ثلة من الكتاب والمؤلفين المرموقين والمتخصصين، ذوي الثقافة المتنوعة والتميزة منهم إبراهيم الحصري، مما جعل الكتابات الأدبية تبلغ شأوا كبيرا، فظهرت الكتابات الأدبية الجادة والهزلية والنقدية... وغيرها، وهي نوع من الكتابات التي برزت مع نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجري، على يد مجموعة من الأدباء، الذين نعموا برفاهية العيش ورغده في بلاط الدولتين الصنهاجية والحمادية، لما استقامت الحياة في المغرب وتطور المجتمع.

1- الحصري المبدع المتألق في مصنفاته:

لعل الدافع الأساس لتأليف الحصري لكتبه يعود أساسا إلى ما أورده "ابن رشيق" في قوله: "كان الحصري قد نشأ على الوراقة والنسخ لجودة خطه، وكان منزله ملاصق لجامع مدينة القيروان، فكان الجامع بيته وخزائنه، وفيه اجتماع الناس إليه ومعه، ولزمه شبان القيروان، وأخذ في تأليف الأخبار وصنعة الأشعار مما يقرب في نفوسهم، فراس عندهم، وشرف لديهم"⁽¹⁾.

ومنه نلاحظ أن المؤلف جمع قلوب الفتية حوله فأحبوه، وأصبح قبلة لشباب القيروان، وصار كالحكواتي، يسرد أخبار الظرفاء والندماء والملح والنوادر... وما جاء في كتابه "المصون" من أخبار الحب والغرام التي تستهوي الشباب.

ويقول "الشاذلي بويحي" عن مؤلفات "الحصري"⁽²⁾ أنها تجسد لنا ضربا من صنوف الأدب المتخصص، وهو "الأدب عن طريق النصوص، وتقدم أمثل نموذج منه في اللغة العربية"⁽³⁾، وكتبه تتكامل في ثالوث يعتمد على تعليم الأدب بطريقة مباشرة، وهي التي تضع القارئ اتجاه نماذج من الأدب عديدة ومتنوعة

¹ ابن رشيق: أنموذج الزمان في شعراء القيروان، جمع وتحقيق: محمد العروسي المطوي و بشير البكوش، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1986، ص 45-46.

² إبراهيم الحصري (413 هـ/1023 م): "هو إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري القيرواني، كان شاعرا فحلا وأديبا رقيقا وناقدا بارزا ذا تأليف كثيرة. من أهل القيروان. نسبته إلى عمل الحصر، وهو ابن خالة الشاعر أبي الحسن الحصري ناظم (يا ليل الصب). له عدة مؤلفات أدبية جد مهمة في ملح الشعر والخبر. (ابن رشيق: المصدر السابق، ص 45-49).

³ الشاذلي بويحي: الحياة الأدبية بافريقية في عهد بني زيري، تعريب: محمد العربي عبد الرزاق، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة)، تونس، م، دط، 1999، ج 2، ص 722.

يستطيع أن يلقن منها بطريقة مباشرة دون وسيط، بما تتضمنه من صنوف أدبية متنوعة في فسيفساء منسجمة ذات قيمة وجمال، كما يجمع مختارات منتقاة بعناية ومنهجية عالية لأحسن الكتاب والشعراء في عصره، مستجيباً لما تمليه عليه دفته وذوقه العاليين، واستجابة لرغبة الناشئة المغربية في القيروان المستمتعة والمتذوقة لمثل هذا الأدب الزاخر.

ومن أبرز مصنفاته كتاب "زهر الآداب وثمر الألباب" ذو القيمة الأدبية ومختصره عرف أيضاً بـ "نور الطرف ونور الظرف"، ويقع في جزء واحد، كما يسمى أيضاً، "كتاب النورين". وتفرد "ابن بسام" وحده بالقول هو: كتاب، "النور والنور"، وكتاب "زهر الآداب وثمر الألباب" جعل الحصري في مصاف مؤلفي المجاميع الأدبية المشهورة مثل الجاحظ، والثعالبي، والمبرد، وابن عبد ربّه، وعبد الكرم النهشلي التاهرتي، وابن رشيق المسيلي القيرواني... وغيرهم.

هذا الحصري فيه حذو الجاحظ في كتاب "البيان والتبيين"، حيث تتألف مادة الكتاب الأدبية من مختارات شعرية ونثرية، ونوادر، وهو لا يتقيد بموضوع أدبي محدد، كما لا يتقيد بالحديث بالوحدة العضوية في الموضوع فهو ينتقل منه إلى غيره ثم يعود إليه، ثم يأتيك بنبذ نقدية، لذلك سماه زهر الآداب دليلاً على أنه يقطف من كل بستان زهرة. وأثنى عليه القدامى والمحدثون. فهذا "أبو القاسم كرو وعبد الله شريط"، في كتابهما: "شخصيات من المشرق والمغرب" يقولان: "أن إبراهيم الحصري تبني منهجية لا تختلف عما كانت تسير المجاميع الأدبية عليه في نهج بين التنوع والتلوين"، وفي ظن "عبد الجبار الشريف وعلي دب - أن كتاب زهر الآداب "يعد من أهم كتب الأدب الخالص، بما اشتمل عليه من مضامين وقيم أدبية واجتماعية ونقدية وتاريخية، ووصفية"⁽¹⁾.

ومن كتب الحصري أيضاً، كتاب: "جواهر النوادر ولج المُلح"، وهو الاسم الذي أطلقه الأديب نفسه على كتابه هذا، وإن كان مؤرخو الأدب القدامى، قد أطلقوا عليه اسم كتاب "جمع الجواهر في المُلح"⁽²⁾ والنوادر⁽³⁾.

ويمكن اعتباره امتداداً لكتاب "زهر الآداب وثمر الألباب" لأنه جاء مكملًا له لكونه يختلف عنه في

¹ أبو القاسم محمد كرو وعبد الله شريط: شخصيات أدبية من المشرق والمغرب، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط 2، 1966م، ص 134.

² المُلح: جمع واحدته المُلحة من الأحاديث وهي من الحُسْن أي الملاحاة فدلالها الطرائفية جاءت من تميزها بالحسن. في اللسان: "وقد مُلِحَ مُلْحٌ مُلُوحَةٌ ومُلاحَةٌ ومُلْحٌ أي: حُسْن فهو مُلِحٌ ومُلْحٌ ومُلَاحٌ... والمُلحة والمُلحة: الكلمة المليحة والمُلح: جاء بكلمة مُليحة (ينظر: ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 3، د.ت. ج 12، ص 117، مادة ملح).

³ النوادر: جمع نادرة وهي من النثرة، وفيها معنى الخروج فالنادر هو الخارج أو السقوط أو الشذوذ "قال الليث: يقال ندر الشيء إذا سقط، وإنما يقال ذلك لشيء يسقط من بين شيء أو من جوف شيء، وكذلك نوادر الكلام يندر.. وأشار الجوهري إلى دلالة الشذوذ فقال: ندر الشيء يُندر نَدْرًا: سقط وشذ ونَوَادِر الكلام تُندَر، وهي ما شذ وخرج من الجمهور. (ينظر: الأزهرى: تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون وآخرين، دار العربي، القاهرة، ج 4، د.ت، ص 3541. (مادة ندر)).

الموضوعات التي يعالجها. فإذا كان زهر الأدب كتاب في " الجديات "، فإن هذا الكتاب يدخل في " الهزليات ". لذلك نجده يتناول " النوادر و ملح الملح، وفواكه الفكاهات، ومنازه المضحكات " التي " ترتاح إليه الأرواح، وتطيب له القلوب، وتفتق فيه الآذان، وتشجذ به الأذهان، ويطلق النفس من رباطها، ويعيد إليها عادة نشاطه إذا انقبضت بعد انبساطها، فقد قيل: القلب إذا أكره عمي".

وهذا فكتاب " جمع الجواهر في الملح والنوادر"، يعد من الكتب القلائل الأدبية الهزلية التي وقفت عند فن النادرة والحكايات الطريفة بالمغرب، وبه استطاع الحصري أن يجمع القلوب ويروح عنها، وعموما فمؤلفاته المتنوعة، تدل إلى كونه أديبا متذوقا وشاعرا قبل أن يكون مؤلفا لذلك لا عجب أن يورد فيه الأشعار التي استهوته، وانتقاؤه للنماذج التي رأى فيها روعة وفنا في موضوعه المطروق، كتبعه لكل الأشعار التي استحسناها في وصف الحب.

ومما جاء في سبب تأليف الكتاب قوله: " سألت أطل الله بقاءك، وحرس إخاءك، من زكا بسقي مودتك زرعه ونما، وعلا برعي محبتك فرع وسما، فانقاد إليك قلبه بغير زمام، وصح فيك حبه بغير سقام أن يجمع لك كتاباً في "جواهر النوادر و ملح الملح"، وفواكه الفكاهات، ومنازه المضحكات، ترتاح إليه الأرواح، وتطيب له القلوب، وتفتق فيه الآذان، وتشجذ به الأذهان، ويطلق النفس من رباطها، ويعيد إليها عادة نشاطه إذا انقبضت بعد انبساطها، فقد قيل: القلب إذا أكره عمي"(1).

2- المصون في سر الهوى المكنون (انتقاء المبدع واستمتاع المتلقي):

من مؤلفات الحصري التي بلغت شهرة واسعة: كتاب "المصون في سر الهوى المكنون" وقيل الدر المكنون، ويقع في جزء واحد، وهو ذوق قالب أدبي طريف في بابه، إذ هو كما يقول "الشاذلي بويحي" موضوع الحب المكنون في الصدر وهو دراسة تحليلية لعاطفة الحب في مظاهرها " ويرى أن هذا الكتاب ربما يكون أصلاً لكتاب "طوق الحمامة في الألفة والألاف"، "للأديب الأندلسي ابن حزم القرطبي" " المعاصر له (2)، "لكن محقق المصون لم يجزم أيضاً بمن تأثر بالآخر، لأنه حسب تحليله فالكتابان مختلفان جذرين"(3). ومهما يكن فإن الحصري قد فاق في خطته "ابن حزم"، ذلك لأن كتاب طوق الحمامة يعتبر في عرفنا الحاضر مذكرات شخصية، أما كتاب المصون فإنه كتاب علم وأدب.

والكتاب عبارة عن محاورة، نسيها الحصري إلى أليفين، لا يسميهما، ولكن أحدهما سائل، والآخر

¹ إبراهيم الحصري: جمع الجواهر في الملح والنوادر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، لبنان، ط2، 1407هـ، ص1-2.

² الشاذلي بويحي: المرجع السابق، ج2، ص725.

³ إبراهيم الحصري: المصون في سر الهوى المكنون، تع: النبوي عبد الواحد شعلان، دار سجنون للنشر والتوزيع، تونس، 1990، ص23.

مجيب. وموضوع المحاور المعلن عنه هو مسائل في الهوى وحالاته ومراتبه ودرجاته و"المصون في سر الهوى المكنون" اتخذ فيه "الحصري" موضوع كتم سر الحب مكانة محورية في مؤلفه ولذلك فالكتاب يدور عموماً حول مشاعر الحب، وآلاف الصور التي يتجلى بها علانية، ولا يكتفي المؤلف في هذا السياق بالاستشهاد بكتاب عرب يعتد برأيهم، بل يعرض لنا أيضاً آراء الفلاسفة اليونانيين، كما اعتمد فيه على أسلوب الحوار الذي تخلل مجمل صفحات الكتاب.

كما يقدم للقارئ ضرباً خاصاً من ضروب العشق في التراث العربي الإسلامي، بما أورده من مصطلحات صوفية لا يمكن أن توظف في الغزل، وهي تتحد بين العاشق والمعشوق عبر رياضة الصمت، ورياضة الذكر الصامت هو الغاية المثلى، فتفقد اللغة معناها في هذه الحال.

إن تنظير القدماء لهذا الصنف من العشق مثلما فعل "إبراهيم الحصري" في كتابه ليس منعزلاً فيما نرى عن تفشي ظاهرة التصوف ابتداء من القرن الخامس الهجري، لقد كتب الكثير عن العشق في التصوف، فكان كتاب الحصري "المصون" في الإمكانية الأخرى، أي دخول التصوف في العشق.

إن المتتبع لمؤلفات الحصري، يرى أنه يسير على طريقة كتابات المشاركة كالجاحظ في البيان والتبيين، وكتابات القالي في الأمالي وفي كتابات الزجاجي في أماليه وفي كثير من كتب تراثنا العربي، والذي يميز المصون عن الكتابين الآخرين فهو أنه حدد العنوان ومنه بين منهجه في دراسة مضمونه وأجزائه وما يتصل به من قريب وبعيد. فقد قصر الحديث فيه عن الحب وما يتصل به من عفة وكرمان سر وضمن وهجر وما إلى ذلك.

كما وضع المحقق عناوين فرعية للكتاب ليسهل على القارئ معرفة ما يقرأ، ويتحدد في ذهنه الموضوع الذي يقوم بقراءته وكان في هذا ما فيه من المشقة والجهد⁽¹⁾.

والكتاب مليء بجوانب علمية وأدبية ونقدية، وكان الرجل موفقاً في اختياراته وتعليقاته، ذوق رفيع وأدب عال ومقدرة فائقة على التعبير وحسن الاختيار. كما أنه فسيفساء متنوعة من الأخبار والأشعار، والرسائل، والوصايا، وأقوال الحكماء...، والقارئ لهذا الكتاب لا يعسر عليه أن يلاحظ ظاهرة شائعة في مجموع صفحاته ابتداء من المقدمة هي ظاهرة السجع. يقول المؤلف في سبب تأليفه للكتاب: "قال من رقت حواشي فهمه، ودقت معاني علمه، وأنجبت بنات فكره، واتسعت موارد صدره لتوليد عقائل الكلام الرقيق، وتنضيد فواضل النظام الأنيق، فوشى ديباج هذا النمط المصون في سر الهوى المكنون ببدائع

¹ إبراهيم الحصري: المصون في سر الهوى المكنون، ص 23.

الأوصاف، وروائع الأوصاف⁽¹⁾:

صُورُ الْمَعَانِي بِالتَّأْمُلِ تُجْتَلَى * أَبْكَارُهَا فِي الْخَطِّ وَالْأَلْفَاظِ
فَانْظُرْ لِنُزْهَةِ لَحْظِ فِكْرِكَ إِنَّمَا * تُجَلَى الْحِسَانُ لِنُزْهَةِ الْأَلْحَاطِ

ويضيف قائلا: "التقى أليفان نشأ في عراض الصفاء، ورتعا في رياض الوفاء، وألفا الاسترواح إلى مياته السرائر، وتالفا على استشارة ما في الضمائر، وكانا إذا اجتمعنا رجعا وقد قدح الاجتماع نارهما، وأسرج السماع أفكارهما، وكانا إذا استسقت العقول أزاهر أخلافيهما، وتطمع النفوس معسول مذاقيهما، وتصفحت القلوب أعراض غرائزهما... فكان علمين في ثوب الطرف، ونجمين في فلك اللطف، قد غذايا بدر الفهم وربيا في حجر العلم، فهما، يحلان دقائق الإشكال، ويفتحان مغالق الأشكال"⁽²⁾.

2-1- الحصري و موسوعية ثقافته العربية الإسلامية:

وقد أورد المؤلف أقوالا كثيرة ومواقف عديدة لحكماء ووعاظ، وفقهاء، وأمراء وأدباء وشعراء... وغيرهم، من مثل قوله: قال "أحمد بن إسماعيل الكاتب": "مطارحة الشكوى على قدر البلوى، إلا أن يكون بالشاكي انقباض، وبالمشكو إليه إعراض"⁽³⁾. وقال بعض الحكماء: "الحب قسطاس العقول، وجلاء الأذهان، ينفي عنها الأذى والقذى، كما ينفي الكبر خبث الحديد"⁽⁴⁾، وقال بعض التراجم: "العشق ارتياح يجول في الأرواح، وجوهر فلكي تنتجه النجوم بقدر مطارح شعاعها، وتولده النفوس بوصلة أشكالها، وتقبله الأوهام بلطف جواهرها، وهو بعد جلاء للعقول ما لم يفرط، فإذا أفرط عاد سما"⁽⁵⁾. ومنه أيضا ما أورده عن بعض الفقهاء المشهورين الذين تحدثوا عن الحب من مثل ما أورده عن "الزبير بن أبي بكر" حين قال: "قدمت المدينة امرأة من هذيل، وكانت جميلة، ومعها ابن لها صغير، وهي أيم، فخطبها الناس وفأكثروا، فقال "عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود"⁽⁶⁾:

أَحْبَبُكَ حُبًّا لَنْ يُحِبَّكَ مِثْلُهُ قَرِيبٌ وَلَا فِي الْعَالَمِينَ بَعِيدٌ

وما جاء عن الفقيه الكبير "سعيد بن المسيب" عندما سمع، قول "عبد الله بن محمد نميري الثقفي":

¹ إبراهيم الحصري: المصون في سر الهوى المكنون، ص 29.

² نفسه، ص 29.

³ نفسه، ص 33.

⁴ نفسه، ص 35.

⁵ نفسه.

⁶ إبراهيم الحصري: المصون في سر الهوى المكنون، ص 39-40.

فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ سِرْبٍ رَأَيْتُهُ
خَرَجْنَ إِلَى التَّنْعِيمِ مُعْتَمِرَاتِ
نَزَلْنَ بِفَجٍّ ثُمَّ رُحْنَ عَلَى مَيِّ
يُلَبِّينَ لِلرَّحْمَنِ مُؤْتَجِرَاتِ
وَلَمَّا رَأَتْ رُكْبَ النُّمَيْرِي أَعْرَضَتْ
وَكُنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتِ
دَعَتْ نِسْوَةَ الْعَرَائِينَ نُدَبَاتِ
أَوْ اِنْسَ لَا شُعْنًا وَلَا عَفِرَاتِ

فقال: هذا والله مما يحسن استماعه ، ويلذ إنشاده⁽¹⁾.

كما ويورد أقوال متعددة "للجاحظ" ، من مثل تعريفه للعشق والحب: "قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: كل عشق يسمى حبا، وليس كل حب يسمى عشقا ، لأن العشق اسم لما فضل من الحب ، كما أن السرف اسم جاوز الجود، والبخل اسم لما قصر عن الاقتصاد، والجبن اسم لما فضل من شدة الاحتراس، والهوج اسم لما فضل عن الشجاعة"⁽²⁾.

ومن العناوين الفرعية والكثيرة التي وردت في الكتاب ، من يعيب العشق ويقع فيه " ويذكر أمثلة كثيرة عن ذلك ما رواه عن النُميري قال: ما رأيت شابا ولا شيخا من ولد العباس أصون لنفسه ، ولا أعف فرجا و لا لسانا من أبي العباس بن المعتز، وكان يعيب العشق، ويقول: هو طرفٌ من الحمق ، وإذا رأى منا مطرقا أو مفكرا اتهمه بهذا المعنى ، ويقول : وقعت و اله يا فلان ، وذهل عقلك ، وسخف رأيك، إلى أن رأيناه قد حدث سهوً شديدا وفكر دأما ، وزفير متتابع ، وسمعناه ينشد⁽³⁾ :

سَلِّ بِحَقِّ اللَّهِ عَيْنَيْكَ عَنِّي * هَلْ أَحَسَّتْ فِي الْهَوَى بَقْتِيلِ
أَنْتَ نَغَصْتَ حَيَاتِي بِهَجْرٍ * وَمَمَاتِي بِحِسَابٍ طَوِيلِ

كما نجد عنوانا آخر "مذلة الملوك أمام العشق" ، وفي هذا يقول: "وكم من ملك قاهر و سلطان قادر ، تذلل لهيبته الأملاك ، وتذعن لسلطوته الفتاك أذله الهوى وأهانته ، وأذل عزه و سلطانه. ويورد أمثلة شعرية عن خلفاء بني العباس ، فهذا المهدي يقول :

أَمَّا يَكْفِيكَ أَنَّكَ تَمْلِكُنِي * وَأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عَبِيدِي
وَأَنَّكَ لَوْ قَطَعْتَ يَدِي وَرَجْلِي * لَقُلْتُ مِنَ الْهَوَى أَحْسَنْتَ زَيْدِي⁽⁴⁾.

وهناك الكثير من العناوين المتدرجة ، من مثل : "أثر الهوى في أبواب الفضائل" ، "ما يريد ذكره من مسائل

¹ نفسه، ص 40-41.

² نفسه ، ص 79.

³ نفسه ، ص 42-43.

⁴ إبراهيم الحصري: المصون في سر الهوى المكنون ، ص 45.

الهوى"، "ما يثير كوامن الحب"، "أسباب تغير المحبة"، "أول الحب"، "النظرة في الحب"، "مكانة القلب من الأعضاء"، "مكانة السمع والبصر من القلب"، "منزلة الحب من العقول"، الحب أغمض من الروح في الجسد، أراء بعض الفلاسفة في مبادئ الهوى، العشق من فعل النفس، أصناف الصداقة والعداوة أجناس الحب، من أقوال الجاحظ في البيان والتبيين، الحيلة وأثرها في الوصول إلى الغرض، حيلة يوحنا في الوصول إلى غرضه وهي حكاية أوردها "الجاحظ" ونقلها "الحصري" عنه في حيلته للوصول إلى ابنة الملك التي هواها⁽¹⁾، "كتمان الحب، التستر في الحب، دعائم المحبة، العفة والصفاء والوفاء، علل الحب، وأنواع الهجر، البعد في الحب، البعد مع الصد، توقع البين قبل وقوعه، بعض ما قيل في البين، رياضة القلوب بالصبر على البعد، الفراق واليأس من اللحاق، السر في بكاء الديار والآثار وما قيل في ذلك ..."⁽²⁾.

2-2- أثر الفلسفة اليونانية في إبداعه:

تعد قضية التأثير اليوناني في النقد العربي من كبرى القضايا التي طرحها الكثير من النقاد والمهتمين بالنقد و الأدب العربي قديما وحديثا، ويتجل جواهر القضية في القول أن النقد العربي القديم تأثر واستمد الكثير من أصوله من النقد اليوناني، وخاصة من خلال كتابي أرسطو "الخطابة" و "الشعر" بعد نقلهما إلى العربية⁽³⁾.

وقد تفاوتت مواقف الباحثين والنقاد العرب القدامى والمحدثين حول التأثير اليوناني في النقد العربي، فيرى "شكري عياد" أن ملامح التأثير النقدي اليوناني في النقد العربي سار عبر ثلاث مراحل أولاها الترجمة، ثم التلخيص والتفسير الذي قام به الفلاسفة، ثم التأثر والاقتباس "وتمثل ذلك النظر الفلسفي في الشعر العربي خاصة، وقد تم ذلك بدقة وبدون خلط في بيئة النقد والبلاغيين"⁽⁴⁾ ويعد تأثر العرب بالنقد اليوناني في القرن الثالث الهجري بفعل الثقاف الحضاري من خلال حركة الترجمة في العهد العباسي.

والحصري من الأدباء والنقاد الذين تأثروا بالفلسفة اليونانية، والأمرواضح في ما عرضه من أقوال للفلاسفة اليونانيين، منهم أفلاطون وما قاله عن مكانة السمع والبصر من القلب، حين قال: "لما قيل

¹ نفسه، ص 94-97.

² نفسه، ص 97-110.

3 ترجم كتاب الخطابة بين نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث للهجرة، بينما تمت ترجمة كتاب الشعر من قبل إسحاق بن حنين (ت298هـ)، ثممن قبل أبي بشرمى بن يونس (ت328هـ)، كما اختصر الكندي في أوائل القرن الثالث كتاب الشعر، وأنالفارابي (ت339هـ) فسر كتاب الخطابة).

4 شكري عياد: أرسطو طالع ليس فن الشعر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ص 286.

لأفلاطون : أيهما أشد ضررا بالقلب السمع أو البصر؟ فقال هما للقلب كالجناحين للطائر فلا ينهض إلا بهما، ولا يستقل إلا بقوةهما، وربما قص أحدهما فتحامل بالأخر على تعب ومشقة، قيل فما بال الأعمى يحب ولا يرى، والأصم يحب ولا يسمع؟ قال لذا لكما قلت : أن الطائر قد ينهض بأحد جناحيه، ولا يستقل به طيرانا، فإذا اجتمعا كان ذهابه أمضى وطيرانه أوحى⁽¹⁾.

ومنه أيضا "فيثاغورس" فقد تكلم عن مبادئ الهوى، بقوله: "العشق طمع يتولد في القلب، ويتحرك وينمى، ثم يتربى، ويقوى، ويجتمع إليه مواد من الحرص، وكلما قوي ازداد صاحبه في الاهتياج و اللجاج، والتمادي في الطمع، والفكر في الأماني، والحرص على الطلب، حتى يؤديه ذلك إلى الغم والمقلق..."⁽²⁾. أما جالينوس : فيرى أن العشق من فعل النفس، وهي كامنة في الدماغ والقلب والكبد، وفي الدماغ ثلاث مساكن: التخيل، وهو مقدم الرأس، والفكرة وهو في وسطه، والذاكرة وهي في مؤخره، فليس يكمل لأحد اسم عاشق حتى يكون إذا فارق من هوى لم يخل من تخيله وفكره وذكوره وقلبه وكبد، فيمتنع عن الطعام والشراب باشتغال الكبد، ومن النوم باشتغال الدماغ بالتخيل، والذكر له، والفكر فيه، فتكون جميع مساكن النفس قد اشتغلت، فإذا لقيه خلت المساكن"⁽³⁾. ولعل إirاده لكل هذه الآراء تنم عن سعة ثقافته وتبحره فيها، وتنوع مصادرها من عربية وإسلامية إلى يونانية.

2-3- الحصري والحس النقدي والروح الناقدة :

لا شك أن الحصري لم يشذ عن القاعدة على عادة غيره من نقاد زمانه في تتبع أثر السرقات الأدبية ولم يخرج عن حسه النقدي بالرغم من موضوع كتابه، بلأسهب في تقصي هذه السرقات، ولا ريب أنه كان يستشعر متعة فائقة من خلال متابعته لهذه السرقات خاصة وأن "المصون في سر الهوى المكنون" كان يزخر بالأخبار ويرجو المتعة الأدبية.

لقد تناول العديد من القضايا النقدية القديمة ومنها: "قضية السرقات" الأدبية تناولا عمليا تطبيقيا دون أن يحفل كثيرا بالتنظير، أو يلجأ إلى التعليق المسهب ويعرض رأيه في هذه القضية قائلا: "إن حق من أخذ معنى قد سبق إليه مسيء معيب بالسرقة مذموم على التقصير"⁽¹⁾.

¹ إبراهيم الحصري: المصون في سر الهوى المكنون، ص55.

² نفسه، ص75.

³ نفسه، ص76.

كما أن طريقته في التنبيه على وجود سرقة أو أخذ معنى من المعاني تتخلص غالبا في إيراد أبيات شعرية في معنى من المعاني ثم ينبه إن شاعرا آخر سبقه إلى هذا المعنى، أو أخذ هذا من قول الآخر، أو ألم بقول الآخر.⁽²⁾

إن الحصري يقتفي أسلوب القدماء وهو يلحظ تقاربا بين نصين يدخلان في باب السرقة؛ إذ أنه يحكم ضمينا على المتأخر من صاحب النصين بالسرقة عن الأول، وهذه الطريقة يلتزم بها في مجمل معالجته لمشكل السرقات حتى ولو كان المعنى بينهما مشتركا عاما.

وهذا الحكم على اللاحق من الشعراء عند الحصري لا يشفع كون السابق قد أضاف إلى المعنى المشترك وحسن صياغته، مما يوحي بأن المعنى مبتكر غير مجترأ أو مطروق، ومن أمثلة ذلك أننا نجده يحكم بأخذ عبيد الله بن طاهر من عقيل بن علقمة في قوله:

لِكُلِّ أَبِي بَنَتْ يُرْجَى بَقَاءَهَا * ثَلَاثَةُ أَصْهَارٍ إِذَا ذُكِرَ الْمَهْرُ
فَبَيْتٌ يُعْطِيهَا وَبَعْلٌ يَصُونُهَا * وَقَبْرُ يَوَارِيهَا وَخَيْرُهُمَا الْقَبْرُ

إذ أن عبيد الله بن طاهر أبان عن إضافيتين مهمتين وهما الصهران الآخران غير القبر "البيت و البعل".⁽³⁾، بينما يقول عقيل بن علقمة:

إِنِّي وَإِنْ سِيقَ إِلَى الْمَهْرِ * أَلْفٌ وَعُبدَانٌ وَذَوْدٌ وَعَشْرُ

والكاتب يعرض بالنقد لكل ما أورده من شواهد وحجج وكل ما قيل في الموضوع. والملاحظ أن الحصري لا يغفل عن حسه النقدي وروحه الثاقبة الناقدة فهو كلما أورد أشعارا علق عليها، ومن ذلك قول ابن المعتز، عندما خاف على سره أن يفتضح، وأشفق على أمره أن يتضح، فقال:

لَمَّا رَأَيْتُ الْحُبَّ يَفْضَحُنِي * وَقَضَيْتُ عَلَيَّ شَوَاهِدَ الصَّبِّ
أَلْقَيْتُ غَيْرَكَ فِي ظُنُونِهِمْ * فَسَتَرْتُ وَجْهَ الْحُبِّ بِالْحُبِّ⁽⁴⁾.

فيعلق "الحصري" على ذلك بقوله: "إن قول "ابن المعتز" أخذه من قول "يحيى بن أكثم"، لما ولي

¹ الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، تح: محمد علي بجاوي، دار حياء الكتب العربية، ج 1، القاهرة-مصر، ط 1993، ص 312.

² أحمد يزن، النقد الأدبي في القيروان في العهد الصنهاجي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط-المغرب، دط، 1986 ص 349.

³ الحصري: زهر الآداب وثمر الألباب، ج 1، ص 484.

⁴ الحصري: زهر الآداب وثمر الألباب، ج 1، ص 110.

القضاء في عهد المأمون، وقال له : اكتم ما وليتك حتى أمرك بإظهاره، ووضع عليه أصحاب الإخبار، فأتوا إليه يقولون ، إنه قد بلغنا عن يحيى أنه ولي قضاء البصرة . فقال له المأمون : كيف ذاع هذا الأمر؟ فقال أنا أذعته يا أمير المؤمنين . قال : ولما ؟ قال لأنه لا يستقيم كتمان سر إلا بإذاعة غيره وإلا وقعت ظنون الناس عليه . فانتشر مطويه ، قال صدقت⁽¹⁾ .

بيد أن الحصري لا ينزع إلى اصطناع منهج محدد في نقده على غرار هؤلاء النقاد على اعتبار أنه لم يتخصص في هذا المضمار، إذ أنه يعترف بذلك ويؤكد على أن هدفه من تأليف "المصون في سر الهوى المكنون" هو تحقيق المتعة الأدبية، وبالتالي قد جاء الكتاب مبنيًا على حسن الاختيار ملما بشقي الآراء، مما يجعلنا نعثر على النقود المختلفة للحصري ماثلة في ثنايا الكتاب، ولذا وجب على الباحث استخلاص هذه الأحكام النقدية استخلاصًا.

2-4- البناء الفني للمصون في سر الهوى المكنون:

أما عن أسلوبه في المصون، يطغى عليه السجع ويبدو فيه الالتزام في الموازنة بين جملتين أو أكثر، مما يحدث وقعًا موسيقيًا محببًا، كما يبرز الجري وراء المحسنات البديعية كالجناس، والميل إلى استخدام التشبيهات على عادة الأندلسيين، وتعتمد استعمال الألفاظ العلمية النحوية في شكل تورية – كالصحيح و المعلوم والمصروف والمعدول- على طريقة العهد العباسي، كما يلاحظ قصر الجمل المستعملة، لكن هذا لا يمنعه من إعادة الضمائر على ما هو بعيد، الشيء الذي جعل كتابته تمتاز بطول النفس.

ومثل هذا الأسلوب وإن كان مقبولًا في المقدمة، وقد يحرص عليه كل المؤلفين في تلك الفترة، و يعتمدونه في مقدمات تأليفهم، لإظهار مقدرتهم في التعبير والبيان، وتلوين الكلام، إلا أننا نجده في جمل في كتابه من مواضيع، وحتى خاتمته عندما يقول: "قد أريتكم نموذج القول فيما أخذنا بعنانه، وجلنا في ميدانه ، بما اتسع له ناظر الخاطر، وامتد فيه لسان الناظر، والباب عماره، وأوقد ناره، كثير الفروع، غزير ينبوع ،... وأنا استغفر الله من الاشتغال بفضول المقال والأعمال وتوأسأله التوفيق إلى سواء الطريق، فله الصنع الخفي، واللفظ الخفي، وصل الله على محمد أفضل نبي وأكرم صفي، فتحت به الآخرة وختمت به الدنيا."⁽²⁾ .

كما تبرز في الكتاب بوضوح ظاهرة الاستطراد والتقصي للأخبار والإحاطة بكل ما له علاقة بالموضوع. وترجع ميزة الاستطراد ربما إلى طبيعة التأليف في عصره والتي كانت تعني إيراد الأخبار وتقصي

¹ الحصري: المصون في سر الهوى المكنون، ص 111.

² إبراهيم الحصري: المصون في سر الهوى المكنون، ص 200.

الحوادث، وتسجيل النوادر والحكايات، والإشارة إلى التاريخ والقصص، ويتعدى تأثر بأسلوب نلمح ذلك في الوصف الذي تخلل كتابه في مواضع مختلفة، فنفسه الطويل، ودقته في نقل الموصف، والوقوف على جزئياته، واعتماده على التشبيهات، والتشخيص... من مثل ما ورد عن الفراق واليأس من اللحاق حين يقول: "وأما إذا كان الفراق من الأحباب، وقطعت المحب عن المحب اللحاق السباب فذلك السم القاتل، بل الموت العاجل، الذي لا تبلغه الوصاف، ولا يناله الوصاف، فكل رزء دونه يسير، وكل أمر دونه حقير، وسأجول في بعض ما قيل في ذلك⁽¹⁾."

كما أن الحصري من خلال كتبه يبدو مثقف متمكن من جوانب الثقافة اللغوية والأدبية، لهذا طغت موسوعيته على طريقته في التأليف وتجلت ذلك في سوقه لكثير من الأشعار، وإشارته إلى الكتب والفنون المختلفة مما يدل على إطلاعه عليها كالفقه والنحو واللغة... وفي استشهاده بالشعر والقراءان والحديث. كما تتجلى موسوعيته في حرصه على ذكر السند والرواية بالنسبة للمنقول وذلك بإحاطته على مصادر تلك الآثار المنقولة وتعليقاته المناسبة عليها.

خاتمة: وعموما فإن كتاب "المصون" هو صورة مصغرة للحياة العامة في العهد الصنهاجي في أيام عز هذه الدولة حين وصل المغرب إلى قمة ازدهار والرقى الحضاري والدعة، مما جعل الحصري يؤلف بما يتوافق ورغبات المتلقين في شتى صنوف الحياة والأدب وقد أبدع في ذلك. من خلال هذا المصنف الذي وضع القارئ اتجاه نماذج من الأدب عديدة ومتنوعة يستطيع أن يستغني عن غيرها من المصنفات، بما تتضمنه من صنوف أدبية متنوعة في سفيساء منسجمة ذات قيمة وجمال، كما جمع مختارات منتقاة بعناية ومنهجية عالية لأحسن الكتاب والشعراء في عصره، وتجارب ملوك وأمراء وحكماء...، مستجيبا لما تمليه عليه دقته وذوقه العاليين، واستجابة لرغبة الناشئة المغربية في القيروان المستمتعة والمتذوقة لمثل هذا الأدب الزاخر. فكان بذلك من أحسن ما أبدعته عقول المغاربة في ميدان الأدب والتصنيف.

كما أن هناك عدد كبير من الكتب الأدبية أو ذات الطابع الأدبي واللغوي والعلمي خلفها المغربية وعبروا من خلالها على سعة أفقهم ومقدرتهم التأليفية العالية وتمكنهم من شتى صنوف العلوم، معبرين عن هذا بالتدوين الذي سما وارتقى مع بداية القرن الخامس الهجري.

ومع بداية القرن الخامس الهجري، تغيرت الصورة النمطية عند المغاربة وخرجوا من بوتقة الصراعات العرقية والمذهبية فانعكس ذلك إيجابا على حجم الحركة التأليفية حيث ازدهرت ونمت

¹ نفسه، ص. 200.

بتشجيع من أمراء الدول المتعاقبة على المنطقة ، مستفيدة من الجو العلمي والاستقرار النسبي والهجرات من وإلى المغرب والدعة التي رفل فيها المجتمع المغربي فشهد بذلك حركة تأليفية واسعة في الميدان الأدبي، فأنتجت مؤلفات ذات قيمة كبيرة سواء في النقد والأدب والتي ذاع صيتها في زمانها واستمرت في إشعاعها إلى يومنا شاهدة على ما وصلت إليه بلاد المغرب من نهضة وازدهار أدبي وعلمي لم تشهده من قبل و من بعد.

وقد حقق الأدب المغربي بعد القرن الرابع الهجري، تراكما معرفيا لم يسبق له مثيل حيث انتقل المغرب من مرحلة المعرفة المروية إلى مرحلة المعرفة المكتوبة. فبلغ النثر التألوفي الأدبي في العصر "الصنهاجي" أوجه وقمة الازدهار والرقى في دعائمه الثلاث ، الشكل والمضمون، والكم والكيف.

كما ظهر في هذه الفترة نقاد وكتاب تجاوزت شهرتهم وشهرة كتبهم المغرب، ومنهم: النهشلي التيمرتي، وابن رشيق المسيلي، وابن شرف القيرواني، وأبو الحسن الحصري، والرقيق القيرواني... وغيرهم

وعلى العموم فإن المؤلفات في هذه المرحلة تجاوزت مرحلة الكتابات العادية، إلى الكتابات الأدبية كما عرف الأدب من خلالها تحولا في عقيدته من السنة إلى الشيعة، ومن ثم تغيرت ملامح المغرب كله، وهذا التحول العميق للبنيات الفكرية، والفنية، ولد تعددا في المصنفات المختلفة والتي تبقى في اعتقادنا شاهدة على تطور الأدب والنثر في رقعة وحقبة من تاريخنا لم تأخذ حظا فيما نحسب من العناية والدراسة.

المصادر و المراجع

- إبراهيم الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، تح: محمد علي بجاوي، دار حياء الكتب العربية، ج1، القاهرة-مصر، ط2، 1993.
- إبراهيم الحصري: جمع الجواهر في الملح والنوادر ، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل ، لبنان ، ط2، 1407هـ.
- إبراهيم الحصري: المصون في سر الهوى المكنون ، تح: النبوي عبد الواحد شعلان، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1990.
- ابن رشيق : أنموذج الزمان في شعراء القيروان ، جمع وتحقيق: محمد العروسي المطوي وبشير البكوش، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1986.
- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، ج12، دت.
- أبو القاسم محمد كرو وعبد الله شريط: شخصيات أدبية من المشرق والمغرب ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ط2 ، 1966م.
- أحمد يزن ، النقد الأدبي في القيروان في العهد الصنهاجي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط- المغرب، دط، 1986.
- الأزهرى: تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون وآخرين، دار العربي ، القاهرة، ج4، دت.
- الشاذلي بويحيى : الحياة الأدبية بأفريقية في عهد بني زيري،، تعريب: محمد العربي عبد الرزاق، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة)، تونس، م2، ج2، دط، 1999.
- شكري عياد: أرسطو طاليس فن الشعر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، دط، دت.



أهمية العنوان في قصص الأطفال

تبسم محي الدين
الجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا
أوتنتي فوره، كشمير بالهند

Abstract: This article attempts to comprehend at length the importance of the title in the children's literature, its peculiarities and uncover how it's a guide to the topic at hand. Title of any story is a culmination of writing process, and a summary of the topic which the fictional work is weaved around. The more the title is interesting, attractive, exciting, unique, and creative, the more it taps into child's creative mind which the moment reads it, grows in curiosity towards it, because it is the first thing that the child loves or feels upset with. Hence, the title in any fictional text acquires an indispensable significance, as the general structure of the textual plot is based on it and forms a more important source of excitement or suspense for the child. Therefore, it is the chandelier that radiates the space of the narrative text and guides the child reader to explore its depths and realize its nature and purposes. The article also seeks to substantiate the arguments I have advanced with examples, drawing on the large intellectual capital that inspires the titling process and provides insightful opinions that the writer can take into account while titling her story book.

الملخص: يحاول هذا المقال أن يقف وقفة مستفيضة على مكانة العنوان وأهميته في قصة الطفل، ويستجلي دلالاته على الموضوع. العنوان يكون تنويجا للممارسة الكتابية، وتليخيصا وإيجازا للموضوع الذي يتمحور حوله العمل القصصي. مهما يكن العنوان مشوقا، وجذابا، ومثيرا، وفريدا، وإبداعيا، يميل بالطفل القارئ إليه، ويزيد من فضوله تجاهه، لأنه أول ما يهفو إليه وأول ما يستاء منه. ومن هنا، يكتسب العنوان في أي نص قصصي مطلبا لا محيد عنه ولا مناص إذ تنبني عليه البنية العامة للحبكة النصية ومصدرا أهم لإثارة الطفل وتشويقه. فهو إذن الثريا التي يشع بها فضاء النص القصصي وتدلنا على سبر أغواره وإدراك كنهه وأغراضه. كما يسعى المقال لتوضيح ما ذكرنا بالأمثلة والنماذج مقيما المخزون الفكري الذي يلهم محاولات العنونة ويقدم آراء يمكنها الكاتب أن يأخذها بعين الاعتبار أثناء العنونة.

المدخل: تحتل القصة مكانة بارزة من الأجناس الأدبية الثرية في أدب الأطفال، وهي من الوسائل المقروءة التي تلعب دوراً مهماً لا يستهان به في تثقيف الطفل، ومدته بالمعلومات والمعارف والخبرات، وإطلاق طاقاته الإبداعية، وتنمية ملكة التخيل والتصوير والتحاوور الوجداني مع الطفل. والقصة هي من أكثر الأبواب

قرباً للطفل، وتشجع الطفل على التفكير وتحفزه على المعرفة، لابد من انسجامها مع رغبة الطفل. تحتل القصة المقام الأول في كتب الأطفال، لما تتضمنه من (أفكار داخلية وحوادث، إذا كتبت بلغة سليمة محدودة، أسلوب بسيط غير معقد، وسرد جميل أخاذ، وجو مرح يثير في نفوس الصغار السعادة والبهجة والمرح.

كلما اقتربت القصة من الصدق، كانت مقبولة من الأطفال الكبار، كما أن الأطفال الصغار مغرمون بقراءة كل ما هو خيالي، فيجب أن نراعي في قصصنا مبدأ أساسيا، وهو الارتقاء بسلوك الطفل، ويجب أن نبتعد في قصص الأطفال التي تدور حول التعصب العنصري والقسوة والعنف والجريمة والهدم وغيرها من الصفات المذمومة والمعوقة لتكوين الطفل العقلي والخلقي، والصفات المذمومة في تربية الطفل وفي تكوين ذوقه وخياله ولغته، بل من الأفضل التركيز على الموضوعات التي تكسب الطفل قدراً من الصفات النبيلة، كالوطنية، والتعاون، والمروءة، والشهامة، والمحبة، والسلام¹.

يميل الطفل بفطرتهم إلى القصة، لأنها أسلوب ناجح يحقق الكثير من الأغراض التعليمية والتربوية وأنها تعتبر وسيلة لإشباع حب الطفل ورغبته في المعرفة حيث يفترض فيها الجديد من الأفكار والأحداث والمواقف وصور الحياة اليومية. وتعتبر القصة مصدراً أساسياً لإثارة الطفل وتشويقه لما فيها من تعدد شخصيات وترقب للأحداث وتسلسلها. لا بد أن يكون للقصة التي تحكى للأطفال عنوان تعرف به القصة، يشتق من بيئة الطفل، ويكون هذا العنوان عنواناً حسياً لا تجريدياً فيه، يحمل الفرح والمرح والبهجة لا التخويف والإزعاج.

• تعريف العنوان:

العنوان هو العتبة الأولى للنص الأدبي، وهو عتبة هامة من عتبات النص، يُولج منه إلى العالم النصي، وهو في الوقت نفسه العتبة الأخيرة التي يقف القارئ عند حدودها مطلعاً على النص من فوقية ليضع يده على مواطن الجمال التي أفصح عنها العنوان أولاً، لذلك فالعنوان يمثل الحركة الدائرية للعمل الأدبي. وهو مفتاح قفل النص والسبيل إليه.

• ويعرف جاك فونتاني (Jaques fontanille) أنّ العنوان مع علامات أخرى هو من الأقسام النادرة في النص التي تظهر على الغلاف، وهو نص موازي له².

1. د. عبد الفتاح، إسماعيل. أدب الأطفال في العالم معاصر، (القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب، 2000)، ط 1، ص: 45.

2. رحيم، عبد القادر. علم العنونة، (التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، 2010)، ط 1، ج 1، ص: 41.

- ويعرفه ليوهوك (Leo Hoek) بقوله: "هو مجموعة من الدلائل اللسانية يمكنها أن تثبت في بداية النص من أجل تعيينه والإشارة إلى مضمونه الجمالي من أجل جذب جمهور المقصود"¹.
 - وترى بشرى البستاني أنه "رسالة لغوية تعرف بتلك الهوية وتحدد مضمونها، وتجذب القارئ إليها، وتغريه بقراءتها، وهو الظاهر الذي يدلُّ على باطن النصِّ ومحتواه"².
 - ويرى محمد الهادي المطوي "أنَّ العنوان عبارة عن رسالة لغوية تعرف بهوية النص، وتحدد مضمونه، وتجذب القارئ إليه وتغويه به"³.
 - ويرى طه حسين " أنَّ العنوان يكون أقل من جملة أي عبارة صغيرة تعكس عادة كل عالم وكاتب النص المعقد الشاسع الأطراف"⁴.
 - ويقول محمد فكري الجزار " العنوان للكتاب كالاسم الشئ ، به يعرف وبفضله يتداول، يشار إليه، ويدل به عليه، يحمل وسم كتابه، وفي الوقت نفسه يسمه العنوان- بايجاز يناسب البداية- علامة ليست من الكتاب جعلت لكي تدل عليه"⁵. ومن هنا يعد العنوان العنوان أساسياً في العمل الإبداعي والمتفق عليه أن "العنوان مرتبط ارتباطاً عفوياً بالنص الذي يعنونه فيكملة ولا يختلف معه ويعكسه بأمانة ودقة".
 - ويرى عبد الحميد همية "أنَّ العنوان هو نوع من أنواع التَّعالي النَّصي الذي مسار القراءة، التي يمكن لها أن تبدأ من الرؤية الأولى للكتاب"⁶.
- ونستخلص من هذه المفاهيم أنَّ العنوان مادة لغوية ترتبط بموضوعها الكلي الذي تعنونه وتحمل على تلخيص المقاصد الكبرى فيه تسهيلاً لعملية الإطلاع والبحث. فالعنوان باختصار يمثِّل أعلى اقتصاد لغوي ممكن ليفرض أقصى فاعلية تلقِّي ممكنة، ممَّا يدعو إلى استثمار منجزات التَّأويل في الوصول إلى اختراق دلالات العنوان التي ستلقي بضلالها على النَّص.
- فيما يذهب بسام قطوس إلى أنَّ العنوان أصبح يشكل حمولة دالية "فهو قبل ذلك علامة أو إشارة

3. الأحمر، فيصل. معجم السيميائيات، (الدار العربية للعلوم ناشرون- منشورات الاختلاف، 2010)، ط1، ص: 226.

4. البستاني، بشرى. قراءات في الشعر العربي الحديث، (لبنان، دار الكتاب العربي بيروت، 2002)، ط1، ص: 34.

5. المطوي، محمد الهادي. شعرية العنوان كتاب الساق على الساق فيما هو الفارياق، (جدة، المملكة السعودية العربية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1985)، ط1، ص: 261.

6. مرتاض، عبد الملك. تحليل الخطاب السردى، (الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995)، ص: 277.

7. حسين، خالد حسين. في نظرية العنوان: مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية، (التكوين للتأليف والترجمة والنشر، 2007)، ص: 77.

8. همية، عبد الحميد. علامات في الإبداع الجزائري، (الجزائر، مديرية الثقافة ولجنة الحفلات، 2002)، ط1، ص: 64.

تواصلية له وجود فيزيقي/مادي وهو أول لقاء مادي محسوس يتم بين المرسل (النّاص)، والمتلقي¹. ومن هذه التعريفات نستنتج أن العنوان كنص أدبي أو نص صغير وهو أول لقاء يتم بين القارئ والكاتب، وفي هذه اللحظة يحدث الإقتران بينهما، ويحاول الكاتب من خلال عنوانه تحقيق ذلك، لأنّ العنوان كثيراً ما يجلب الشهرة أو الكساد لمؤلفه. ويعتبر العنوان نصاً موازياً الذي لا يزال يشكل مدخلاً أساساً لدراسة النصّ الأدبي، ومفتاحاً هاماً للدّخول إليه، بوصفه علامة تتموقع في واجهة هذا النصّ الأدبي.

• عنوان القصة:

عنوان القصة هو الباب الذي ندخل منه إلى بيت القصة، ويسمى في أدب الكبار العتبة النصية. فبمقدار ما ينجح العنوان في جذب الطفل للقصة، تكون نتائج القراءة والتفاعل أكبر. وهذه هي أهم مواصفات العنوان الناجح لقصة الطفل:

1. أن تكون له علاقة بيئة الطفل وثقافته ومستوى لغته وإدراكه.
2. أن يتوفر فيه عنصر الجاذبية والإيحاء المتوقع.
3. أن يكون محفزاً لتفكير وإثارة رغبته في معرفة المجهول.
4. أن يكون قصيراً سهلاً الحفظ.

• وللعنوان أشكال مختلفة أيضاً، منها:

1. العنوان السؤالي: مثل: لماذا غضبت النحلة من الورد؟ كيف نجا أرنب من ثعلوب؟
2. العنوان الوصفي الانفعالي: البطيخة الحزينة. الثلج الأسود.
3. العنوان الذي يحمل اسم بطل القصة: عندما نامت غزولة.
4. العنوان الغرائبي: السمكة التي تتسلق الأشجار، الجمل الذي أكل الغيمة.
5. العنوان المسجوع: حلزونة المجنونة، النجوم تنام في الغيوم.

• أهمية العنوان في قصص الأطفال:

يعد العنوان أهم مرجع يتضمّن بداخله العلامة والرمز وتكثيف المعنى، إذ يحاول الرّوائي من خلاله أن يثبت مقصده برمته، بوصفه النّواة المتحركة التي خاط عليها نسيج نصه. ويعد الحد الفاصل بين النصّ والعالم، وأنّه جسر واصل بين النصّ والكاتب. وهو يشكل عنصراً هاماً من عناصر المؤلّف الأدبي ومكوناً

9. د. قطوس، بسام موسى. سيمياء العنوان، (عمان، وزارة الثقافية جامعة البرموك، 2001)، ط1، ص: 36.

داخليا ذا قيمة دلالية عند الدّارس، فهو سلطة النّص وواجهته الإعلامية التي تمارس على المتلقي، وهو جزء الدال من النّص كونه يؤشّر على معنى ما، وبذلك يُعدّ وسيلة للكشف عن طبيعته والمساهمة في فك غموضه، وبهذا "يبقى العنوان علامة دالة على النّص وخطابا قائما بذاته لكونه جزءا مندمجا فيه، وهو أيضا شبكة دلالية يفتح بها النّص. وهذا يعني أن العنوان في الحقيقة "مرآة مصغرة لكل ذلك النسيج النصي"¹، وهو الدافع للقراءة.

ويعد العنوان علامة لغوية تعلو النّص لتسمه وتحدده وتغري القارئ بقراءته، فلولا العناوين لظلت الكثير من الكتب المكدّسة في رفوف المكاتب، فكم من كتاب يكون عنوانه سببا في ذبوعه وانتشاره وشهرة صاحبه وكم من كتاب يكون عنوانه وبالا عليه وعلى صاحبه. ولذا أصبح العنوان في النص الحديث ضرورة ملحة ومطلباً أساسياً لا يمكن الاستغناء عنه في البناء العام للنصوص الأدبية وغيرها، لذلك ترى الكتاب والشعراء يجتهدون في وسم أعمالهم الأدبية بعناوين يتفننون في اختيارها وتنسيقها بالخط والصورة المصاحبة وذلك بعلمهم لأهمية العنوان. العنوان إذن هو الثريا التي تضيء فضاء النص، وتساعد على استكشاف أغواره.

إنّ العنوان علامة دالة، يحتل في الفضاء النصي موقعا استراتيجيا خاصا يشرف منه على النص، يحرسه ويضمن وحدته وعدم تفككه وذويانه في نصوص أخرى. أو كالراية التي تعلو إحدى المؤسسات الرسمية، وهو أول عبارة مطبوعة وبارزة من الكتاب، أو نص يعاند نصا آخر، ليقوم مقامه أو ليعينه ويؤكد تفرد على مر الزمان. وهو قبل كل شيء علامة اخلاقية عدولية، يسمح تأويلها بتقديم عدد من الإشارات والنبوءات عن محتوى النص ووظيفته المرجعية، ومعانيه المصاحبة، وطاقاته الترميزية، وهو من خلال هذه الخصائص كلّها يقوم بوظيفتي التحريض والإشهار². ويطرح العنوان على أنّه ظاهرة نفسية اجتماعية (PSYCOLOSOCIAL)³. والعنوان نص مختصر مقلص حيث إنه يلعب دورا هاما وحاسما في الأعمال الأدبية خاصة وفي الأعمال الفنية عامة. فهو جزء لا يتجزأ من عملية إبداع الكاتب للعمل. كما أنه يلعب دورا مركزيا في عملية إنتاج القارئ لمعنى العمل ودلالاته ويقوم بوظائف متعددة ومتنوعة.

أعطى العرب منذ القدم أهمية كبيرة للعنوان في مخطوطاتهم، بكتابته بألوان مميزة أو بخط مخالف لخطوط الكتاب، وداخل فضاء مزخرف إظهاراً له وإشعاراً بأهميته؛ وعادة ما يتميز العنوان بأن يكتب

10. د. حليفي، شعيب. النص الموازي للرواية: إستراتيجية العنوان. (مجلة الكرمل، 1992)، العدد 46، ص: 84-85.

11. الطاهر، رو اينية. شعيرة الدال في بنية الاستهلال في السرد العربي القديم، السيميائية والنص الأدبي، (أعمال ملتقى قسم اللغة العربية وأدائها، الجزائر، جامعة عنابة، 1995)، ص: 141.

12. د. الجزار، محمد فكري. العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998)، ص: 15.

بالمداد الأحمر، وظهرت بعد تلك الفترة صفحة تسبق الكتاب، يذكر فيها عنوان المخطط واسم المؤلف، وعادة ما يكتب بالخط الكوفي أو بالثلث الغليظ. وكانت بعض العناوين تكتب بالمداد الذهبي أو الأحمر على أرضيات مزخرفة.

وأهمية العنوان تزيد في القصص الموجهة إلى الطفل، لأنه أول ما يستقطبه ويستدعيه ويشده إلى القصة وقراءتها، وهو أول ما ينفره منها، وهذا بحسب قدرة العنوان الإعلامية والتوصيلية في الإحالة على مضمون القصة. ولذا لا بُدَّ أن يكون عنوان العمل القصصي للأطفال مشوقاً واضحاً لجذبهم إلى القراءة، بل عنواناً سلساً، لأن الطفل قارئ مبتدئ يستهويه من العناوين العنوان المباشر الدال على صفات معينة، فهو لا يقوى على استيعاب الدلالات الإيحائية، كحكايات (المداد) أو (عروس الجبال) وغيرها من العناوين الإيحائية. فعنوان كحكايات (المداد) مثلاً مشوق وجذاب، وثير بالخيال الراشد في رواية الكبار؛ إذ يأتي هذا العنوان متشابكاً مع إهداء يحمل من البلاغة قدر ما يحمل من الغرابة حيث يقدم المجموعة القصصية إلى "كل طفل لا يجد قلماً يكتب به أحلامه وحكاياته أقدم له هذه المجموعة"¹.

وهكذا يواصل سياسة التعتيم على الطفل، وتعقيده من القراءة، فبدلاً من التبسيط يلجأ إلى الإهداءات الرمزية الصالحة للكبار، كما أن عنواناً مثل (بلعجوط)² لا يحيل القارئ الصغير إلى شيء، ولعل السبب يرجع إلى أن هذه التسمية تحمل حضوراً إقليمياً محدوداً، فهذه القصة موجهة إلى فئة دون أخرى وتحمل ثقافة معينة ينوي المؤلف ترويجها والأمر نفسه مع (لونجا)³ و(عيشة تهلولت)⁴ التي تعني البلهاء في اللهجة الأمازيغية، وسلسلة (أغيلاس) الموجهة للأطفال التي تحمل عنواناً إقليمياً، فأغيلاس هي كلمة أمازيغية تعني النمر، وغيرها كثير.

هناك أربعة أصناف للعنوان وهي:

- الصنف الأول: وهي العناوين التي تحيل مباشرة إلى موضوع القصة، حيث لا يتنافر المتن مع العنوان، بل نجد هناك علاقة تكاملية بينهما، مثل (سلسلة المكتبة الخضراء)⁵، وسلسلة (حكايات جزائرية)¹، (بقرة اليتامي)، و(طفولة النبي).

13. خال، عبده. حكايات المداد، قصص للأطفال، النادي الأدبي والثقافي، (جدة، السعودية، سلسلة كتاب النادي، 1993)، العدد: 91، ط1، ص: 99.

14. فتوس، لويز. بلعجوط، ترجمة فريد عياش، (الجزائر، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر، 1992)، ص: 1.

15. خدوسي، رابح. لونجا، سلسلة حكايات جزائرية، (الجزائر، دار الحضار، 2002).

16. خدوسي، رابح. عائشة تهلولت، سلسلة حكايات جزائرية، (الجزائر، دار الحضار، 2002).

22. تنشر دار المعارف بالقاهرة هذه السلسلة قديمة، وهي وفرة الإنتاج والإقبال عليها كبير يدل على ذلك تعدد طباعة القصة الواحدة، لاقى إنتاجها رواجاً واسعاً في أوائل الستينيات، وما زالت تنشط إلى حد الساعة.

● الصف الثاني: وهي العناوين المفارقة للمتن وهي التي لا تحيل الطفل إلى الموضوع إذ العنوان شيء والمثل شيء آخر، مثل العناوين، بـ (حكايات المداد)²، لأنّ هذا العنوان لا يعبر على المتن القصصي، فالمتن هنا هو عبارة عن مجموعة عن القصص المختلفة العناوين، وذات مضامين مختلفة.

● الصف الثالث: وهي العناوين التي تحمل توجهاً إقليمياً محدوداً، ومن ثمّ لا تحيل الطفل إلى موضوعات القصص، مثل قصة (عائشة تهلولت)³، (لونجا)⁴. وهذه العناوين هي أسماء خاصة بمناطق محدودة معينة لا يعرفها الأطفال جميعهم، وتحمل هذه الأسماء مضامين تاريخية أو شعبية لا يدرك معناها الطفل الغريب عن هذه البيئة.

● الصف الرابع: وهذه العناوين تنحصر في أدبيات أو تاريخياً مثل حكايات (جحا وأشعب)⁵، وحكايات من كتاب الأذكىاء⁶، و(المتني). إن هذه العناوين تحمل ثقافة أعلى من قدرات الطفل المعرفية والفكرية ولكن لا تحيل هذه العناوين إلى ظواهر أو موضوعات.

نتيجة البحث: نستنتج منها أنّ الطفل دائماً يميل إلى العناوين المشوقة والمثيرة والواضحة من حيث دلالتها. كما عنوان قصة (عاقبة البغي)⁷ يجعل الطفل يتخيل طرفين متنازعين أحدهما ظالم والآخر مظلوم، كما يتخيل نهاية القصة قبل أن يقرأها بانتصار المظلوم على الظالم الذي ينزل الله عليه شديد العقاب. فالعنوان غالباً ما يكون تلخيصاً موجزاً ومختصراً للقصة، وهو مفتاح لمعرفة رؤية الكاتب وثقافته والإيديولوجية التي يريد أن يمررها إلى الطفل، وهو ما اصطلاح عليه بـ "إيديولوجيا العنوان. فمثلاً عناوين (كاستشهاد بطل)⁸، (أبطال حتى النصر)⁹ و(خماسية رحلة الموت)¹⁰. فهذه العناوين تحمل توجهاً وطنياً ودعوة للدفاع عن الوطن والتضحية في سبيله بالغالي والنفيس. وهناك بعض العناوين توقع الطفل في

23. هذه السلسلة مستقاة من التراث الشعبي الجزائري، صدرت حديثاً عن دار الحضارة وصدرت عن المؤسسة الوطنية للكتاب باسم حكايات شعبية جزائرية، وأعاد صياغتها الكاتب رابح خدوسي.

24. خال، عبده. حكايات المداد، قصص للأطفال، النادي الأدبي والثقافي، (جدة، السعودية، سلسلة كتاب النادي، 1993)، ط1، ص: 99.

25. خدوسي، رابح. عائشة تهلولت، سلسلة حكايات جزائرية، (الجزائر، دار الحضارة، 2002).

26. خدوسي، رابح. لونجا، سلسلة حكايات جزائرية، (الجزائر، دار الحضارة، 2002).

27. يوسف، عبد التواب. جحا وأشعب الطماع على مائدة الطعام، (القاهرة، دار اللطائف)، (د-ت).

28. الشاروني، يعقوب. حكايات من كتاب الأذكىاء، سلسلة حكايات من كتب، (مصر، مركز الأهرام، د-ت).

17. الغماري، مصطفى. عاقبة البغي، سلسلة حكاية وعبرة، (الجزائر، دار مدني، 2004)، ط1.

18. شقال، عبد الحفيظ. استشهاد بطل، (الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب)، د ت.

19. يوسف، عبد التواب. أبطال حتى النصر، (مصر، دار الهلال، 2003).

20. قوامي، عياد. خماسية رحلة الموت، (الجزائر، دار مدني، 2002).

الحيرة والالتباس لما تحمله من مفارقات وازدواجية. فعنوان (كأطفال الغابة)¹ يوحي بمفارقة عجيبة توقع الطفل في التباس وغموض يؤديان إلى حب المعرفة والفضول، فمكان الطفل عادة يكون المنزل حيث ينعم بالأمان والطمأنينة، ومكان مثل الغابة هو فضاء موحش مفتوح على الأخطار كلها، فكيف تكون البراءة والصفاء مع الشر والوحشية. وهنا يتصور الطفل الصراع الذي يكابده الأطفال مع هذه الغابة.

المصادر والمراجع

1. البستاني، بشرى. قراءات في الشعر العربي الحديث، لبنان، دار الكتاب العربي بيروت، ط1، 2002.
2. المطوي، محمد الهادي. شعرية العنوان كتاب الساق على الساق فيما هو الفاريان، جدة، المملكة السعودية العربية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط1، 1985.
3. د.عبد الفتاح، إسماعيل. أدب الأطفال في العالم معاصر، القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1، 2000.
4. هيمة، عبد الحميد. علامات في الإبداع الجزائري، الجزائر، مديرية الثقافة ولجنة الحفلات، ط1، 2002.
5. د. حليفي، شعيب. النص الموازي للرواية: إستراتيجية العنوان، مجلة الكرمل، العدد 46، 1992.
6. الطاهر، رواينية. شعرية الدال في بنية الاستهلال في السرد العربي القديم، السيميائية والنص الأدبي، أعمال ملتقى قسم اللغة العربية وآدابها، الجزائر، جامعة عنابة، 1995.
7. د.الجزار، محمد فكري. العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998.
8. خال، عبده. حكايات المدا، قصص للأطفال، النادي الأدبي والثقافي، جدة، السعودية، سلسلة كتاب النادي، العدد: 91، ط1، 1993.
9. فتوس، لوي. بلعجوط، ترجمة فريد عياش، الجزائر، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر، 1992.
10. خدوسي، رايح. لونجا، سلسلة حكايات جزائرية، الجزائر، دار الحضار، 2002.
11. خدوسي، رايح. عائشة تهلولت، سلسلة حكايات جزائرية، الجزائر، دار الحضار، 2002.
12. الغماري، مصطفى. عاقبة البغي، سلسلة حكاية وعبرة، الجزائر، دار مدني، ط1، 2004.
13. يوسف، عبد التواب. أبطال حتى النصر، مصر، دار الهلال، 2003.
14. قوامي، عياد. خماسية رحلة الموت، الجزائر، دار مدني، 2002.
15. الإبراشي، محمد عطية. أطفال الغابة، مصر، دار المعارف، ط6، 1968.
16. شقال، عبد الحفيظ. استشهاد بطل، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 2000.
17. د. قطوس، بسام موسى. سيمياء العنوان، عمان، وزارة الثقافة جامعة اليرموك، ط1، 2001.
18. رحيم، عبد القادر. علم العنونة، التكوين للطباعة والنشر والنويع، ج1، ط1، 2010.
19. الأحمر، فيصل. معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون- منشورات الاختلاف، ط1، 2010.
20. مرتاض، عبد الملك. تحليل الخطاب السرد، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995.

21. الإبراشي، محمد عطية. أطفال الغابة، (مصر، دار المعارف، 1968)، ط6.



أوب الرحلة للأطفال

أشرف أبو اليزيد نموذجاً

أبو شيماء سعيد الهدوي

باحث الدكتوراه ، قسم البحوث والدراسات العربية،
الكلية الحكومية لتذكّر تونجان ،كيرالا بالهند

Abstract:

Arabic literature is enriched by countless travel accounts especially, beginning from the medieval period such as works of Ibn Battuta, Al Biruni, Ibn Jubair, Al-Masudi, Ibn Fadlan, Ibn Majid, Ibn-Hawqal, Al Idreesi, and so on . The travel literature, on the whole, whether inspired by pleasure, entertainment, adventurism, pilgrimage, journalism, trade and business, diplomacy, missionary, profession and education and geographical exploration, emerges as a prominent genre in virtually all times and cultures. This paper reviews the scope of travelogues as a literary genre, in children's literature, focusing upon the major contributions of Ashraf Abul yazid in this regard. The research begins by defining the genre of child literature and its breadth of subject matter extending to the travel writings, along with pointing out to eminent Arabic literary figures and pioneers of both travel and child literature such as Kamil kilani, Ibrahim shalabi , who employed the travel genre to infuse their narratives with themes of personal and universal magnitudes thus immensely contributing to the development of the contemporary Arabic literature particularly the genre of travel and children .

الملخص: يستهدف هذا المقال لاستعراض مدى تأثير الكتابات الرحلية في مجال توسيع دائرة أدب الأطفال وتطوير أنماطها المتنوعة إضافة إلى الأشكال السائدة من الشعرو القصة والأقصوصة والرواية وما إليها ، كما يسعى إلى التعرف برواد هذا الفن المبدعين الذين أثروا بنتائجهم المكتبة العربية بشكل عام ونوعي أدب الرحلة والطفل بشكل ملحوظ . تتمحور هذه الدراسة حول إنتاجات أشرف أبو اليزيد المبدعة في هذا المضمار بصفة كونه علماً بارزاً من رواد كلا الفنين في العصر الحديث حيث أولى اهتمامه البالغ بكتابة الرحلات وسرد سلسلة القصص ذات الطابع الرحلي للأطفال في مجلات الأطفال المشهورة.

المدخل: إن أدب الأطفال عمل إبداعي هادف يحتاج إلى موهبة مدربة ، تستعين بالعلم والدراسة ، يمكن أن نعرفه بأنه تشكيل لغوي فني ينتهي لنوع أدب سواء أكان قصة أم شعراً مسرحياً أم شعراً غنائياً يقدمه كاتب تقديم جيداً في إطار متصل بطبيعة الأدب ووظيفته اتصالاً وثيقاً ويتفق وعالم الطفولة اتفاقاً عميقاً.

بناء على هذا فإن "أدب الأطفال" في مجموعته هو الآثار الفنية التي تصور أفكاراً وإحساسات وأخيلة تتفق ومدارك الأطفال، وتتخذ أشكالاً متعددة، كالقصة والرواية والمسرح والشعر والمقالة، والأغنية وغيرها، وتكون قائمة على معايير أخلاقية ثقافية اجتماعية، غير منفصلة عن المعايير الفنية.¹

يتضمن هذا النوع من الأدب-أدب الطفل- فنونا وأشكالا متعددة، بما فيها من القصة والشعر، المسرحية وغير ذلك من الأشكال الأدبية، في حين تحتل القصص مكانة ملحوظة لدى الأطفال لتمييزها بالمتعة والتشويق مع السهولة والوضوح، ولأنها تساعد على عملية التفكير والإبداع. فإذا كان الهدف الأول من القصص هو الترويح عن الصغار، والتنفيس عن رغباتهم المكبوتة، وتحريرهم بعض الوقت من القيود الاجتماعية التي تفرضها الحياة العصرية؛ فإن للقصص أهدافا تربوية وثقافية، فكثيرا ما يلجأ إليها المربون لنشر معلومة أو تدعيم قيمة أو لإثارة التفكير وتنميته لدى الأطفال، إضافة إلى أن القصة تبدو في نظر الطفل لونا من ألوان اللهولاء يمل تكرارها وتبعث في نفسه الهدوء والسكينة، وتصبح متنفساً لطاقتها المفتوحة أو تدريباً لخياله وذهنه وعواطفه وانفعالاته، كما هي تدريبه على تكوين بعض الصلات الاجتماعية، فتكون جسراً بينه وبين الآخرين.

فالقصة نوع من الحكاية وهي من أحب ألوان الأدب للأطفال ومن أقربها إلى نفوسهم وهي عمل فني له قواعد وأصول ومقومات وعناصر فنية، تعتبر من الوسائل الهامة لتدريب الأطفال على السرد والتعبير، وهي على أنواع بما فيها من الرواية والقصص القصيرة ثم الأقصوصة.

وإذا اهتممنا بتتبع مصادر تراثنا العربي نطلع على أن هناك أشكالاً وأنماطاً مختلفة لقصص الأطفال يمكن تقسيمها على حسب الموضوعات من قصص الإيهام والخيال مثل كتاب "طواحين الهواء" لدون كيشوت وقصص الأساطير والخرافات التي تختص بالآلهة وأفعالها مثل حصان طروادة أو الأبطال خارق القوة مثل: عنتره العباسي وسيف بن ذي يزن وأبو زيد الهلالي، وقصص الحيوان مثل كيلة ودمنة وقصص أحمد شوقي الشعرية، وقصص المغامرات التي تثير فضول الأطفال وتدفعهم إلى استكشاف ما هو غريب مثل قصص السند باد، والقصص الفكاهية التي من شأنها أن تخفف من التوتر الذي يعيشه الأطفال مثل قصص جحا ونوادره وما إليها من القصص العلمية والواقعية.

من هنا تأتي مكانة أدب الرحلة وقيمتها الفنية في إطار أدب الأطفال وتوسيع أبعاده المختلفة، وذلك لكون الرحلات متضمنة الطابع القصصي بشكل خاص مع ما فيها من الأشكال الأخرى التي تضفي عليها طابع الأدب والفن من الرواية والمسرحية والشعر. ومن أبرز ما يميز أدب الرحلات تنوع الأسلوب من السرد القصصي للمغامرات، والعواطف المحركة إلى الحوار والوصف الطريف وغيره، وما فيه من متعة ذهنية، حيث حدا

¹ الإجابة النموذجية لمادة : أدب الأطفال ،جامعة بنها .كلية التربية تعليم أساسي . 2011ص 3.

بالدكتور شوقي ضيف إلى اعتبار أدب الرحلة عند العرب خير رد على التهمة التي طالما اتهم بها الأدب العربي تهمة قصوره في فن القصة .

ومن الملاحظ ، إن القيمة الأدبية لكتب الرحلات تتجلى في ما تعرض فيه موادها من أساليب ترتفع بها إلى عالم الأدب ، وترقى بها إلى مستوى الخيال الفني ، وبرغم ما يتسم به أدب الرحلات من تنوع في الأسلوب من السرد القصصي إلى الحوار إلى الوصف ، فإن أبرز ما يميزه أسلوب الكتابة القصصي المعتمد على السرد المشوق ، بما يقدمه من متعة ذهنية كبرى.¹

وانطلاقاً من هذا كله يمكن القول بأن العنصر المحوري أو العامل المشترك الذي يعمل كجسر تواصل بين هذين النوعين – أدب الطفل وأدب الرحلة – هو البناء القصصي المشوق ، الأكثر تحبيبا وترغيبا إلى الأطفال ، فأهمية كل من هذه الفنون تكمن في قيمها الفنية بصفة أنها تزود القراء بمعلومات ، وصور ممتعة ، وأخبار تلذ وتمتع ، وتستعرض الأحداث بصورة أدبية ، تتسق مع النفس البشرية ، فتشكل رافدا ثرا من روافد الفن والمتعة الأدبية.

إنتاجات كامل كيلاني وإبراهيم شلبي:

منذ زمن قديم ارتبطت الحكاية في كل الأزمان بالرحلة ، وأشهر القصص والحكايات الشعبية العربية هي رحلات قام بها أصحابها ، مثل قصص السندباد ، وقصص ألف ليلة وليلة ، ولذا لا يمكن أن نفصل الأدب عن الرحلة عبر العصور .

وبتقصي الإبداعات والأعمال المؤلفة في مجال أدب الأطفال في العصر الحديث ، نجد إنتاجات رائعة نسجت على منوال الرحلات كما انعكست ملامحه جلية في السندباد البحري للكامل كيلاني ، علم من رواد هذا الفن في العصر الحديث ، مثل دوره في هذا الإطار بإنشاء مكتبة للأطفال نظرا لاهتمامه الشديد بفن أدب الأطفال في 1927 ، وأصدر قصته الأولى تحت عنوان "السندباد البحري" التي تعد حكاية من حكايات ألف ليلة وليلة ، يقص فيها السندباد على الهندباد "الجمال" مغامراته البحرية ، وكيف استطاع بعد جهد وعناء أن يجمع الثروة الطائلة التي ظنّها الهندباد أتته بلا تعب ولا اجتهد.²

ومن اللافت أنه قد خاطب الأطفال عبر الإذاعة ، وألف وترجم ما يقرب من 250 قصة للأطفال من بينها "مصباح علاء الدين" ، "روبنسون كروزو" ، "حي بن يقظان" ، "نوادرجا" ، "شهرزاد" ، "ألف ليلة" وغيرها من قصص الأطفال المثيرة .

تحقيقاً للإفادة نقدم نبذة من السندباد البحري تحت عنوان "دهشة الحاضرين" وذلك كما يلي : ولما

¹ حسين ، حسني محمود ، أدب الرحلة عند العرب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1976 ، القاهرة ص 10 .

² كيلاني ، كامل . السندباد البحري ، دار المعارف . القاهرة ، مصر ، 2007 .

انتهى السندباد من كلامه ، التفت إلى الهندياد الحمال وقال له مبتسما : هذا ما حدث لي في الرحلة الأولى وسأخبرك غدا بما حدث لي في رحلتي الثانية، وما رأيته فيها من العجائب! . فدهش الهندياد الحمال وعجب جميع الحاضرين مما سمعوا.

ومن أبرز نموذج تناول فن الرحلات في أدب الأطفال سلسلة كتب "رحلات وسيم في عالم أديب وحكيم" للدكتور إبراهيم شلي، الذي حاز على جائزة أفضل كتاب للناشئة عن هيئة الشارقة للكتاب، والكتاب قد انتهج منحى الرحلات حيث يقوم الطفل وسيم برحلات فكرية ممتعة مع أعلام الأدب والفن وشخصيات أثرت في تاريخ الإنسانية وفوارس ميدان الفكر والفن.

ونرى وسيم مرة ، يذهب في رحلة إلى الغابة مع جبران خليل جبران، ليفهم معنى العطاء وقيمة الرحمة والتسامح ويتعلم كيف يتناغم مع إيقاع ودروس الحياة، وأخرى رحلة الريف بصحبة توفيق الحكيم وحمارة وعصاه ليتعلم وسيم سر الرضا عند الفلاحين والبسطاء، ويفهم قيمة الفكر والعمل والمعنى الحقيقي للسعادة كما سيتعرف على دور الفن والشعر في إثراء الإنسانية، ويقوم برحلة نيلية مع أنيس منصور كما صحب الكاتب العبقرى عباس محمود العقاد في رحلة فكرية مدهشة .

يمكن أن نتعرف على مدى إيقاع وتأثير الرحلات في مشاعر الأطفال وجدانها وفنيتها إذا صحبنا وسيم في تفاصيل ومغامرات الرحلات العجيبة التي قام بها مع العبقرى الموهوب نجيب محفوظ إلى قلب القاهرة القديمة حيث نشأ وجعلها موقع أحداث كبرى رواياته. يتعرف خلالها على فلسفته ومفهومه للرحمة ودور القلب والعقل والضمير وأهمية الأخلاق في تشكيل المجتمع.. وكيف أن سعادتنا الحقيقية مرتبطة بوجود الله.. وأن آفة حارتنا هي النسيان. يتجه بعدها وسيم إلى رحلة تخييم في الصحراء الغربية بصحبة الكاتب الفرنسي أنطوان دوسانت إكروبري وهكذا يواصل الرحلات والجولات مع الأعلام والأدباء من أمثال الدكتور مصطفى محمود والشاعرة السورية غادة السمان وغيرهم كثير.¹

ويأتي في هذا القبيل كتاب "غرائب رحلات ابن بطوطة" في سلسلة المجموعة التاريخية للصغار واليا فعين من إصدارات دار القلم العربي للأطفال، محتويا على طرائف ووقائع غريبة منتخبة من رحلات ابن بطوطة معروضة في طابع فني يثير أحاسيس الأطفال ويخلب أفكارهم اليا فعة.²

أشرف أبو اليزيد:

وفي طليعة هؤلاء الكتاب المعاصرين الذين ساهموا في توسيع دوائر أدب الأطفال بطابع رحلي، يأتي

¹ شلي، د. إبراهيم . رحلات وسيم في عالم أديب وحكيم . دار البستاني للنشر والتوزيع ، 2017.

² غرائب رحلات ابن بطوطة . المجموعة التاريخية للصغار . دار القلم العربي .

الروائي الشاعر الرحالة كاتب أدب الأطفال أشرف أبو اليزيد بكتابات ثرية الممتعة في كلا الفنين، وهو أديبٌ صحفي مترجمٌ ورحالة، عشق الأدب والسفر منذ صباه، وتحقق حلمه عند التحاقه بالعمل بمجلة "العربي" في تقديم نماذج لأدب الرحلات على غرار ما تقدمه مجلة "ناشيونال جيوجرافيك" العالمية. سافر إلى بقاع الأرض المختلفة، وارتبط بصداقات وطيدة في بلاد الله، وأينما سافر حمل نهر النيل بداخل أوردته، ومن ثم فعندما أصدر كتاباً يضم مختارات من رحلاته؛ أسماه "نهر على سفر".

وكما أن أشرف أبو اليزيد رحالة بين البلدان؛ فهو رحالة أيضاً بين دروب الكلمات، فقد تنوع إبداعه الغزير ما بين الشعر والرواية وأدب الأطفال والدراسات الثقافية والترجمة، وقدم للمكتبة العربية أكثر من 25 كتاباً ترجم بعضها للغات الأجنبية، كما قدم للتلفزيون سلسلة لقاءات مع أيقونات الثقافات الأجنبية في برنامجه (الأخر). درس الأدب الإنجليزي، وعمل بالترجمة، ثم تفرغ للصحافة الثقافية، فعمل سكرتيراً للتحرير بمجلتي (نزوى) بسلطنة عُمان، و(أدب ونقد) بمصر، ومحرراً ثقافياً بمكتب وكالة رويترز للأنباء بالقاهرة، وكان آخر عمل صحفي شغله هو كبير محرري مجلة (العربي) الكويتية. حصل على جائزة مانني للأدب عام 2014 من كوريا الجنوبية، وجائزة الصحافة العربية فرع الثقافة من نادي دبي للصحافة عام 2015، وكرمه جمهورية تاتارستان بروسيا الاتحادية مرتين لدوره في التعريف بالثقافة التتية. من بين أبرز كتبه: في الشعر (وشوشة البحر- ذاكرة الصمت- ذاكرة الفراشات)، وفي الرواية (شماوس- حديقة خلفية- الترجمان) وفي الرحلة (سيرة مسافر - نهر على سفر).¹

أدب الرحلة للأطفال في كتابات أشرف أبو اليزيد:

وبالنسبة للكاتب والشاعر أشرف أبو اليزيد فقد كان قارئاً نهماً منذ صغره، وبالإضافة لحكايات السندباد البحري، والسندباد البري، وعلي بابا وباقي القصص التي تعرف عليها، فقد طالع أيضاً كثيراً من الكتب المترجمة التي قدمت له عالم الرحلة، مثل (هايدي السويسرية) التي عرفته على جبال الأب الشهيرة والحياة في شبه الجزيرة الاسكندنافية، وقصص الرحالة على طريق الحرير، خاصة ابن بطوطة، وابن فضلان، وغيرهم كثير. وحين جرب السفر كبيراً، بذل الجهد لتدوين هذه الرحلات، وقد زار أكثر من 33 بلداً في عدة قارات، وكانت رحلاته المكتوبة للأطفال مثلاً شاهداً على دوره في تقديم هذا الأدب للناشئة العرب. وله منهج خاص اكتسبه من خلال تجاربه الواسعة في أدب وصحافة الأطفال.

يقول موضحاً ملامح طريقته، إجابة لسؤال طرح عليه في حوار، كيف تختلف في رأيك الكتابة للأطفال عن الكتابة للكبار؟: هناك سمات فيما أستدعيه وأكتبه للأطفال. ومبدئياً يجب على كاتب الأطفال الحرص على

¹ من حوار صحفي، أجراه الكاتب محمد زين العابدين مع أشرف، نشر بجريدة القاهرة.

تقديم قيمة إنسانية مكتوبة بشكل واضح، وبطريقة تستطيع جذب الطفل، ويجب البعد عن المعاني الغامضة، وفي الوقت نفسه البعد عن الأسلوب المباشر، فالأطفال لديهم خيال أوسع من خيال الكبار، وفوجئت مثلاً بأن ابنتي اللتين تشتركان في تأليف القصص قامتا بتأليف قصة تدور أحداثها في كوكب جديد اخترعوا له اسماً ولغة ومعالم خاصة، فحين نقدم فكرة نمطية مملة للطفل نمتن عقله الذي يسبقنا بمراحل، علينا أن نخاطب ذكاء الطفل وحواسه المختلفة.¹

ومن أهم السلاسل التي قدمها (مغامرات ماجد على طريق الحرير)، وهي المغامرات التي استمريت كتابتها أسبوعياً على مدى 4 سنوات، ونشرت في مجلة (ماجد) بالإمارات، كما كتب عدة رحلات مستقلة إلى بلدان ومدن العالم نشرتها مجلة (العربي الصغير) بالكويت.

نماذج من كتاباته للأطفال:

ومن نماذج الرحلة للأطفال المنشورة في العربي الصغير: مع جحا في أوزبكستان، وكتب فيها الآتي: "وصلت رحلتنا إلى جمهورية أوزبكستان. نحن نقرأ أسماء مدنها كثيراً في كتب التاريخ، مثل عاصمتها طشقند، وشقيقاتها سمرقند وبُخارى وخوارزم.

سأتوقف في مدينة بخارى الشهيرة لأقدم لكم بعض الفنون التقليدية، فهي مدينة تاريخية وخامس مدن أوزبكستان سكاناً، بأكثر من 265 ألف نسمة، وتقع مثل باقي مدن أوزبكستان على طريق الحرير. تأسست مدينة بخارى في عام 500 قبل الميلاد في منطقة تسمى آرك، على نهر زرفشان. وقد دخلها المسلمون في القرن السابع الميلادي، سنة 54 هجرية.

ترتبط فنون مدينة بُخارى بطريق الحرير الذي كانت تعبره القوافل التجارية بين الشرق والغرب، بدءاً من الصين في آسيا، وصولاً إلى البندقية في أوروبا. وقد تحولت المباني التاريخية في بخارى إلى أسواق ومطاعم وفنادق ومدارس، وأجمل شيء هو ورشات الرسم وصناعات الخزف والغزل.

من أشهر هذه الفنون رسم المنمنمات. وتعني كلمة (منمنمة)، في اللغة العربية، كل ما هو مُصَغَّر، فهي الصورة الدقيقة المزخرفة في المخطوطات، كما أنها لوحات مصورة مُصَغَّرَة، تضم رسوماً وزخرفة ونصوصاً، ذات تفاصيل دقيقة.

فَنِّ المُنْمَنَاتِ في بخارى نوعان، قديم ومعاصر، ولا تزال المخطوطات المحفوظة في المدينة، أو المنقولة منها إلى متاحف العالم تحكي الكثير.

¹ المرجع نفسه .

لقد هرب الخطاطون والرسامون من بلاد فارس بسبب الحروب، وجاءوا إلى بخارى في أوائل القرن السادس عشر الميلادي، وظهرت المنمنمات التي رسمها هؤلاء بأزياء قديمة وحديثة، وأحب الشعب هذا الفن، فرعاه وتطور كثيرا.

وبجانب فن المنمنمات رعى الفنانون صناعة الحلي وصياغة المجوهرات، وشغل الفخار والخزف، والرسم على القماش، والنقش على الجلود، ونسج الأبسطة، وحفر الخشب، وتركيب الجص.

وأحد الأنواع المنسية من الفنون في بخارى هو الرسم على المينا فوق صناديق صغيرة مصنوعة بالطريقة القديمة باستخدام تقنية الصائغين، بإطار من الفضة والنيكل وإضافة قطع من الفيروز والأحجار النفيسة الأخرى وقلادات العنق.

ومثلما نعرف في الشرق العربي حكايات جحا، فإنهم في مدينة بخارى يسمونه نصر الدين خوجة، ويحتفظون بتمثال له يركب حمارا بجوار البحيرة الصناعية الوحيدة الباقية في المدينة.

وحين تزور الأسواق ستسعد بمشاهدة الدمى (العرائس الخشبية) التي ترتدي الأزياء الشعبية الأوزبكية. رأيت صبيا في مثل عمركم بإحدى الورشات يتعلم أحد هذه الفنون، قال لي إن والده علمه هذه الحرفة وإنه يحب الفن كثيرا، وحين ينتهي من العمل الفني يضعها في متجر جده، ليشتريها زوار المدينة.

في مدينة بخارى عشت ساعات توازي ألف عام، فقد علمت عن تاريخها، واستمتعت بفنونها، وضحكت أمام تمثال جحا، واشترت دمية لا أزال أحتفظ بها حتى اليوم. إن الرحلة إلى بلاد الشرق والغرب مفيدة، وأتمنى أن تكتبوا عن رحلاتكم، فقد تصبحون يوما رحالة مشهورين على طريق الحرير الجديد."

توضيحا لمدى عمق تأثير الرحلات في وجدان الأطفال، أقدم هنا نموذجا آخر من إحدى (مغامرات ماجد على طريق الحرير)، وهي سلسلة ضمن أدب الرحلة للأطفال:

مغامرات ماجد على طريق الحرير (42)

نمر الهيمالايا (الحلقة الأولى) يروها: أشرف أبو اليزيد

على مشارف حدود بشكورستان، إحدى جمهوريات روسيا الاتحادية، توقفت السيارة التي يقودها السائق (قديروف) أمام مطعم صغير على الطريق. مرت ساعتان، والبرد الشديد مهاجم بجليده زجاج السيارة. قال (قديروف) وهو يلتفت إلى الراكبين:

"حان الوقت لبعض الشاي الساخن!"

فتح دليل الرحلة (آيرات) باب السيارة، وخرج يتبعه (ماجد). وقف عامل المطعم يكتب ما يطلبه ضيوف مطعمه الجدد. غاب قليلا وعاد بإناء للماء الساخن، وعلبه بها ثلاثة أنواع من الشاي، الأخضر، والأسود،

والمعطر. كان هناك فنجان به مكعبات سكر، وملعقة، وطبق صغير به قطع من الزبد، وطبق أكبر به شرائح خبز أسمر مع السكين الصغير الذي يستخدم عادة في دهن الخبز بالزبد، بالإضافة لأكواب الشاي. تناول الثلاثة في صمت الخبز، بينما توزعت الأكواب، وتصاعد بخار الماء من الأفواه بينما تمسك الأيدي بقوة أكواب الشاي لتحصل على بعض الدفء.

أمامهم كانت هناك طاولة يجلس عليها رجل حليق الرأس، ملامحه الآسيوية أغلب من أن يشبه الروس أو التتار. رأى (آيرات) نظرة (ماجد)، وكأنه كان يعرف ما يفكر فيه، فقال:

"هذه المنطقة جذبت الكثيرين على مدى مئات السنوات، بدأ الأمر بهم كتجار على طريق الحرير، ومنهم من كان يأتي ويذهب، ولكن بعضهم تزوج هنا، جيلا بعد جيل، لذلك ستجد الكوريين، والصينيين، مثلما ستجد أبناء الجمهوريات التي كانت جزءا من الإتحاد السوفيتي وانفصلت عنه مثل قرغيزيا وطاجيكستان".

كان الرجل يشبه إلى حد كبير الرهبان الذين كان (ماجد) يراهم في المعابد الكثيرة في شرق قارة آسيا. له وجه مستدير ورأس بلا شعر وشفته دقيقتان، وبشرته تميل للون الأصفر، ويرتدي نظارة طبية. كان الرجل يضع خريطة كبيرة أمامه ويتأملها ويكتب عليها بعض الملاحظات بقلمه. بعد قليل، جمع خريطته وأغراضه، ثم دفع لعامل المطعم قيمة ما تناوله، وسار خارجا من المطعم. لم يتجه إلى موقف السيارات بل تابع تحركه باتجاه الطريق الرئيسي.

أنهى (ماجد) ورفيقاه تناول الشاي الساخن والخبز بالزبد. وبعد دفع الحساب، انطلقوا إلى السيارة بسرعة، لتجنب قطع الثلج الساقطة مثل حبات الفيشار. داخل السيارة بدأ جهاز التدفئة يعمل من جديد، قبل أن تأخذ السيارة مسارها نحو الطريق، لكن المشهد التالي جعل (ماجد) يصيح:

"أنظر (آيرات)، الرجل الذي كان في المطعم يسير على جانب الطريق في هذا الطقس البارد. يبدو أنه لا يملك وسيلة تنقل! إلى أين سيمضي وسط هذا الجليد؟"

أوقف (قديروف) السيارة بجانب الرجل ثم أطلق بوقها مرتين. التفت الرجل ثم حيا الجميع. كان يبدو عليه التردد من قبول دعوة (آيرات) الذي يشير إليه بالدخول للسيارة. لكن عاصفة من الهواء البارد كادت تطيح به، جعلته يتجه بسرعة إلى السيارة التي فتح بابها (آيرات).

"شكراً لكم!"

قالها بأكثر من لغة، منها الروسية، والإنجليزية. بدأ يفرك في يديه والسيارة تعود لمنتصف الطريق. سأله (آيرات) عن وجهته. وعرف أنه سيمضي في الطريق نفسه لمسافة نحو عشرين كيلومترا، قبل أن يتجه إلى الشرق. سأله (ماجد) عن سر تحركه على قدميه، فقال الرجل:

"أنا أتحرك ببطء لأنني أبحث عن أمر قد يفوتني إذا ظللت أنتقل بالسيارة لمسافات طويلة..."
سأله (آيرات):

"ما الذي تبحث عنه؟"

قال الرجل وهو يخرج صورة من جيبه:

"أبحث عنه!"

تبادل (ماجد) و(آيرات) نظرات التعجب. كان الرجل يحمل صورة نمر أبيض!

أعمال أشرف أبو اليزيد في أدب الأطفال:

من بين أكثر من 35 مؤلفاً، خص أشرف أبو اليزيد أدب الأطفال بهذه العناوين التالية:
أطفال من وطني العربي (ديوان شعر)، حكاية فنان عمره 5000 عام (تاريخ الفن المصري)،
حكايات كورية (قصص شعبية مترجمة)،
رَحالة العرب (سيررحالة)، وهو سرد لأهم الرحالة، وموجز لرحلاتهم.
شورالي، حكاية الحطاب وشريعة الغاب (ترجمة لمحمدة كتبها شاعرتتارستان عبد الله طوقاي)
ساعي بريد تحت الماء (قصة شعرية)،
العزة والخروف، (ترجمة لمحمدة كتبها شاعرتتارستان عبد الله طوقاي)
ولم يفت أشرف أبو اليزيد أن يكون الشعرداعية لأدب الرحلة للأطفال، فكتب قصيدته (المسافر) التي
يقول فيها:

المُسَافِر

حينَ أسَافِرُ، أعرفُ أكثرُ

عن أحوال الناس، وأبصرُ:

أدركُ أني لستُ وحيداً

أنَّ العالمَ بيتٌ أكبرُ.

أرحمُ أهلي، أيضاً أبني

جسراً عبوراً لا يتكسّر

كي أستقبل كل الدنيا

لأنَّ لديها قلباً أخضر

الخاتمة: في كل ما سبق يمكننا أن نضع أيدينا على عدة عناوين تحدد خصوصية أدب الرحلة للأطفال

عند أشرف أبو اليزيد:

- أن أدب الرحلة وجد لنفسه مجالا في أدب الطفل الذي يبدعه أشرف أبو اليزيد؛ نثرًا وشعرًا. انغماس الكاتب في السفر جعله يقدمه في أكثر من عمل للطفل، سعيا للتعرف على الآخر، والتواصل معه، فأصدر رحالة العرب (سير رحالة)، ضمن سلسلة كتاب العربي الصغير، وقدم أكثر من خمسين رحلة لمغامرات ماجد على طريق الحرير، كانت كل منها تنشر على مدى أربعة أو خمسة أسابيع متتالية.

- أن اللغة الفصحى هي الأساس في هذا الإبداع الموجه للطفل العربي، وليس بالعامية المقصورة على الأطفال في مصر، كما أن هناك شغفا بابتكار مفردات بسيطة فصيحة.

أن القيم الإنسانية هي التي تحرك هذا الإبداع، مثل قيم المساواة بين الأجناس والأعراق -

- اهتمام الكاتب، بفضل معرفته ودراسته باللغة الإنجليزية، بترجمة أعمال أدبية لشعوب العالم عبر هذا الوسيط اللغوي، فترجم قصصا شعبية كورية في كتابه حكايات كورية (قصص شعبية مترجمة)، مثلما ترجم (شورالي)، بعنوان حكاية الحطاب وشريعة الغاب (وهي ترجمة شعرية للمحمة كتبها شاعر تاتارستان عبد الله طوقاي)، وله أيضا (العنزة والخروف) التي ترجمها أشرف أبو اليزيد شعرا كذلك.

- اهتمام الكاتب بالفن التشكيلي جعله يقدم تاريخ هذا الفن في مصر للأطفال في كتابه حكاية فنان عمره 5000 عام (تاريخ الفن المصري)، الذي صدر عن المركز القومي لثقافة الطفل، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، سنة 2006.

المصادر والمراجع

نهر على سفر، أشرف أبو اليزيد . سلسلة كتاب العربي، وزارة الإعلام، دولة الكويت، 2015.

السندباد البحري، كامل كيلاني . دار المعارف . القاهرة، مصر، 2007.

أدب الرحلة عند العرب ، حسنى محمود حسين . الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1976.

غرائب رحلات ابن بطوطة . المجموعة التاريخية للصغار، دار القلم العربي.

رحلات وسيم في عالم أديب وحكيم، د. إبراهيم شليبي . دار البستاني للنشر والتوزيع، 2017

الرحلات ، شوقي ضيف . دار المعارف ، القاهرة . 1956

الإجابة النموذجية لمادة : أدب الأطفال ، جامعة بنها . كلية التربية تعليم أساسي. 2011.

قاسم أمين وقضايا المرأة في المجتمع المصري



سيدة مهارة بيضاه
باحثة بجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا
اونتي فورة بلوامة كشمير بالهند.
syedahmahparaa@gmail.com

ABSTRACT: This research paper discusses about the Qasim Amin's whole life activities, and his ideas and thoughts about the women movements and their rights and duties in society and family in Egypt. He was an Egyptian jurist, Islamic modernist, philosopher and reformer. He had been historically viewed as one of the Arab world's "First Feminists". His advocacy of greater rights for women catalyzed debate over women's issues in Egypt , He fought against the secular nationalists, as well as the state for political freedom and right especially in education , early marriage , polygamy , divorce , face veiling and seclusion of Muslim women in Egypt . He focused on enhancing the status of education of women in Egypt because education would helps them to manage their homes, he believed that heightening a women's status in society would greatly improve the nation, and he also argues that the intellectual equality of men and women because they are equal to men and her feeling and her thinking are the same as a men . He was greatly influenced by western lifestyles especially by western feminists and their thoughts and ideas. He wrote two influential books- in 1899 "Tahrir – al – Mar'a"(The liberation of women) and in 1900 "Al- mar'a – Al – Jadida"(The new women).

Key words: Qasim Amin, social reformation, women's movement, Egyptian women's issues, Women's Liberation.

الملخص: كان قاسم أمين مفكر عظيم وصاحب شخصية علمية وأدبية واعية بمشاكل مجتمع مصري وداعية من دعاة الإصلاح الاجتماعي المصري ، هو أول رائد لحركة النسوية في مصر الذي دعا بجرأة إلى تعليم المرأة وثقيفها وحريتها ومساواتها وتخفيف حجابها وتنظيم زواجها وطلاقها ومدافع عن حقوقها لأن المرأة عند قاسم أمين إنسان مثل الرجل لا يختلف عنه في الإحساس ولا في فكر ، وأحس قاسم أمين عدم المساواة بين الرجل والمرأة في التماثيل السياسية المصرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في كل أشكال الأنشطة الانتاجية والاستفادة من الموارد ، أن المرأة المصرية ليست أقل أهمية في كافة مجالات الحياة بالنسبة إلى الرجل كما هو المزعوم عند العامة وكل من يزعم كذلك فهو بعيد عن الصواب ولذلك اشتهر هذا

المصلح العظيم بين معاصريه من المفكرين بـ " نصير المرأة الأكبر " و " محرر المرأة المسلمة " كما أيضا رائد " تحرير المرأة " في مصر . فآلف قاسم أمين لهذا الغرض كتابين أولهما بعنوان " تحرير المرأة " وثاني سماها " المرأة الجديدة " .

الكلمات المفتاحية : قاسم أمين ، الإصلاح الاجتماعي ، الحركة النسوية ، قضية المرأة المصرية ، تحرير المرأة ،

حياة قاسم أمين : ولد هذا المصلح الاجتماعي مصري ببلدة طرة من ضواحي القاهرة في ١٨ ديسمبر ١٨٦٣ م من أب تركي وأم مصرية من صعيد مصر. شغل أبوه محمد بك أمين مناصب حكومية في الإمبراطورية العثمانية في مناطق ولادية العراق في مدينة السليمانية ثم جاء محمد بك أمين إلى مصر في عصر الخديوي إسماعيل والتحق بالجيش المصري ليصبح قائدا سلاح المرافطين حتى استطاع أن يرقى إلى رتبة أميرالاي في الجيش المصري¹. نشأ قاسم أمين بالاسكندرية وحصل تعليم الإبتدائية في مدرسة التين بالاسكندرية فنال فيها الشهادة الإبتدائية وحصل تعليم الثانوية في المدرسة التجهيزية بالقاهرة . بعدها رحل قاسم أمين في بعثة إلى فرنسا لدراسة القانون في جامعة مونتبلييه Montpellier وقضى فيها أربعة سنوات وحصل فيها الشهادة اليسانس في الحقوق سنة ١٨٨١ م وهو في العشرين من عمره وكان أول متخرجها في ذلك العام ، ودرس بها المجتمع الفرنسي والعلوم العصرية كالفلسفة والعلم الاجتماعي واتصل بالحياة الأوروبية اتصالا وثيقا وقرأ في فرنسا لمفكري أوروبا الكبار من مواضيع الأدبية والاجتماعية والسياسية وقرأ ما كتبه الغربيون في شأن النساء مثل " نيتشه " و " داروين " و " ماركس " وحاول الاقتراب من المجتمع الفرنسي وكانت في فرنسا في الوقت نفسه حركة نسائية كما كانت في أمريكا و إنكلترا حركة نسائية أخرى التي منح الحرية السياسية للنساء ، احس وشاهد قاسم أمين حياة المرأة الفرنسية من قريب فوجدها بأنها تثقيف وتحترت من كل القيود وخرجت من عزلتها وبدأت تشارك الرجل في البناء الفكري والحضاري واتيحت له الفرصة أن يرى المجتمع الغربي من قريب².

والتقى قاسم أمين في تلك الفترة من جميعة جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده في فرنسا وكان وثيق الصلة معهما ومتأثر بما كان ينشر في العروة الوثقى وقرأ قاسم أمين جميع أعداد العروة الوثقى وتأثر بها تأثرا بالغاً وكتب مدة قصيرة في جريدتها عندما كان في فرنسه ، فتأثر بأراء الجديدة و أفكار الإصلاحية ومنئذ

¹ دكتور محمد عمارة ، الأعمال الكاملة لقاسم أمين ، ص ٢٠

² المراجع السابق ، ص ٢٠ ، ٢١

ذلك حين يكتب قاسم أمين بمثل الروح . لما قرأ قاسم أمين حياة المرأة المصرية باتقان وجد ، فأدركها تعيش حياة الجهل والظلم والقهر كما هدته دراسته العميقة أن هناك علاقة قوية بين تطور المرأة وتقدم الأمم ، وتطور الأمم مرتبط بتقدم المرأة وتطورها وأحس أن الجهل امرأة عقبة في طريق تطور المرأة فتيقن بأن المرأة المصرية إذا تعلمت و تثقفت سيكون لها الشأن الأكبر. وهو ينظر إلى المجتمع المصري واحس وشاهد أن المجتمع المصري يختلف عن المجتمع أوربا ووجد لها ساكنة هادئة كأنها عالم من كوكب آخر كما يقول " وجهت كل أمم أوربا التفاتها إلى المسائل الاقتصادية واعتناءها بها كل الاعتناء . فأشأت نظارة للتجارية وللصناعة وللمستعمرات وأكثر من انشاء المدارس التجارة والصناعية تهافتت على وسائل الاستعمار . وصارت كل أمة تزاحم الأخرى في هذا السبيل . التنافس بينها فيه شديد بالغ حد الكفاح والجهاد ... ونحن معاشر المصريين لاشغل لنا تلقاء كل ذلك الا الاشراف على ميدان هذا التنافس للتفرج على المتنافسين و الاعجاب بهذه الأمة والاستهزاء بتلك ، كأننا عالم كوكب آخر حضرنا إلى هذه الدنيا للتفرج على أهلها أياما معدودة ثم العودة إلى أوطاننا بعد ذلك بسلام . نحن اللقمة الدسمة التي يريد كل منها أن يبتلعها في جوفه ¹" كان قاسم أمين المترجم الخاص بالأمام محمد عبده في باريس وتأثر قاسم أمين أيضا بمقالات عبد الله النديم في " التنكيت والتبكي " هو الرجل الوحيد من العربيين المحكوم بالاعدام و اقترب قاسم أمين المدرسة الفكرية التي اذدهرت في مصر وكتب قاسم أمين معظم المقالات الاصلاحية التي نشرت في الصحف والمجلات المصرية وهذه مقالات الاصلاحية أحدث ضجة كبرى في معظم الاقطار العربية وخصوصا ما كان يتعلق منها بالمرأة وارتبط قاسم أمين بالحركة الوطنية عن طريق صديقه سعد زغلول فكان من رعاة مشروع الجامعة الأهلية المصرية (جامعة القاهرة حاليا) كما لعب قاسم أمين دورا مهما في إنشائها ودعا إلى الفكرة الوطنية بعد ان كانت قد نشطت الدعوة في اقامة الجامعة الإسلامية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر وائل القرن العشرين متحدية الدعوة القومية التي نادى بها بعض الشباب العربي ممن اراد النهوض بهذه الأمة و أن استقلال الفكر لا يكون إلا بالتعليم فطالبوا بإنشاء كلية مصرية على غرار الجامعات الأوروبية بذلك كان الإصرار على إنشاء الجامعة عملا وسياسيا وثقافية ووطنيا يتحدى الاحتلال من أجل إثبات إرادة الأمة و إصلاحها ². تأثر قاسم أمين أيضا بشخصية نازلي هانم لأنها كانت امرأة متعلمة و مثقفة بالدين والأخلاق أنشأت هذه السيدة أول صالون أدبي وسياسي في مصر الحديثة يلتقى فيه المعتدلون من المفكرين المصريين

¹أعلام العرب ، قاسم أمين ، الدكتور ماهر حسن فهمي ، ص ٤٩، ٥٠

²موسوعة بيت الحكمة لأعلام العرب في القرنين التاسع عشر و العشرين ، الجزء الأول ، بغداد ، ٢٠٠٠ ، ص ٤١٢

أولا كتب قاسم أمين مقالات عدة في جريدة المؤيد هاجم فيها المرأة المصرية فلما قرأت ناظلي هانم هذه المقالات غضبت من رأى قاسم أمين المدافع عن الحجاب غضبا شديدا واعتبرت نقده للنساء المصريات المقلدات للاوربيات موجها إليهما هي بالذات ثم ذهبت إلى الشيخ محمد عبده أن يصحح لصديقه قاسم أمين رأيه ثم كتبت ناظلي هانم رسالة إلى قاسم أمين وكانت رسالتها تنحصر في جملتين اثنتين وقالت فيها بالحرف الواحد " إن المرأة المصرية متمدنة ، فهمها للأمور هو نفس فهم الرجل ومقدرتها هي نفس مقدرات الرجل فقد أعطوها الفرصة وأفرجوا عنها"¹ ثم ذهب قاسم أمين مع الشيخ عبده إلى ناظلي هانم فوجدها أن هذه السيدة تتقن العربية والفرنسية والتركية كأبنائها ولا تجالس رجالات مصر فقط ولا تواكبهم فكريا وحسب لكن رأيها المستقل الثاقب في الأمور الداخلية والشؤون العالمية وأيضا وجد قاسم أمين أنها تدافع عن مصرو نساء مصرو حقوق مصرو قضية نساء مصرو حرية نساء مصرو مساواة نساء مصرو تعليم نساء مصرو وبعد ذلك علم قاسم أمين من هذه السيدة أن المرأة المصرية لو تعلمت لأصبحت خيرا من المرأة الفرنسية ، وكانت سببا رئيسا في تحول فكرة قاسم أمين تماما عن المرأة فبدأ يكتب حول ضرورة تحرير المرأة وحقوقها ثم أصبح بطلا كبيرا لقضية حرية المرأة ، رفع قاسم أمين صوته عاليا بجراة وإقدام مطالبها بما للمرأة من الحقوق التي خصها بها الدين وهي لا تزال تجهلها والدين لم يكن مسؤولا عما كانت فيه من انحطاط بسبب الجهل وعادات المجتمع . ولما عاد قاسم أمين إلى وطنه مصريفكر جديد وعقل جديد ووجهة جديد ودرس قاسم أمين المجتمع المصري دراسة عميقة أن المرأة المصرية في قيود الجهالة والأقذار القديمة محرومة من الحرية والمساوية في شؤون الحياة ومغلولة في القضاء لحياتها ، وأحس أن حالة المرأة والرجل في المجتمع المصري كما قال " له الحرية ولها الرق ، له العلم ولها الجهل ، له العقل ولها البله ، له الضياء والفضاء ولها الظلمة والسجن ، له الأمر النهى ولها الطاعة والصبر ، له كل شئ في الوجود وهي بعض ذلك الكل الذي استولى عليه "² وأيضا نقل دكتور عمارة قول قاسم أمين في الكتابه قاسم أمين الأعمال الكاملة " انظر إلى البلاد الشرقية ، تجد أن المرأة في رق الرجل ، والرجل في رق الحاكم ، فهو ظالم في بيته مظلوم إذا خرج منه ، ثم انظر إلى البلاد الأوروبية تجد أن حكوماتها مؤسسة على الحرية واحترام الحقوق الشخصية ، فارتفع شأن النساء فيها إلى درجة عالية من الاعتبار وحرية الفكر والعمل"³. وأيضا يرى قاسم أمين " المسلمين منتشرين في أطراف الأرض ، فهل هم أنفسهم متحدون في عاداتهم وتقاليدهم وأساليب حياتهم ؟ أليست

¹ دور المرأة في إثراء اللغة العربية عبر العصور ، فرحانة صديقي ، ص ١٣٧ ، ١٣٩

² قاسم أمين ، الدكتور ماهر فهمي ، ص ١٣٨

³ دكتور محمد عمارة ، قاسم أمين الأعمال الكاملة ، (ص) ٧٢

الحقيقة في أن لكل أمة في كل فترة من الزمن أداها خاصة بها ترتبط بمدى تقدمها العقلي والإجتماعي ؟ ان بقية الحقيقة أن هناك تلازما بين انحطاط المرأة وانحطاط الأمة . ان الغربي الذي يحب أن ينسب كل شيء إلى دينه ما دام راقيا ، يعتقد أن المرأة الغربية قد ترقى لأن دينها قد ساعدها على نيل حريتها ، الواقع أن الإسلام قد سبق كل الشرائع في تقرير مساواة المرأة للرجل ، فأعلن حريتها واعتبر لها كفاءة شرعية يوم كانت في حضيز الانحطاط عند لك الأمم¹ .

ثم أقام مبدأ التقدم على أساس من الثقافة العربية المسلمة ورفع شأنها وصوتها في الدفاع عن قضية المرأة فقام يعمل على تحرير المرأة المسلمة بوجه عام والمرأة المصرية بوجه خاص ودعا إلى تحرير المرأة لتخرج إلى المجتمع وتلم بشؤون الحياة ومنذ ذلك الساعة بدأ قاسم أمين يبحث عن عيوب المجتمع المصري ومشكلاته وتيقن بأن المرأة المصرية اذا تعلمت وثقفت سيكون لها رتبة رفيعة في حياة المجتمع ويعلن قاسم أمين أن المرأة المصرية أن تصنع كما صنعت المرأة الفرنسية لكي تتقدم المجتمع كله ويتحرر ودعا بشجاعة إلى تعليم المرأة وثقيفها وسفورها إلى البلاد الأوربا وعمل المرأة المسلمة تماما مثل الغربية وشجاعها على تعليم الموسيقى والفنون الجميلة والآداب والرسم والتصوير والتجارة والصناعة ويشدد قاسم أمين على أهمية تعليم المرأة من أجل النهوض بالمجتمع ككل حتى تتمكن النساء من تربية جيل صالح من أولاد تربية صحيحة ، فالمرأة من وجهة نظره هي ميزان العائلة وبارتقاء العائلة يرتقى المجتمع والأمة وسبب انحطاط الأمة والمجتمع قلة تعليم المرأة كما يرى قاسم أمين عن أهمية تعليم المرأة " ارتقاء الأمم يحتاج إلى عوامل مختلفة متنوعة من أهمها ارتقاء المرأة وانحطاط الأمم ينشأ من عوامل مختلفة متنوعة أيضا من أهمها انحطاط المرأة² ". لا يدعو قاسم أمين إلى تعليم المرأة فحسب بل يدعو كذلك إلى كشف الوجه واليدين يعنى دعا قاسم أمين المرأة المصرية إلى رفع الحجاب لأنه يحرم المرأة من حريتها الفطرية و يمنعها من استكمال تربيتها . ودعوته إلى تربية المرأة وتحميلها مسؤولية جيل جديد يطمح إلى نهضة قومية شاملة لأن تربية المرأة هي أساس كل شيء وتؤدي لإقامة المجتمع المصري الصالح وتخرج أولاد صالحة من البنين والبنات وهومؤمن أن الفرنسيين قد وصلوا إلى درجة مرموقة ورفيعة من الأدب والتربية كما أنهم متقدمون في العلوم والصنائع ودعا قاسم أمين المرأة المصرية إلى تقلد المرأة الغربية في كل شؤون حياتها ، ودعا المرأة المصرية إلى الاستقلال الاقتصادي كما يتحدث عن عمل المرأة وتحريرها " لو تبصر المسلمون لعلموا إن

¹قاسم أمين ، الدكتور ماهر فهمي ، ص ١٣٧

² ، ص ٦٢ تحرير المرأة ، قاسم أمين ، تربية المرأة والحجاب ، طلعت حرب

إعفاء المرأة من أول واجب عليها ، وهوالأهل لكسب ضروريات الحياة بنفسها ، هوالسبب الذى ضياع حقوقها فإن الرجل لما كان مسؤولاً عن كل شئ استأثر بالحق فى التمتع بكل حق ، ولم يبق للمرأة حظ فى نظره إلا كما يكون لحيوان لطيف يوفيه صاحبه ما يكفيه من لوازمة تفضلا منه على أن يتسنى به¹ . أن قاسم أمين واحد من الرجال الذى حمل لواء تحرير المرأة فى مصرهورائد الحركة الفكرية والاجتماعية لتحرير المرأة نصف المجتمع فأخرجها من ظلمات العصور المظلمة إلى نور الحداثة ، القضية الأساسية التى نذر لها قاسم أمين حياته هى قضية المرأة فقد أراد لها أن تتحرر من قيودها الماضية ، يرى قاسم أمين أن حصول المرأة على حريتها الشخصية يؤدي إلى حرية الرجال السياسية كما كتب محمد قاسم صفوري فى كتابه " شعيرة السرد النسوي العربي الحديث " و حيثما تتمتع النساء بحريتهن الشخصية يتمتع الرجال بحريتهن السياسية ، فالحالتان مرتبطتان ارتباطا كلياً ... والحكومة التى تؤسس على السلطة الاستبدادية ، لا ينتظر منها أن تعمل على اكتساب المرأة حقوقها وحريتها² . وألف قاسم أمين لهذا الغرض مقالات علمية و أبحاثاً قيمة وترك كتب أساسية هى " تحرير المرأة " و " المرأة الجديدة " وأحدث ضجة كبرى فى المجتمع المصري والمجتمعات الشرقية بظهور آرائه عن الإصلاح الإجتماعى مصرى والتحرر والجهل والحجاب والظلم والحرم وتعليم المرأة والمساواة لأنه يرى تعليم النساء هى شئ أساسى لكل أمصالح وإقامة المجتمع مصروهكذا انتشرت آراء قاسم أمين إن حركة قاسم أمين من أجل امرأة جديدة كانت جزءاً من حركة شاملة لوطن جديد وكانت دعوته لتحرير المرأة من حركة تحرير الوطن³ . كما كتبت درية شفيق فى كتابها " تطور النهضة النسائية فى مصر من عهد علي إلى عهد فاروق " عن ضجة كبيرة بظهور هذه كتب أساسية " وقد أثار نشر كتابي قاسم أمين فى مصر ضجة قوية وموجة من الاستنكار الشديد فى المحيط الإجتماعي وبدأ لأغلبية الشعب أن ما اقترحه لإصلاح حال المرأة فيه اعتداء على الدين وتهجم على تعاليمه ، وحمل الجميع على الكاتب تدفعهم عوامل مختلفة منها حسن النية ومنها غريزة التقليد والمحاكاة⁴ .

مؤلفات قاسم أمين : كتب قاسم أمين كتاب " تحرير المرأة " سنة ١٨٩٩ م⁵ وتكلم قاسم أمين فى كتابه تحرير المرأة عن الحجاب وتعدد الزوجات والطلاق ، وأثبت أن العزلة بين المرأة والرجل لم تكن أساساً من

¹ ، قاسم أمين الأعمال الكاملة ، ص ٧٣ الدكتور محمد عمارة

² شعيرة السرد النسوي الحديث ، محمد قاسم صفوري ، ص ٦٨،

³ ١٧٣، ١٨ الدكتور محمد عمارة ، قاسم أمين الأعمال الكاملة

⁴ تطور النهضة النسائية فى مصر من عهد علي إلى عهد فاروق ، درية شفيق ، إبراهيم عبده (ص) ٦٨، ٦٩

⁵ الموسوعة العربية ، المجلد الثالث دمشق ٢٠٠١، ص ٦٨٨

أسس الشريعة وان لتعدد الزوجات والطلاق حدودا يجب أن يتقيد الرجل بها يطلب قاسم أمين في كتاب تحرير المرأة أن توضع القيود على الطلاق وذلك مثل :

- قيد الإرادة الواضحة والنية الحقيقية على فصم عرى الزوجية .
- قيد الاشهاد على وقوع الطلاق .
- قيد التحكيم الذى حدوه القرآن يهدف محاولة الإصلاح .
- قيد جعل إيقاع الطلاق فى اختصاص القضاء¹.

ويقول قاسم أمين عن هذا الأمر "يجب أن يفهم أن الطلاق إنما هو عمل يقصد به رفع قيد الزواج ، وهذا يفرض حتما وجود نية حقيقة عند الزواج وإرادة واضحة فى إنه إنما يريد الانفصال من زوجته وان لمريد الإصلاح أن يبحث فى كتب الشرع كلها ويقف على آراء الفقهاء مهما كانت خصوصا إذا كان قصده محو فساد عظيم صار ضرر عاما ، فلم لا يجوز مع ظهور الفساد فى الاخلاق والضعف فى العقول وعدم المبالاة بالمقاصد أن يؤخذ بقول بعض الائمة من أن الاشهاد شرط فى صحة الطلاق ، كما هو شرط فى صحة الزواج كما تشير إليه الآية الواردة فى سورة الطلاق {وأشهدوا ذوى عدل منكم }² " وأيضاً كتب قاسم أمين عن مسألة الطلاق " لا يصح الطلاق إلا إذا وقع أمام القاضى أو المأذون و بحضور شاهدين ، ولا يقبل إثباته بوثيقة رسمية وليس فى هذا تعد على حق من حقوق الزوج وإنما هو وسيلة للتروى والتبصر اتخذت لمصلحة المرأة وأولاد ، بل ولمصلحة الزوج نفسه ان وضع الطلاق تحت سلطة القاضى أدعى إلى تضيق دائرته وأدنى إلى المحافظة على نظام الزواج³ " وتعدد الزوجات فى رأى قاسم أمين احتقار شديد للمرأة كما :

- من احتقار المرأة أن يقعد الرجل على مائدة الطعام وحده ثم تجمع النساء من أم وأخت و زوجة ويأكلن ما فضل منه .
- من احتقار المرأة أن يطلق الرجل زوجته بلا سبب.
- من احتقار المرأة أن يعلن الرجال أن النساء لسن محلا للثقة والأمانة .
- من احتقار المرأة أن يحال بينها وبين الحياة العامة والعمل فى أى شئ يتعلق بها⁴ .

¹ الدكتور محمد عمارة ، قاسم أمين الأعمال الكاملة ، ص ٦١ ، ٦٢

² المراجع السابق ، ص ٦٢

³ المراجع السابق ، ص ٦٣

⁴ المراجع السابق ، ص ٣٢٧

ولذلك تقييده قاسم أمين تقييدا شديدا لأن نشأ عن تعدد الزوجات فساد والعداوة والبغضاء بين أعضاء العائلات كما قال قاسم أمين عن تعدد الزوجات " فإذا غلب على الناس الجور بين الزوجات كما هو مشاهد في أزماننا أو نشأ عن تعدد الزوجات فساد في العائلات وتعدد للحدود الشرعية الواجب التزامها وقيام العداوة بين أعضاء العائلة الواحدة وشيوع ذلك إلى حد يكاد يكون عاما جاز للحاكم رعاية للمصلحة العامة أن يمنع تعدد الزوجات بشرط أو بغير شرط على حسب ما يراه موافقا لمصلحة الأمة¹ " ودعا قاسم أمين إلى تحرير المرأة وتعليمها يخطو خطوة شجاعة جدا في عصره ووضح أسباب انحطاط المرأة وتبين أن تعاليم الإسلام لا يؤدي إلى انحطاط المرأة بل هي عكس يجعلها في مركز ممتاز وفي ادوار التاريخ العربي كانت المرأة تشارك مع الرجل في الحياة العامة وتمارس حقوقها الاجتماعية والسياسية إن الدين الإسلامي سبق كل الشرائع في تقرير مساوات المرأة وبالرجل إن الدين الإسلام أعلن حرية المرأة قبل ١٤٠٠ سنة ولكن الأقدار الاجتماعية الماضية والرسومات الخاطئة التي أدت إلى انحطاط المرأة وفي هذا المجتمع جعل الرجال لأنفسهم الحرية والعلم وحق مصير الإدارة تركوا المرأة في غيابة الظلام والجهالة كما يكتب قاسم أمين في كتابه تحرير المرأة " فيجب أن تتعلم كل ما ينبغي أن يتعلمه الرجل من التعليم الابتدائي على الأقل حتى لها إلهام بمبادئ العلوم ،يسمح لها بعد ذلك باختيارها يوافق ذوقها منها واتقانه بالاشتغال به متى شاءت² ". وأيضا دعا قاسم أمين المرأة المصرية إلى الاختلاط بالرجل وتحررها من كل قيود عصور وعنده هو شراكا يستخدمها الرجل للايقاع بالمرأة في حبال الحب والمتعة ويلعب الاختلاط المرأة بالرجل دورا هاما في التحرر المرأة كما نساء أمريكا أكثرهن اختلاط بالرجل وتمتع بالحرية حتى أن البنات الغرب يتعلمن مع الرجل في مدرسة واحدة كما كتب قاسم أمين " إن نساء العرب و نساء القرى المصرية مع اختلاطهن بالرجال على ما يشبه الاختلاط في أوروبا تقريبا أقل ميلا للفساد من ساكنات المدن التي لا يمنعهن الحجاب من مطاوعة الشهوات والانغماس في المفاسد وهذا مما يحمل على الاعتماد بأن المرأة التي تخالط الرجل تكون أبعد عن الأفكار السيئة من المرأة المحجوبة³ ". يدول كتابه تحرير المرأة حول الدعوة إلى السفور مستندا إلى أن الحجاب ليس من الدين كما يظن الناس وإنما هو نتيجة عصور فرضت الحجاب على المرأة المسلمة كما يقول قاسم أمين " أما الحجاب فضرره أنه يحرم المرأة من حريتها الفطرية ويمنعها من استكمال تربيتها ويعوقها عن كسب معاشها عند الضرورة ويحرم الزوجين من لذة الحياة العقلية والادبية ولا يأتي معه

¹ المراجع السابق ، ص، ٦٤ ، ٦٥

² تحرير المرأة ، قاسم أمين ص ، ١٧

³ دكتور محمد عمارة ، قاسم أمتن الأعمال الكاملة ، ص ٥٩

وجود أمهات قادرات على تربية أولادهن¹ " طالب قاسم أمين المساواة بين المرأة والرجل في التعليم الابتدائي ويؤكد على أهمية تعليم المرأة من أجل تربية جيل صالح من أولاد وأن تعليم المرأة وتحريرها واجب وطني كما قال قاسم أمين " وليست ممن يطلب المساواة بين المرأة والرجل في التعليم ، فذلك غير ضروري ، إنما أطلب الآن ولا أتردد في الطلب أن توجد هذه المساواة في التعليم الابتدائي على الأقل وان يعنى بتعليمهن إلى هذا الحد مثل ما يعنى بتعليم البنين² " وأيضاً قال " تهذيب الأخلاق مقدم على التعليم وتعليم البنات مقدم على تعليم الذكور³ " لأن المرأة هي الأساس الأول لبناء الأسرة والمجتمع ولها دورها الهام في تنظيم الأسرة و تثقيف أعضائها وتأديبها وترقيتها علوماً حيث حجرها أول مدرسة للبنين والبنات لا يمكنها المرأة أن تدير بيتها إلا بعد تحصيل مقدار معلوم من المعارف العقلية والأدبية ولذلك دعا قاسم أمين بإخلاص إلى التعليم المرأة .

المرأة الجديدة : وهو الكتاب الذي أصدره قاسم أمين ١٩٠٠م وأهداه إلى صديقه سعد زغلول باشا⁴ وركز فيه جهده للرد على الاعتراضات التي قدمت في الكتب والمجلات ضد كتابه تحرير المرأة . فإن الكتاب المرأة الجديد يوضح لنا التوفيق بين الإسلام وحاجات العصر توفيقاً يدعم بالحقائق والدراسات البيولوجية والنفسية والمنطقية وأثبتت الدراسات البيولوجية أن المرأة مثل الرجال في قواها العقلية والعصبية فالثقافة إذن تساعد المرأة على أداء وظيفتها الفطرية في تربية أولادها واستعمالها لحريتها يزيد شعورها بواجباتها فالتعليم وحده لا يكفي في نظره للارتقاء بالمرأة وإنما لابد لها من السفور وخلع الحجاب وخروج المرأة إلى الحياة ، ورأى قاسم أمين فيه أن تسعى المثقفين العرب لتحقيق أسباب النهضة العربية متأثرين بالنموذج الغربي جعلهم يلمسون الهوة القائمة بين المجتمعات الغربية والشرقية وخصوصاً في نظرتيها المتباينتين إلى النساء ودعوتيهما إلى رفع منزلة المرأة وحقوقها ومساواتها وخاصة تعليمها كي تناسب سويتها سوية الوضع الجديد للذكر الذي أكثر علماً ووعياً وانفتاحاً ورغبة في التعبير كما تقول درية شفيق عن دعوة قاسم أمين " بعد أن تحدث عن المرأة الجديدة وأنها ثمرة من ثمرات التمدن الحديث وأنها في أوروبا قد تثقيف عقلها وتهذبت أخلاقها وشاركت الرجل مشاركة الأصيل في مختلف نواحي الحياة ، وهكذا تم لها التحول عن الجهالة إلى العلم والعرفان بعد كفاح مريين أنصارها من المجددين وخصومها من المجامدين . غاية ما نسعى إليه هو أن تصل المرأة المصرية إلى هذا المقام الرفيع وأن تخطو هذه الخطوة على سلم

¹ دور المرأة و إثارة في اللغة العربية عبر العصور ، فرحانة صديقي ، ص ، ١٤٠

² دكتور محمد عمارة ، قاسم أمين الأعمال الكاملة ، ص ، ٧٥

³ تحرير المرأة ، قاسم أمين ، تربية المرأة و الحجاب ، طلعت حرب ، تقديم ، أمينة البنداري ، ص ، ١٠٨

⁴ أدهم آل جندى ، أعلام الأدب و الفن ، الجزء الثاني ١٩٥٨ ، ص ٤٥٤

الكمال اللائق بصفتها فتمنح نصيبها من الرقي في العقل والأدب ومن سعادة الحال في المعيشة وتحسن استعمال مالها من النفوذ البيت¹. وطالب قاسم أمين باقامة تشريع يكفل للمرأة حقوقها وبحقوق المرأة السياسية ويفصل قاسم أمين تاريخ المساواة بين المرأة والرجل في الولاية الأمريكية تفصيلا دقيقا كما قال قاسم أمين " تجد في بلاد أمريكا لرجال مستقلين في معيشتهم الخاصة استقلالاً تاماً وان سلطة الحكومة وتدخلها في شؤون الافراد يكاد يكون معدوما ولهذا زادت حرية النساء فيها عما هي في أوروبا بكثير حيث تساوى المرأة والرجل من البلاد الاميركية في جميع الحقوق الشخصية وفي بعض تلك الولايات تحت المساواة بينهما أيضا في الحقوق السياسية²."

وأثبتت أن المرأة مساوية للرجل في الحقوق السياسية كما منحت الولاية الأمريكية المرأة حقوق السياسية في بعض المجتمعات وحريتها ، حين دخلت المرأة المصرية في الحياة العامة ونالت حريتها السياسية ويقوم قاسم أمين الدليل من حياة السياسية على أن الحرية هي منبع الخير للانسان وأصل رفيعته وكماله الأدبي كما قال " اعتاد القوم شيئا فشيئا على الحرية في مصروبدء ويشعرون بأن اختلال عيشتهم لا يمكن أن يكون ناتجا عنها بل له أسباب أخرى وتعلق بنفوس الكثير منا حب الحرية حتى صاروا لا يفهمون للوجود معنى بدونها وهكذا يكون الحال بالنسبة لحرية النساء أول جيل تظهر فيه حرية النساء تكثرا لشكوى منها و يظن الناس أن بلاء عظيما فيه حل بهم لأن المرأة تكون في دور التمرين على الحرية ثم مع مرور الزمن تتعود المرأة على استعمال حريتها وتشعروا بجبايتها شيئا فشيئا وترقى ملكاتها العقلية والأدبية³. عاش قاسم أمين في الغرب وشاهد حياة المرأة الغربية من قريب كما شاهد فيها التطور الفكري والثقافي ويقدم المرأة الغربية أسوة الكاملة للمرأة الشرقية كما قال قاسم أمين " هذا التحويل هو ما كل نقصد ، وغاية ما نسعى إليه هو أن تصل المرأة المصرية إلى هذا المقام الرفيع وأن تخطو هذه الخطوة على سلم الكمال بلغ من أمرا احترام الرجل الغربي لحرية المرأة أن بنات في سن العشرين يتركن عائلاتهن ويسافرون من أمريكا إلى أبعد مكان في الأرض وحدهن أومع خادمة ويقضين الشهر والأعوام متغيبات في السياحة متنقلات من بلد إلى أخرى ولم يخطر على بال أحد من أقاربهن أن وحدتهن تعرضهن إلى خطرها وكان من حرية المرأة الغربية أن يكون لها الحق في أن تميل إلى ما يوافق ذوقها وعقلها واحاسيسها وأن تعيش بالطريقة التي تراها مستحسنة في

¹ تطورا للهضة النسائية في مصر من عهد علي إلى عهد فاروق ، درية شفيق ، إبراهيم عبده (ص) ٦٧

² المرأة الجديدة ، قاسم أمين ، ص، ٨، ٧

³ ، ص ، ١٨٦ ، ١٨٧ أعلام العرب ، قاسم أمين ، الدكتور ماهر حسن فهمي

نظرها¹ ويدعو قاسم أمين إلى الأخذ بآداب الحضارة الغربية وأساليهم كما قال "ومما أخذناه على الغربيين في آدابهم تكشف نساءهم واختلاطهن بالرجال وتمتعهن بالحرية التامة واحترام الرجال لهن وكثيرمنا يعد هذه العادات اسبابا لفشو الفساد فيهم ويعتقدون ان جميع نساءهم لا يعرفن العفة وكل الرجال مجردون عن الغيرة"². عند ما ظهرت دعوة قاسم أمين في مصر خالف عدد كبير من الشعراء والأدباء على دعوة قاسم أمين ، وزلزلت مصر وأثيرت ضجة كبيرة من الاحتجاجات والنقد ، وبذلوا جهودهم لرد دعوة قاسم أمين وحرصوا الناس ضد آراءه الإصلاحية لأن دعوته لاتوافق عادات وتقالييد المجتمع المصري ولا يطابق تعليمات الدين الإسلامية ، ولكن بعض الشعراء والأدباء الذين يدركون أهمية دعوة قاسم أمين وأهمية تحرير المرأة في المجتمع المصري وأن الوطن في اشد حاجة إلى التلخص من قيود التأخر والجمود التي شلت انتاج نصف الأمة كانوا يؤيدون دعوة قاسم أمين .

المصادر و المراجع

- (1) أعلام الأدب والفن الجزء الثاني ، ادهم آل جندى ، دمشق ١٩٥٨ .
- (2) أعلام العرب قاسم أمين ، الدكتور ماهر حسن فهي ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي مؤسسة المصرية العامة .
- (3) المرأة الجديدة ، قاسم أمين ، مطبعة الشعب بشارع مصر ١٩١١ .
- (4) تحرير المرأة ، قاسم أمين ، حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف ، ملتزم الطبع ، محمد علي كامل ، مكتبة الرقي بالقاهرة ١٨٩٩ .
- (5) تربية المرأة والحجاب ، طلعت حرب ، تقديم أمينة البنداري ، دار الكتاب اللبناني بيروت ١٣١٧ .
- (6) تطور النهضة النسائية في مصر من عهد علي إلى عهد فاروق ، درية شفيق ، إبراهيم عبده ، الناشر مكتبة الآداب ، تاريخ إنشاء ٤ ، مارس ، ٢٠١٦ ، عدد ١ .
- (7) دور المرأة في إثراء اللغة العربية عبر العصور ، فرحانة صديقي ، حقوق الطبع محفوظة ٢٠٠٣ .
- (8) شعرية السرد النسوي العربي الحديث ، محمد قاسم صفوري ، جامعة حيفا كلية العلوم الإنسانية قسم ، اللغة العربية وآدابها ، نشرين الثاني ٢٠٠٨ .
- (9) قاسم أمين الأعمال الكاملة ، دكتور محمد عمارة ، دار الشروق القاهرة ١٩٨٨ .
- (10) موسوعة بيت الحكمة لاعلام العرب في القرنين التاسع عشر والعشرين ، الجزء الأول ، بغداد ، ٢٠٠٠ .
- (11) موسوعة العربية ، المجلد الثالث ، دمشق ٢٠٠١ .

¹ المرأة الجديدة ، قاسم أمين ، ص ، ٦٨

² المراجع السابق ، ص ، ١٩٠

تطور الرواية في سوريا: عبد السلام العجيلي نموذجاً



عبيد الرحمان

باحث بقسم اللغة العربية وآدابها

الجامعة الملكية الإسلامية بنيودلهي

Abstract: The novel in Syria in particular, and in the Arab world in general, is the art that could take a great interest more than any other literary genre in a short span of time. For many reasons, the novel was able to cover and assimilate the society, and get a benefit of other arts. Although the Syrian Arab novel was of a limited size and depth in its infancy and lacked of coherence and persuasion, but it was able to exceed that in the subsequent stages of development and to address the many issues on different social, national, and human dimensions.

Abdul Salam Al-Ojayli left a clear impact in the modern Arab literature at all its genre, he wrote several novels dealing with issues of interest with the human issues, and expressing his view of reality, society and existence. This research discussed the journey of the art of Novel in Syria and contribution of Ojayli, the objective of this research is to show the art of novel by Al-Ojayli; So we will examine the forms and contents together, in addition that we will discuss the intellectual perspectives of Ojayli's novels reflecting the awareness of a social class concerning its political, economic, social, and intellectual circumstances.

الكلمات الرئيسية: عبد السلام العجيلي، التطور، الرواية، السرد، البنية، الأدب، الفن، الإنتاج، اللغة العربية، القصص، نموذج، مجموعة.

المدخل: الرواية ديوان العرب الحديث. وهي فن أدبي استطاع أن يحظى في فترة وجيزة باهتمام أكثر مما حظيت به الفنون الأدبية الأخرى. وإن الرواية في الأدب العربي هي فن حديث نسبياً، وهذا ما يبرر ضعف البدايات التي كانت تفتقر فيها إلى التماسك والإقناع، لكنها استطاعت أن تتجاوز ذلك في مراحل تطورها اللاحقة، وهذا ينطبق ويصدق على الرواية في سوريا.

اختلفت الآراء حول نشأة الرواية في سوريا، فيعتبر شكيب الجابري الرائد الحقيقي للرواية الفنية السورية، فكانت روايته "نهم" 1937م، أقرب إلى الرواية الفنية، التي تؤرخ بها نشأة الرواية في سوريا. ويرى بعض الدارسين أن فرنسيس مراهفي صاحب "غاية الحق" 1965م، يحق أن يوصف بمؤسس الرواية السورية. وبالإضافة إلى ذلك يقر الدارسون أنفسهم بهوض الرواية السورية الفعلي في عقد الخمسينات من القرن العشرين، حيث أصبحت جزءاً مهماً في تاريخ حركة الأدب في سوريا. فصدر أكثر من 600 رواية حتى نهاية القرن

العشرين¹، ويرى الدكتور حسام الخطيب، رئيس قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة دمشق عام 1967 م أن الرواية السورية مرت بثلاث مراحل للتطور، وهي كالآتي:

المرحلة الأولى: 1937م-1949م، واعتبرها مرحلة الطفولة في حياة القصة السورية.

المرحلة الثانية: 1950م-1958م، واعتبرها مسرحاً لتغيرات أساسية في سوريا نتيجة للتمدن ونمو التعليم وازدهار الصحافة.

المرحلة الثالثة: 1959م-1967م، واعتبرها بداية النهوض الرواية العربية السورية².

والرواية في سوريا حتى عام 1967م كانت فنا ناشئا غرض الإهاب يلتمس سبيله بصعوبة شديدة مروراً بعوائق اجتماعية كثيرة ومتنافسة مع الفنون الأدبية الأخرى؛ فكانت هناك فئات ملتزمة اجتماعياً تعتبر الرواية فنا مكروها، فوضعت العقبات أمام انتشار الرواية والأدب، مما أدى إلى أن الروائيين لجأوا إلى استخدام لغة شعرية في كتاباتهم. والواقع أن أسلوب الرواية يختلف عن أسلوب الشعر. ففي الشعر يخدم الشاعر اللغة ويهيمن في شعابها، والرواية تحتاج إلى أسلوب أدبي يخدم فكرة الرواية وشخصيتها.

بدأ المجتمع السوري بمرور الأيام يتابع دراسة الرواية وكتابتها. وبفضل هذا الاهتمام بدأت الرواية تنافس الشعر، وازدهرت في فترة ما بعد الاستقلال لعام 1946م. وحتى عام 1967م ساعد المناخ السياسي والاجتماعي على تطور الرواية، فبرزت 72 رواية في ساحة الأدب. وراحت تصدر الروايات السورية دول العالم، وتشغل الكثير من المشاهد الفنية والسياسية والاجتماعية. وبطفاً في هذه الفترة اتجه الواقعية يتجسد في مقاومة الظلم والاحتلال، والبرجوازية، والإقطاع والتسلط. قال شحيد: "إن هزيمة 67 جددت الأمل، وأعادت الثقة للجماهير... وحصد الأدب العربي نتيجة ذلك إنتاج حوالي 167 عملاً روائياً خلال السنوات الست التي تلت الهزيمة"³. وإن الرواية السورية بعد الهزيمة أخذت تمتلك ملامح النضج، وتتميز بنص مفتوح. فصاغ عديد من الكتاب الرواية بشكلها الحديث، ومن أبرزهم فوز حداد، وممدوح عزام، ونبيل سليمان. والجدير بالذكر أن الرواية العربية في سوريا شهدت خلال القرن العشرين نهضة عارمة تناولت شكلها ومضمونها، وذلك بفعل التغيرات التي طرأت على المجتمع العربي بدءاً من اليقظة أثناء الحكم العثماني، ومروراً بمعارك التحرير ضد الفرنسيين وانتهاءً بالحكم الوطني والثوري، قد أسهمت في هذا النهوض عوامل عديدة من أهمها: تنوع المؤثرات الأجنبية، ووفرة الترجمات الأدبية، والتفاعل بين الآداب العربية الحديثة، واستلهام التقنيات الروائية الغربية. قالت الروائية سماح المغوش في سياق تطور الرواية في سوريا: "على الرغم من أن الرواية السورية كانت سباقة في نهوضها، وقد تأسست على يد الروائيين الأوائل أمثال

¹ على أبو زيد، "الأدب في سورية" www.Discovery.Syria.com

² جمانة محمد نايف الدليعي، "تطور أدب الرواية في سوريا حنا مينه نموذجاً" مجلة كمبرو الثقافية، العدد 29، ص 18.

³ د-جمال شحيد، "واقع وآفاق الثقافة في سورية" محاضرة ألقاها في دار الفنون، تم نشره في الخميس 1 آذار (مارس) 2012

مطاع الصفدي في روايته "الثائر"، وسلامة عبيد في روايته "أبوصابر" إلا أنه سرعان ما انحسردورها، وتراجعت لعدة أسباب وظروف سياسية واجتماعية وثقافية ذاكرة أن الرواية كفن أدبي ظلت تعتبر بالنسبة للمجتمع السوري فناً دخیلاً عليه بسبب التصاق الإنسان العربي عموماً بالشعر عبر الأزمنة والعقود ما أدى إلى تأخر تقدم الرواية¹.

عالم العجيلي الروائي:

الرواية شيء والقصة شيء آخر، الرواية في أصولها عالم كبير وتاريخ وجغرافيا واجتماع وسياسة وحب، وأهم ما في الرواية مطلعها الأول، وهذا يجذب القارئ إلى المتابعة. وإن كتابة الرواية فن رفيع حقاً، فن يتفوق على كل الفنون الأدبية. ولهذا أجاد بعض الكتاب القصة القصيرة، والآخر أجاد الرواية، قلما يوجد كاتب يحسن كتابة القصة والرواية كليهما، أما عبد السلام العجيلي فهو يجيد القصة القصيرة والرواية معاً، فلهذا يطرح هذا السؤال دائماً، أن عبد السلام العجيلي كاتب رواية أو كاتب قصة.

كان عبد السلام العجيلي من أوائل الروائيين العرب الذين حققوا حضوراً هاماً في ميدان الرواية في سوريا والعالم العربي. فإذا ألقينا نظرة على إنتاجه القصصي نجد أنه كان يطوّر القصة من قصيرة إلى أطول قليلاً ثم إلى قصة طويلة، وأخيراً إلى رواية. وهذا واضح من مجموعته "رصيف العذراء السوداء" التي ضمت فقط ثلاث قصص طويلة، ولهذا تعد هذه المجموعة رواية قصيرة، وليست قصة طويلة، لأنها محبوكة جيداً، وإن وضعها بعض الأدباء في قائمة القصص الطويلة. وهكذا نجد أن مجموعته القصصية "مجهولة على الطريق" تميل في بعض ملامحها إلى خصائص الرواية، ومن هنا يمكن تسمية بعض قصصه روايات قصيرة. وإن انصراف العجيلي إلى كتابة الرواية كان بسبب إلحاح الأصدقاء، فيعترف العجيلي نفسه بهذا "لولا إلحاح الأصدقاء علي لاكتفيت بأن أكون قاصّاً وشاعراً فقط، أما الرواية عندي فهي نتجت من إصرار الأصدقاء على أن كتاباتي يجب ألا تظل محصورة في القصة القصيرة التي ربما لا تساعد كتابتها على قول كل شيء، أو أنها تفرض عليه قول ما يريده ضمن صفحات محدودة من هنا جاء حيي وكتابتي للرواية"². لكن لما بدأ الكتابة استحق أن يقال مؤسس الرواية، فقد تقدم العجيلي أول مرة عام 1959م بروايته الأولى "باسمة بين الدموع" ثم توالى مجموعاته الروائية، وقدم سبعة أعمال روائية أو تسع روايات أو عشر روايات. وفي الحقيقة يعود هذا الاختلاف في تعيين العدد لرواياته إلى بعض مجموعات قصصه الطويلة، فتضعها طائفة من الأدباء ضمن الروايات، وتعدّها طائفة أخرى قصصاً طويلة، أما الأقرب إلى الصواب فهو سبع روايات. وإن روايته "قلوب على الأسلاك" فهي إحدى أفضل مائة رواية عربية، ويرى الباحث محمد جدوع أنه "استطاع أن ينجب عالماً مركباً يتمزج فيه الواقعي مع الخيالي. وتحت هذا التركيب يرصد ثلاث ركائز لكتابة

¹ قراءة في الرواية السورية والتيارات الحديثة، مجلة الفرات، العدد 1989، تشرين الثاني 13/2016، ص 18

² د-حسين على محمد، "حوار مع الأديب الطيب عبد السلام العجيلي، مجلة الحرس الوطني، العدد، 274، نشر في 01/03/2005، ص، 25

العجيلي: التراث، الانفتاح على الآخر، والواقع كما يرصد أربع موجات من ألوان الكتابة لديه. البدوي، اللون الريفي، التنافس، العلاقة مع الآخر¹، يذكر عبد الله أبوهيف أن ما كُتب عن العجيلي لا يتناسب مع مكانته الأدبية والقصصية، ويرى أن عبد السلام العجيلي عانى من تجاهل النقد وقبليته وتحزبه وأيديولوجياته، فكانت حصيلة ما كتب عنه مقالات وأبحاثا قليلة قياسا إلى ما أنتج².

تقنيات السرد عند العجيلي:

يقوم العجيلي بتجزئة محكي نصه الروائي إلى وحدات سردية، تأتي في مقدمتها، العلامة الشائعة في الأغلب الأعم من السرد الفني العربي الحديث وهي وضع الفصول، كما في "باسمة بين الدموع" و"أرض السباد" و"أجملهن" أحيانا يقسم نصه الروائي إلى أجزاء كما في "قلوب على الأسلاك" تارة يستخدم الأرقام كما في "ألوان الحب الثلاثة" و"أزاهير تشرين المدامة" و"المغمورون". وعلاوة على ذلك يلحق الروائي بالفصول المكونة لنصه علامة فرعية تختزل، وهي تنزل منزلة جوهر المحكي في كل فصل، ومن أمثلة ذلك العلامات الفرعية التالية الملحقة بالفصول الستة لرواية "باسمة بين الدموع" الطريق الزلقة، عينان واسعتان وجديلة، وفي الحي القديم، وأراء الدكتور إلياس، ورسائل من دمشق، ودموع باسمة، وبقية الدموع، وهكذا نجد في رواية "أجملهن" الفرعية الملحقة بالفصول الثلاثة، أجملهن، وساليزبورغ، رسالتان، وعامة، هذه التقسيمات في روايات العجيلي أحيانا تكون فنية أو جمالية وأحيانا زخرفية. فتترجح التقسيمات بين سمتين رئيسيتين: فنية أو جمالية تنهض بأداء وظيفة أو وظائف في بناء النص الروائي أحيانا، كما في: "باسمة بين الدموع" و"قلوب على الأسلاك"، وزخرفية أو تزيينية لا تنهض بأداء أي وظيفة أحيانا كما في "أرض السباد" و"أجملهن"³ يجزئ العجيلي محكيه إلى وحدات ولا يكتفي بذلك؛ بل يتجاوز ذلك أحيانا إلى تجزئة تلك الوحدات إلى الوحدات الصغرى، "فإن كل نص من نصوصه الروائية يتضمن بالإضافة إلى ما يمثل حكاية مركزية فيه، وحدات حكاية أصغر يبدو بعضها لصيقا بالحكاية المركزية أحيانا، ويبدو بعضها الآخر حوافرة، وتتجلى هذه السمة في رواية "أجملهن"⁴.

موضوعات روايات العجيلي:

يعالج العجيلي قضايا تهتم الإنسان، ويعبر عن نظريته تجاه الواقع والمجتمع، ويتناول الموضوعات ببعديها القومي والوطني من جهة، والإنساني والاجتماعي من جهة أخرى، ويجد القارئ لأدب العجيلي سجلا حافلا لتحولات البيئة والمجتمع وتغيرات الأفكار والمفاهيم في زمنه. استطاعت رواياته أن تنقل لنا صورة حية من الواقع الذي

¹ محمد السموري "عالم العجيلي القصصي والروائي الثلاثاء حزيران 13 (يونيو) 2006، ديوان العرب www.Diwanalarab.com

² أحمد الخليل، "الروائي عبد السلام العجيلي أيقونة الرقة" المستقبل، العدد، 2234، الأحد 9 نيسان 2006، ص 10،

³ ياسين رفاعية، "الفن الروائي عند العجيلي" جريدة الأسبوع الأدبي، العدد، 999 تاريخ 25، 03 2006 م ص، 35

⁴ د-حسين علي محمد، "تقنيات السرد عند العجيلي" الأسبوع الأدبي، العدد 991، 28/01/2006، ص 19،

جعلته مادتها. وإن معظم أعمال العجيلي تدور حول موضوع الحب، يذكر ياسين رفاعية "إن العجيلي كتب حوالي عشر روايات، وكان الحب هو الترسانة المسلحة فيها وعليه يبني معظم أعماله، سجل الحياة بكل تداعياتها بقلم صادق ورهيف، ميزة ما كتبه أنه مقروء من مختلف طبقات الشعب، كما كتب الرواية المحلية العربية العالمية بوقت واحد، أدرك هذا الأمر المستشرقون وتحدثوا عنه مطولا"¹

لكن هذا لا يعني أنه لا يخوض ولا يتناول الموضوعات الأخرى، فهناك كثير من القصص الوطنية مثل روايته "أزاهير تشرين المدماة" التي هي وطنية تناولت حرب تشرين التحريرية التي انحرفت عن أهدافها. وبالإضافة إلى ذلك كان يهتم العجيلي في رواياته برصد أكثر مفاصل التاريخ، حرارة على المستويين القطري والعربي. فكانت روايته الأولى "باسمة بين الدموع"، تعكس فساد الحياة السياسية في سوريا في النصف الثاني من الخمسينات، ورواية "قلوب على الأسلاك - 1974 م"، تتحدث عن تجربة الوحدة بين سوريا ومصر، و"ألوان الحب الثلاثة - 1975 م" تعاود الحديث عن هذه التجربة ولكن من جهة أخرى، و"أزاهير تشرين المدماة-1977 م"، تتصدى للحديث عن استبسال المقاتل السوري في حرب تشرين 1973 م، و"المغمورون - 1979 م"، تناول قضية الفلاحين الذين اضطروا إلى الهجرة عن قراهم وأراضيهم إبان سد الفرات في "أرض السباد-1998 م" و"أجملهن". والجدير بالذكر أن الاتجاه الواقعي ظهر في الكثير من أعماله، لكن هذا لا يعني أن هذا هو اللون الوحيد الذي تكلم فيه العجيلي، فظهرت تارة مدرسة رومانسية وتقليدية في رواياته. وهذا يشير إلى أن أعمال العجيلي الروائية أشد ما تكون التصاقا بالواقع وحفاوة به. وهذا ما يعترف به العجيلي فهو يقول: "أما رواياتي فهي تنتمي إلى الجنس الواقعي في أحداثها. قد تكون الأحداث فيها متخيلة بعضا أو كلا، ولكنها أحداث إذا لم تكن قد وقعت فعلا فإنها قابلة لأن تقع في الحياة كما أصفها أو قريبا مما أصفها"².

اللغة والأسلوب:

أهم ما في روايات العجيلي أنه يلتزم في استخدام اللغة بتقاليد الكتابة الأدبية، ولا يبعد عن نظام النشر المألوف، يستخدم اللغة الفصيحة المفهومة لجميع الطبقات، ولم يكتب بالعامية قط، يعتز بلغته العربية الفصيحة، التي "تتميز بعدم استخدامها للعامية والسوقية التي درج كثير من الكتاب على استخدامها في الحوار، لملاءمة الحوار لواقع الشخصيات التي تتحدث بلهجات متعددة ومختلفة، بل نجده يسعى إلى تبسيط اللغة الفصحى في الحوار، وتقريبها إلى العامية دون أن تفقد فصاحتها"³. وإن عباراته سليمة التركيب ومربوطة؛ حيث لا يمكن التغيير والحذف، وتميل إلى الطول، ويضع كل الألفاظ في مواضعها المناسبة. والواقع أن إنتاجاته مقروءة

¹ الأديب ياسين رفاعية "صحيفة الجزيرة" العدد 12186، 8 شباط 2006 ص، 32

² محمد السموري، "عالم العجيلي القصصي والروائي" أقلام الديوان، الثلاثاء حزيران، (يونيو) 2006، ص، 4

³ الغيرة الهويدي، "الرؤى الفكرية والفنية في روايات عبد السلام العجيلي" رسالة الماجستير في اللغة العربية وأدائها، جامعه تشرين، ص، 216.

من مختلف طبقات الشعب، يقرأها الخاصة فيظنون أن الكاتب متوجه إليهم، ويقرأها العامة فيظنون أن هذه الإنتاجات لهم، فلا يوجد فيها غموض، وهي سهلة الفهم، وفيها حوار جذاب. وتحافظ لغة روايات العجيلي على مستوى فني موحد، ولا يوجد التنوع والاختلاف بين لغة الراوي في السرد أو لغة الشخصيات "فليس ثمة تمايز بين لغة السرد ولغة الحوار اللتين ترتبطان إلى منظومة جمالية واحدة، هي لغة الراوي الذي يمارس حضوراً في مكونات الحكى الروائي وإنتاجاً لها وفق مشيئته"¹. ويستخدم الألفاظ الأجنبية إلا عند الضرورة في استخدام المصطلحات الشائعة علمياً وشعبياً، يعبر عن الطبقة الاجتماعية عبر استعمال مفردات تشيع في أوساطها وتبدو خاصة بها، حينما يتحدث الفلاح في رواياته يستخدم لغة فصيحة ومفردات معروفة التي يختلف عن لغة رجل الأعمال البرجوازي مثل عبد المجيد عمران، أو سيدة من الطبقة الأرستقراطية مثل نهاد. وهذا يشير إلى أن العجيلي راغب في جعل لغته لصيقة بالواقع. "فقد تمكن العجيلي بسبب تملكه أدوات الكتابة الروائية على نحو حاذق من أسر قارئه منذ مفتتح الرواية إلى آخرها محققاً بذلك نغمة المتعة والفائدة بأن اللتين تمثلان أحد أهم وظائف الأدب"².

المصادر

العجيلي، عبد السلام، "قلوب على الأسلاك"، ط 3، بيروت، دار الشرق العربي، 1990 م.
العجيلي، عبد السلام، "أجملين" ط 2، بيروت، دار الشرق العربي، 1992 م.
العجيلي عبد السلام "أزاهير تشرين المدماة" وزارة الثقافة دمشق 1977.

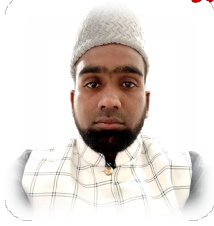
المراجع

أحمد خليل، "الروائي عبد السلام العجيلي أيقونة الرقة" المستقبل، العدد، 2234، الأحد 9 نيسان 2006،
الأديب ياسين رفاعية "صحيفة الجزيرة" العدد 12186، 8 شباط 2006
جمانة محمد نايف الدليهي، "تطور أدب الرواية في سوريا حنا مينه نموذجاً" مجلة كفرو الثقافة، العدد 543،
د-جمال شحيد، "واقع وآفاق الثقافة في سورية" محاضرة ألقاها في دار الفنون، تم نشره في الخميس 1 آذار (مارس) 2012
د-حسين على محمد، "حوار مع الأديب الطيب عبد السلام العجيلي، مجلة الحرس الوطني، العدد، 274، نشر في 2005/03/01،
على أبو زيد، "الأدب في سوريا" www.Discovery.Syria.com
قراءة في الرواية السورية والتيارات السردية الحديثة، مجلة الفرات، العدد، 1989،
محمد السموري "عالم العجيلي القصصي والروائي الثلاثاء حزيران 13 (يونيو) 2006، ديوان العرب، www.Diwanalarab.Com
المغيرة الهويدي، "الرؤى الفكرية والفنية في روايات عبد السلام العجيلي" ط 1، رسالة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة تشرين،
الجمهورية العربية السورية.
نضال الصالح، "المغامرة الثانية دراسات في الرواية العربية"، ط 1، القاهرة، اتحاد الكتاب العرب، 1999 م.
نضال الصالح، "تقنيات السرد في عالم العجيلي الروائي" "الأسبوع الأدبي". العدد 991 تاريخ 2006/1/28 م
ياسين رفاعية، "الفن الروائي عند العجيلي" جريدة الأسبوع الأدبي، العدد، 999 تاريخ 2006 03 25

¹ الصالح، نضال، "المغامرة الثانية في الرواية العربية"، ص 32،

² نضال الصالح، "المغامرة الثانية دراسات في الرواية العربية"، ط 1، القاهرة، اتحاد الكتاب العرب، 1999 م. ص، 41

مساهمة الشاه رفيع الدين الدهلوي في الشعر العربي وميزاته



محمد فاروق حسين

باحث الدكتوراه بقسم اللغة العربية و آدابها
جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردنية ، حيدر آباد، الهند

Abstract: Shah RafiuddinDehlvi was the second son of Shah Waliullah Dehlvi. was born on 1163 H/1749 AD. He was well-versed in Ilm-E-Tafseer. and Hadith. and Fiqh. and Tasawuf. and Ilm-E-Kalam. Was one of the most significant personalities of India in Arabic Literature. He was skilled in many fields. specialist in mathematics (Ilm-E-Riyadhi). He was a best noble teacher. and served the Muslim of the India. He has written many books in different subjects in Arabic Language during his lifetime.

Shah RafiuddinDehlvi's skill as a poet: His contribution in poetry fields especially as a "Panegyrist of the Prophet Muhammad" - Peace be upon him-. has long been recognized. and he has contributed and written in Arabic Poetry: (1) Takhmees (التخميس). (2) Al-Qasidat-Ul-Merajia (القصيدا المعراجية). (3) (القصيدا العينية) c.

Key words: Mathematics, Poet, Takhmees, Al-Qasidat-Ul-Merajia, Al-Qasidat-Ul-Merajia

ملخص البحث: ومما لا شك فيه أن الشاه رفيع الدين الدهلوي ابن الشاه ولي الله المحدث الدهلوي كان من المحدثين البارزين، والمتكلمين البارعين، والأصوليين الماهرين، إذا تحدث في أي علم من العلوم، وفن من الفنون، يبرز للسامعين، والحاضرين أن رئاسة تلك العلوم، والفنون تنتهي إليه، وإذا تكلم في علم آخر، يبدو لهم أن صاحب العلم لا يوجد سواه في هذا العصر، فكان وحيد عصره، ونادرة دهره، وكان منبعاً عذباً للعلماء، والدارسين.

ويعتبر الشاه رفيع الدين الدهلوي من العلماء الكرام، والشعراء المفلحين، والمقلين، وكان كثير الثناء على نثره، وشعره، إذ مؤلفاته النافعة، وقصائده العربية تدل عليه، اطلع الباحثون على ثلاث قصائد له على الاختلاف، (1) تخميس: على بعض أبيات أبيه الشاه ولي الله الدهلوي في حقيقة النفس، (2) القصيدة المعراجية، (3) القصيدة

العينية التي عارض بها القصيدة العينية المعروفة بـ "قصيدة الروح" لابن سينا.

الكلمات المفتاحية: الأدب، الشعر العربي، المساهمة، القصائد، التخميس.

نبذة من حياة الشاه رفيع الدين الدهلوي:

مولده ونشأته:

ولد الشاه رفيع الدين الدهلوي بمدينة دهلي سنة 1163 هـ / 1749 م، ونشأ بها، وكان في الحادية عشر أو الثانية عشر من عمره عند وفاة أبيه،⁽¹⁾ وكان أخا صغيرا للشاه عبد العزيز الدهلوي، وأخا كبيرا للشاه عبد القادر الدهلوي، وكان من زوجة الشاه ولي الله الدهلوي الثانية، وإبنا ثانيا له، ولقب بـ "عبد الوهاب" و "العلامة".⁽²⁾

وأخذ الشاه رفيع الدين الدهلوي علومه الابتدائية والأساسية عن أبيه الشاه ولي الله الدهلوي⁽³⁾، وقد حصل منه على سند العلوم الدينية على وجه العموم، وسند علم التفسير، والحديث على وجه الخصوص،⁽⁴⁾ ولأزم صنوه الكبير الشاه عبد العزيز الدهلوي أجلا طويلا، ثم صاحب الشاه محمد عاشق الفلتي، وغيرهم من الشيوخ العظام، حتى برع، وتميز في شتى الفنون، والعلوم⁽⁵⁾، قال الشاه عبد العزيز الدهلوي في مكتبته الذي كتبه إلى الشاه أبي سعيد الرائي بريلوي سنة 1149 هـ: "إن رفيع الدين قد قام بإكمال العلوم اليوم بفضل الله تعالى".⁽⁶⁾

ولما ترك الشاه عبد العزيز الدهلوي التدريس لسبب الأمراض، والأسقام، فوَّض التدريس إليه.⁽⁷⁾ وعينه كرئيس المدرسة، فأفاد بها نحو أكثر من خمسين سنة، وتهافت

⁽¹⁾ انظر: محمود أحمد بركاتي، شاه ولي الله اوران كا خاندان، ص 105، مكتبة جامعة: نني دهلي، اشترك قومي كونسل برائ فروغ اردو زبان، سال اشاعت: 2011ء.

⁽²⁾ نفس المصدر، ص 105.

⁽³⁾ انظر: سر سيد أحمد، آثار الصناديد، ص 505، اشاعت اول: علي جره: سر سيد اكيدي، جامعة علي جره الإسلامية 1847ء.

⁽⁴⁾ انظر: أبورحيم محمد بخش الدهلوي، حيات ولي، ص 363، حضرت شاه ولي الله بيلك لائبريري، جامع مسجد، دهلي الهند، محرم الحرام 1429 هـ - يناير 2008ء.

⁽⁵⁾ انظر: أبو الحسن علي الندوي، رجال الفكر والدعوة، ص 1024، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، 1420 هـ - 2000 م.

⁽⁶⁾ انظر: محمود أحمد بركاتي، شاه ولي الله وان كي أصحاب، ص 157، لبرتي آرت بريس، دريا كنج، نني دهلي، اشاعت دوم، سال اشاعت: 2006ء، محمود أحمد بركاتي، شاه ولي الله اوران كا خاندان، ص 105.

⁽⁷⁾ انظر: سر سيد أحمد، آثار الصناديد، ص 505، أبورحيم محمد بخش الدهلوي، حيات ولي، ص 363، الدكتور صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند، 220، محمود أحمد بركاتي، شاه ولي الله وان كي أصحاب، ص 157، محمود أحمد بركاتي، شاه ولي الله اوران كا خاندان، ص 106، عبد الحي بن فخر الدين، نزهة

الخواطر، 974

، أبو الحسن علي الندوي، رجال الفكر والدعوة، ص 1024.

عليه الطلبة تهافت الظمان علي الماء، وكان له باع طويل في العلوم العقلية كما كانت في العلوم الدينية من بين إخوته. ⁽¹⁾

أولاده: لقد رزق الله تعالى الشاه رفيع الدين الدهلوي ستة أبناء وبنات، وهم الشيخ محمد عيسى، والشيخ مصطفى، والشيخ مخصص الله، والشيخ محمد حسين، والشيخ محمد موسى، والشيخ محمد حسن، وبنته أمة الله. ⁽²⁾

قد تزوج الشيخ محمد عيسى بكريمة الشاه عبد العزيز الدهلوي، والشيخ محمد مصطفى بكريمة الشاه عبد القادر الدهلوي، والسيد نجم الدين السوني بتي ببنته "أمة الله". ⁽³⁾

مواصفاته:

وقد وصف الشاه رفيع الدين الدهلوي بأحسن الصفات وأكرمها، فكان جميل الخلق، وحسن المعاملة بقول الدكتور صدر الحسن الندوي في كتابه: "كان يتمتع بدمائة الأخلاق وحسن العشيرة، يلوح على وجهه علائم الهمم، ومخائل الذكاء، والفتن، كان حريصا على اتباع السنة النبوية، وجامعا بين العلم، والعمل، والعبادة، والتقوى، زاهدا في الدنيا، مقبلا على الله تعالى، كأنه كان ملكا في صورة البشر على حد قول السر السيد أحمد خان، إنه ترك ثروة علمية، وكان آية من آيات الله في العلوم العربية، والإسلامية". ⁽⁴⁾

وفاته:

تأثر بمرض كوليرا الذي كان قد شاع بدلهي سنة 1233 هـ/1818 م، فلما اشتد مرضه، أمر أخوه الكبير الشاه عبد العزيز الدهلوي لحفاظ القرآن الكريم بتلاوة سورة ياسين، والملك، ولما توفي، أمر للخدام أن يحفروا قبراً في المكان الذي اختصه لنفسه عند قدمي أبيه، وصلى عليه باكيا، وقال: "كانت العلاقة بيني وبينه بأربع: (1) كان أخي الشقيق، (2) وقد قال لي أبي الشاه ولي الله الدهلوي مرة واحدة: "إن رفيع الدين إبنك"، (3) وكان أخي بالرضاعة، (4) وكان تلميذي". ⁽⁵⁾

مساهمته العلمية في النشر: ومما لا مرأ فيه أن الشاه رفيع الدين الدهلوي كان

⁽¹⁾ انظر: محمود أحمد بركاتي، شاه ولي الله وان كي أصحاب، ص 157، محمود أحمد بركاتي، شاه ولي الله اوران كا خاندان، ص 106.

⁽²⁾ انظر: محمود أحمد بركاتي، شاه ولي الله وان كي أصحاب، ص 157.

⁽³⁾ انظر: محمود أحمد بركاتي، شاه ولي الله اوران كا خاندان، ص 111.

⁽⁴⁾ انظر: الدكتور محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند، ص 220، الطبعة الأولى: أرنك آباد - مهاباشترا: معهد الدراسات الإسلامية، 1428 هـ - 2007 م.

⁽⁵⁾ انظر: محمود أحمد بركاتي، شاه ولي الله اوران كا خاندان، ص 110.

غزير الإنتاج في ثلاث لغات في العربية، والفارسية والأردوية، لم يترك علما من العلوم، وفنا من الفنون من التفسير، والحديث، والفقه، والكلام، إلا يوجد فيه كتابه.

مؤلفات الشاه رفيع الدين الدهلوي باللغة العربية في النثر العربي:

"أسرار المحبة" (1383هـ / 1965م) "تفسير آية النور" (1382هـ / 1964م)، و"تكميل الأذهان" (1383هـ / 1965م)، و"مقدمة العلم"، والكتب المذكورة كلها طبعت بـ"نصرة العلوم كوجر انواله بتحقيق عبد الحميد السواتي وتصحيحه.

"دمغ الباطل"، "رسالة في إثبات شق القمرو إبطال براهين الحكمة"، "رسالة في تحقيق الألوان"، "رسالة في الحجاب"، "رسالة في برهان التمانع"، "رسالة في عقد الأنامل"، "وحاشية على رسالة ميرزا همد"، "والدرر الدراري"، "رسالة في المنطق"، "رسالة في الأمور العامة"، "رسالة في التأريخ"، "رسالة في العروض"، "رسالة في شرح أربعين"، "وتكميل الصناعة"، ورسالة في "عقد الأنامل".⁽¹⁾

مؤلفاته بالعربية في النظم العربي: (1) القصيدة المعراجية"، و"(2) القصيدة العينية" التي عارض بها القصيدة التي تعرف بـ "قصيدة الروح" لابن سينا،⁽²⁾، و(3) تخميس⁽³⁾ على بعض أبيات أبيه الشاه ولي الله الدهلوي.⁽⁴⁾

شعر الشاه رفيع الدين الدهلوي العربي، وميزاته:

مما لا شك فيه أن الشاه رفيع الدين الدهلوي يعتبر من الشعراء المطبوعين العربيين البارزين المفلحين الذين أنجبتهم أرض الهند، ومن الذين خلفوا ثروة علمية ضخمة، وفخمة، وثروة من ثرات الأدب، والشعر في بلاغتها، وفصاحتها، وروعها، ويبرز من دراسة شعره الرائع أنه كان متضلعا من اللغة العربية، وكان قادرا على أساليبها الممتازة، وكيفية استخدامها لشتى أغراض الشعر، وكلامه العربي في المديح النبوي - على صاحبه

(1) انظر: محمود أحمد بركاتي، شاه ولي الله اوران كا خاندان 106-112 - الدكتور محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند، ص 220، انظر: النواب صديق حسن خان القنوجي، أبعاد العلوم، ص 245/3، أبو الحسن علي الندوي، رجال الفكر والدعوة، ص 1025.

(2) الدكتور محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند، ص 221-222، عبد الحي بن فخر الدين، نزهة الخواطر، 975، أبو الحسن علي الندوي، رجال الفكر والدعوة، ص 1025.

(3) الأصل ففي أي قصيدة أن تكون أبياتهم مكونة من شطرين. والتخميس في اللغة: جعل الشيء ذا خمسة أركان، وفي الشعر: جعل كل قطعة منه (وهو البيت ذو الشطرين) خمسة شطور. يعني أن الشاعر يزيد على البيت ثلاثة أشطار أخرى، وذلك في القصيدة كلها إلى أن تنتهي.

(4) انظر: أبو رحيم محمد بخش الدهلوي، حيات ولي، ص 364، محمود أحمد بركاتي، شاه ولي الله اوران كا خاندان، ص 110، محمود أحمد بركاتي، شاه ولي الله اوران كي أصحاب، 161، عبد الحي بن فخر الدين، نزهة الخواطر، 974-975، أبو الحسن الندوي، رجال الفكر والدعوة، ص 1025، عبد الحي، نزهة الخواطر، 975.

الصلاة والسلام - مرآة صادقة لما يشتمل عليه شعره العربي من طرافة المعنى، وسلاسة البيان، وفصاحة اللفظ، والرشاقة، والروعة، والمتانة، والجزالة، وتصوير المعاني الدقيقة، والأحاسيس الصادقة، والدقة في الألفاظ، والتركيب.

واعترف الأدباء، والشعراء بنبوغه في الشعر العربي، من حيث قال عبد الحي بن فخر الدين عن شعره: "الشيخ رفيع الدين له قصائد غراء، وتخميس على بعض قصائد أبيه، وله مصنفات في العلوم العربية".⁽¹⁾

اطلع الباحثون على ثلاث قصائد له على الاختلاف، (1) تخميس على بعض أبيات أبيه الشاه ولي الله الدهلوي في حقيقة النفس،⁽²⁾، (2) القصيدة المعراجية.⁽³⁾، (3) القصيدة العينية التي عارض بها القصيدة العينية المعروفة بـ "قصيدة الروح" لابن سينا.⁽⁴⁾

وإنما أحصى أبورحيم محمد بخش الدهلوي قصيدتين للشاه رفيع الدين فقط، أولاهما "تخميس"، وثانيهما "القصيدة المعراجية"،⁽⁵⁾، وعدّ عبد الحي بن فخر الدين صاحب "نزهة الخواطر" وأبو الحسن علي الندوي صاحب "رجال الفكر والدعوة في الإسلام"، ومحمود أحمد بركاتي القصائد الثلاث المذكورة⁽⁶⁾. والدكتور محمد صدر الحسن الحسن الندوي صاحب "المدائح النبوية في الهند" قصيدتين له، أولاهما "القصيدة المعراجية" وثانيهما "القصيدة العينية"⁽⁷⁾.

تخميس على بعض أشعار أبيه الشاه ولي الله الدهلوي: وأفرد أبورحيم محمد بخش الدهلوي، قائلاً: "للشيخ الرئيس أبي علي ابن سينا" قصيدة عينية" في ماهية

(1) انظر: عبد الحي بن فخر الدين، الثقافة الإسلامية في الهند، 47.

(2) انظر: محمود أحمد بركاتي، شاه ولي الله اوران كا خاندان، ص 106، أبورحيم محمد بخش دهلوي، حيات ولي، 364، محمود أحمد بركاتي، شاه ولي الله اوران كي أصحاب، 110.

(3) انظر: الدكتور محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند، ص في الهند، 222، السر السيد أحمد خان، آثار الصناديد، 506، أبورحيم محمد بخش دهلوي، حيات ولي، 365-366، عبد الحي بن فخر الدين، نزهة الخواطر، 975، محمود أحمد بركاتي، شاه ولي الله اوران كي أصحاب، 161، محمود أحمد بركاتي، شاه ولي الله اوران كا خاندان، ص 110، أبو الحسن علي الندوي، رجال الفكر والدعوة في الإسلام، 1025.

واقعة الإسراء والمعراج: كان الرسول ﷺ - مضطجعا في بيت أم هانئ، فأتاه جبريل، وأخرجه من باب المسجد، فأركبه البراق، فأتى بيت المقدس هناك، واجتمع بالأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - وصلى بهم إماما، ثم عرج به إلى السموات، فاستفتحها جبريل واحدة فواحدة، فرأى محمد من آيات ربه الكبرى ما رأى، هكذا صعد في سماء بعد سماء، إلى سدرة المنتهى، فغشها من أمر الله ما غشها، فرأه، فأوحى الله إليه ما أوحى، وكلفه هو أمته بالصلاة في ذلك المكان المقدس. انظر: أبو محمد عبد الملك بن هشام النحوي، سيرة ابن هشام، ص 213-220، المحقق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، سنة النشر: 1410 هـ - 1990 م..

(4) انظر: الدكتور محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند، ص في الهند، 222.

(5) انظر: أبورحيم محمد بخش دهلوي، حيات ولي، 364-365.

(6) انظر: عبد الحي بن فخر الدين، نزهة الخواطر، 976، أبو الحسن علي الندوي، رجال الفكر والدعوة في الإسلام، 1024، محمود أحمد بركاتي، شاه ولي الله اوران كي أصحاب، 161، محمود أحمد بركاتي، شاه ولي الله اوران كا خاندان، ص 110.

(7) انظر: الدكتور محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند، ص في الهند، 222.

النفس وحقيقتها، ونظم الشاه وليّ الله الدهلوي قصيدة في ردّ القصيدة لإبن سينا،
فخمّسها الشاه رفيع الدين الدهلوي.¹

(1) تخميس: نموذج من تخميس الشيخ رفيع الدين الدهلوي على بعض أبيات أبيه الشاه الدهلوي:

سأل الحكيم عن النفوس الرضع وقعت فطارت لم تفن بالمطبع⁽²⁾

الوضع
فأجبت أكشف سرّها عن منبع
هبط الوجود من المحل الأرمع⁽³⁾

مس تدرجا يتج نس وتن وع⁽⁴⁾

قد جَلَّ في إطلاق غيب هوية

حتى اكسبى من نسبة علمية لزممت حقائق أولا لحقيقة

قصص وى كحال المزوج عند الأرمم

فهنالك كل كان اسما ساميا

لصنوف آثار التمثيل حاويا ثم اكتسبت تلك الحقائق ثانيا

بحقــــــــــــة ائق الأءـــــــــــــراض كـــــــــــــــــ المتقنم^(٥)

في اللوح قد ظلت تظل بجملة

من كل معنى تقتضيه وصورة ثم استقرت كلمها بهوية

فيما تشخصت الشـيـون بمجمـع⁽⁶⁾

(¹) انظر: ابو رحيم محمد بخش دهلوی، حیات ولی، ص 364.

(2) رضع رضاعة: لؤم، فهورضيع، انظر: إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، جمهورية مصر العربية، الطبعة الرابعة، سنة الطبع: 1425هـ-2004م.

(3) الأرمع : رمع رمعا ورمعانا : اضطرب وتحرك ، انظر : إبراهيم مصطفى ، أحمد حسن الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد علي النجار ، المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، مجمع اللغة العربية ، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث ، جمهورية مصر العربية ، الطبعة الرابعة ، سنة الطبع : 1425 هـ - 2004 م .

(⁴) مستدرجا: استدرجه: رّفاه من درجة إلى درجة. بتجنس: شاكّل بين أفرادها، نسبها إلى أجناسها. انظر: إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، جمهورية مصر العربية، الطبعة الرابعة، سنة الطبع: 1425هـ-2004م.

(⁵) انظر: ابو رحيم محمد بخش دهلوی، حیات ولی، 364-365

(⁶) انظر: ابو رحيم محمد بخش دهلوی، حیات ولی، 364-365

القصيدة المعراجية: وهي قصيدة بارعة للشيخ رفيع الدين الدهلوي في مدح الرسول ﷺ صاحب المعراج - عليه صلوات ربي وسلامه -، فهي تحتوي ثلاثين بيتاً،⁽¹⁾ كل بيت من القصيدة المعراجية يشتمل على بدائع الأدب، ونفائس الكلام، بتعبير رقيق، ولطيف، وبأسلوب رائع خلاب، مملوء بأحاسيس صادقة، وانطباعات قلبية، وعواطف روحية، لا تعرف رياء، ولا مدهانة، ولا صيتاً، ولا سمعة، بل الهم الانخراط في أسلاك الذي تشرفوا بدفع ضريبة الحب إلى الشخصية الجبارة للرسول الحبيب - ﷺ -.⁽²⁾

نظم واقعة الإسراء والمعراج في غضون قصيدته المدحية، وبين فيها تفاصيل ما حدث للنبي - ﷺ - في واقعة الإسراء، والمعراج من صحبة روح القدس جبريل الأمين له، وعرض اللبن، والخمر عليه، واختياره اللبن، وتقديمه على الأنبياء في إمامة الصلاة، وتجاوزه سدره المنتهى بعد ما وقف عندها جبريل - عليه السلام -، ولقائه بالله - سبحانه وتعالى -، ورؤيته إياه - على ما يرى الشاعر -، وإتمام النعمة عليه، وإطلاعه على الأسرار، وغير ذلك، ومن شعره في المديح النبوي الشريف في واقعة الإسراء، حيث يقول في بداية القصيدة المعراجية:

يا أحمد المختار يا زين الوري	يا خاتماً للرسول ما أعلاكا
يا كاشف الضراء من مستنجد	يا منجياً في الحشر من والكا
هل كان غيرك في الأنعام من استوى	فوق البراق وجاوز الأفلاك
واستمسك الروح الأمين ركابه	في سيره واستخدم الأملاك
عرضت لك الدنيا وداعو ملة	نسخت ببعثك طامعين رداكا
فرددتهم في خيبة عن قصدهم	الله صانك عنهم ووقاك
واخترت من لبن وخمر فطرة الـ	إسلام بالهدي إليه هداكا

⁽¹⁾ انظر: عبد الحي بن فخر الدين، نزهة الخواطر، 975-976، الدكتور محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند، ص 222.

⁽²⁾ انظر: الدكتور محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند، ص 222.

قال الدكتور صدر الحسن الندوي: "القصيدة تمتاز بقوة التأثير وقدوة الإيحاء، لأن الشاعر لم يجعل القصيدة سلماً إلى الأغراض المادية، وذريعة إلى المنافع الشخصية، بل قرضها لإبراز معالم الشريعة، وبيان حادثة الإسراء والمعراج التي كانت بمثابة منعطف خطير في تأريخ الدعوة الإسلامية، وكانت تلك الرحلة المباركة، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ومن المسجد الأقصى إلى ما شاء الله أن يصل إليه الرسول الكريم⁽¹⁾

القصيدة العينية: فهي قصيدة بليغة للشاه رفيع الدين الدهلوي، وتدلل على علو كعبه في العلوم الفلسفية، واقتداره على العربية، عارض بها قصيدة الشيخ الرئيس أبي علي ابن سينا "العينية" التي تعرف بـ "قصيدة الروح"⁽²⁾، ونقل نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين، الألوسي (المتوفى: 1317هـ) في كتابه "جلاء العينين في محاكمة الأحمدين" القصيدتين كليهما، وفي القصيدة لابن سينا عشرون بيتاً، وفي القصيدة للشاه رفيع الدين خمسة وعشرواً بيتاً،⁽³⁾ ومنها:

هبطت إليك من المحل الأرفع	ررقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلعة عارف	وهي التي سمرت ولم تتبرقع
وصلت على كره إليك وربما	كرهت فرأىك وهي ذات تفجع
أنفت وما أنست فلما واصلت	ألفت مجاورة الخراب البلقع ومنازل
وأظنها نسيت عهداً بالحي	بفرأىها لم تقنع
حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها	عن ميم مركزها بذات الأجرع ⁽⁴⁾

⁽¹⁾ انظر: الدكتور محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند، صفي الهند، 222.

⁽²⁾ انظر: عبد الحي بن فخر الدين، نزهة الخواطر، 976.

⁽³⁾ انظر: نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين، الألوسي، جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، (د.ت)، 96-91.

⁽⁴⁾ انظر: نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين، الألوسي، جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، (د.ت)، 92.

فأجاب الشاه رفيع الدين الدهلوي في ردّ قصيدة أبي علي بن سينا بقصيدة، منها:

عجباً لشيخ فيلسوف ألمعى خفيت لعينيه منارة مشرع

هلا تقطن أن بعث النفس في الأ بدان ينشأ من مواطن شفع

منها مواطن عاممات الحكم أو مختصة مترببات الموقع

ولكلها حكم وغايات بها تستوجب التخصيص في المتفرغ

وجميعها للنفس غايات على أن التفاوت ثابت لم أمنع

ومدبرات في معارج نزهة من صولة التأثير ذات تضلع

لتغالب الأشداد في تلك الأن أيبب قارب بفوز الينبع

فأعمم غايات الوجود بروزنا في روضة الإمكان يدخل يرتعى⁽¹⁾

المراجع والمصادر

أولاً: المراجع العربية

- (1) أبجد العلوم، أبو الطيب النواب صديق حسن خان القنوجي، دمشق: أعده للطبع: عبد الجبار زكار، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1978م.
- (2) الإعلام بمن في تأريخ الهند من الأعلام المسمى بـ "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنوادر"، عبد الحي بن فخر الدين الحسيني (ت: 1341هـ)، موسوعة للعلماء الهنود، مكتبة دار العرفات، راي بريلي، الهند، 1413هـ / 1992م.

(¹) انظر: نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين، الألوسي، جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، (د.ت) 91-96

- (3) الثقافة الإسلامية في الهند، عبد الحي بن فخر الدين الحسني (ت:1341هـ)، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، الطبعة الثانية، 1403هـ - 1983م.
- (4) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، أبو البركات نعمان بن محمود بن عبد الله خير الدين الألوسي (ت: 1317 هـ)، تحقيق: علي السيد صبح المدني - رحمه الله -، مطبعة المدني 1401هـ- 1981م.
- (5) رجال الفكر والدعوة في الإسلام، أبو البركات نعمان بن محمود بن عبد الله خير الدين الألوسي (ت: 1317 هـ)، تحقيق: علي السيد صبح المدني - رحمه الله -، مطبعة المدني 1401هـ- 1981م.
- (6) السيرة النبوية لابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري ثم المعافري ثم النحوي، المحقق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، سنة النشر: 1410هـ - 1990م.
- (7) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، مكتبة الشروق الدولية، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، جمهورية مصر العربية، الطبعة الرابعة، سنة الطبع: 1425هـ- 2004م.
- ثانياً: المصادر الأردنية
- (1) آثار الصناديد، سرسيد أحمد خان، اشاعت اول؛ علي جره : سرسيد اكيدي، جامعة علي جره الإسلامية، سال اشاعت 1847ء.
- (2) حيات ولي، ابورحيم محمد بخش الدهلوي، دهلي : حضرت شاه ولي الله بيلك لائبريري، جامع مسجد، دهلي الهند، محرم الحرام 1429هـ - يناير 2008ء.
- (3) شاه ولي الله اور ان کا خاندان، محمود أحمد بركاتي، مكتبة جامعة: نئي دهلي، اشتراك قومي كونسل برائ فروغ اردوزبان:، سال اشاعت: 2011ء.
- (4) شاه ولي الله اور ان کے اصحاب، محمود أحمد بركاتي، لبرتي آرت بريس، دريا كنج، نئي دهلي، اشاعت دوم، سال اشاعت: 2006ء.
- (5) شمس تبريز خان، عربي ادب مين هندوستان كا حصه، نظامي بريس، لكهنؤ، يوبي، هند، سال اشاعت: 1989ء.

تاريخ البث الإذاعي باللغة العربية في الهند

د. محمد مهتاب عالم

محاضر ضيف مركز دراسات غرب آسيا،

جامعة جواهر لال نهرو نيودلهي



ABSTRACT: As we know that nowadays newspapers, magazines, radio, satellite television channels, internet, face book, twitter, whatsapp and others forms of social media are increasingly in use for transmitting the information. The news media have gained importance everywhere in the world during the past few years, as the channels of information and media are multiplying day by day. Radio broadcasting means transmission of audio sound to radio receivers belonging to a public audience. Radio is a very powerful medium for celebrating human values in all its diversity and diverse programme presentation and constitutes a better platform for sound and democratic discourse. Radio is considered the fastest and widely consumed medium for information, news and views on any topics at regional and global level. Radio Broadcasting began in India with a private radio service in Madras in 1926. In the same year, the British government granted a license to a private company, the Indian Broadcasting Company to open Radio stations in Bombay and Calcutta. The company went bankrupt in 1930 but the colonial government took over and started operating them as the Indian State Broadcasting Corporation. In 1936, the Corporation was renamed All India Radio and placed under the Department of Information and Communications. The External Services Division of All India Radio began with a broadcast in Arabic Language on 1 October 1939. It was intended to counter radio propaganda from Germany directed to Afghanistan, Persia and Arab countries.

المقدمة: بالطبع نحن نعلم أن الصحف والجرائد والمجلات والإذاعة والقنوات الفضائية وشبكة الإنترنت و فيس بوك وتويتر و واتس آب والأقسام المتنوعة من وسائل التواصل الإجتماعي تستخدم على نحو متزايد لنقل المعلومات المفيدة والأبحاث والاكتشافات الجديدة والأخبار والآراء والتطورات العامة للحياة اليومية لكل فرد في المجتمع. ومما لا شك فيه أن وسائل الإعلام توفر المعلومات المثمرة الراهنة للشعب والنظام الحكومي وعندما توقفت وسائل الإعلام أعمالها توقف معها تزويد المعلومات المفيدة والتعليقات الحالية والأنباء الجديدة الأخرى فالناس يجدون أنفسهم محرومين من جميع الأبحاث الجديدة والمعلومات المفيدة والاكتشافات الحديثة وسوف يعيشون في الظلام منقطعين عن المعلومات والأخبار حولي الأحداث والوقائع التي تحدث في المناطق النائية وفي الجاليات القومية والدولية الأخرى

ولهذا السبب وسائل الإعلام تعتبر جسراً بين الناس الذين يعيشون في المناطق المختلفة بالعالم. اكتسبت وسائل الإعلام وخاصة وسائل الإعلام الإلكترونية أهمية كبرى في كل مكان في العالم خلال السنوات القليلة الماضية، قنوات المعلومات ووسائل الإعلام تتضاعف يوماً بعد يوم. في الواقع هي مهارة الاتصال والتواصل وتكنولوجيا المعلومات فيها أحدثت تغييرات دراماتيكية في جميع أنحاء العالم. اليوم تدفق المعلومات سريعة وفعالة وكل شخص يريد أن يجعلها موثوقة وشاملة وسريعة. ولأجل ذلك لأن لدينا في الوقت الحاضر وسائل الإعلام الضخمة لنشر المعلومات والتعليقات والمراجعات والعلم والمعرفة في مختلف مناطق العالم. وهذا هو السبب أن الناس الآن في أي مكان هم في وضع يؤهل أنفسهم لصياغة آرائهم وإظهار أفكارهم بشأن القضايا القومية والدولية اعتماداً بشكل أساسي على المدخلات التي توفرها وسائل الإعلام على نحو متواصل.

كما نحن نعلم جميعاً أن وسائل الإعلام يحكمها الشعب ومن أجل الشعب. إنها توفر لنا معلومات ثمرة وأخبار يومية وآراء وتعليقات حالية حول الأحداث والوقائع والأوضاع الراهنة تتعلق بالناس والسلطات التنفيذية والنظام الحكومي في جميع أنحاء العالم. وهذه هي تقدم الأخبار والآراء والتعليقات والمراجعات في بعض الأحيان في الكتابة وهي وسائل الإعلام المطبوعة وأحياناً في أشكال الصوت وهي وسائل الإعلام الصوتية أي الإذاعة والصورة المتحركة وهي الفيديو. وجديراً بالذكر أن وسائل الإعلام تعمل طول الوقت لتزويدنا بالمعلومات والإكتشافات بالعالم. هكذا على هذا المنهج أيضاً توصف الديمقراطية وهي الحكومة من قبل الشعب أو حكم الشعب من خلال الممثلين المنتخبين. الحكومة الديمقراطية تتوازن من خلال الأعمدة الثلاث للديمقراطية وهي الهيئة التنفيذية والهيئة التشريعية والهيئة القضائية والآن في هذا العصر الراهن تعتبر وسائل الإعلام عموداً رابعاً ضرورياً للتوازن بين الناس والسلطات وفي تنفيذ الأوامر والقوانين بنجاح في أي حكومة ديمقراطية في العالم.¹ ولذا يعتمد الناس اليوم على وسائل الإعلام ربما يكون الإذاعة والتلفزيون والصحف والجرائد والمصادر الأخرى من التواصل الاجتماعي للوعي والانتباه والأخبار والتعليقات والعلاقات والسياسات الدولية ليعلم ماذا يحدث حولي جيرانهم وفي العالم. تلعب وسائل الإعلام دوراً حيوياً في المجتمع الديمقراطي. تُعرف الصحافة بأنها "صوت من لا صوت له" للتعبير عن آراء جميع من هم في المجتمع بل أنها تعمل مثل جسر

¹. إبلاغيات، الدكتور محمد شاهد حسين، ص، 46

بين السلطات والناس ولذلك الهدف الأساسي لها هو التأكد من أن جميع المواطنين يعرفون بالسياسات القومية والدولية وحقوقهم والاحتياجات والكيفيات للعيش والبقاء على قيد الحياة بأي مناطق في العالم.

الجوانب الاجتماعية والإعلامية في البث الإذاعي: الاتصال والتواصل هو عملية نقل المعلومات من مكان أو شخص أو مجموعة بالإشارة أو بالكتابة أو بالصوت أو بالحركة الهادفة إلى مكان أو شخص أو مجموعة أخرى.¹ وعلى الأقل هذا الاتصال يتضمن مرسل واحد ورسالة ومتلقي وهذا قد يبدو بسيطاً لكن التواصل هو في الواقع موضوع معقد للغاية.² يحتل البث الإذاعي مكانة متميزة في ما يسمى وسائط الاتصال بالجمهور اتصال جماهيري. فهو أول نمط ومنهاج البث الإلكتروني واسع النطاق وأداة الاتصال في العالم وبهذه الأداة أصبح الإنسان شاهداً على عصره فكل رسالة صوتية تبث من أي مكان في العالم يمكن سماعها في أي مكان آخر في اللحظة ذاتها. وقد قضى البث الإذاعي عند ظهوره على الاحتكار الذي كان يمارس مع الكتابة والصحافة المطبوعة ودخل في المنافسة مع الكتابة والصحيفة والجريدة والمجلة وعلى أن التلفزيون قد انتزع منه الصدارة فإن الكلفة المنخفضة لأجهزة الاستقبال والتطور المستمر فيها حافظت على انتشاره. وقد أدى البث الإذاعي دوراً أساسياً في نشر الثقافة الموسيقية والدراماتيكية وفي التقريب بين الأمم والشعوب وفي إنجاز خطوات عديدة على طريق تحقيق الحلم القديم للإنسانية وفي إلغاء المسافات الطويلة وإزالة الحواجز الكبيرة أو جعل العالم قرية صغيرة. كما يرتبط البث الإذاعي بالمجتمع لإعطاء المعلومات المفيدة وتوفير فرص الأعمال الكثيرة عن طريق الإعلان والتصريح سواء تكون إعلانات تعليمية وثقافية وموسيقية أو لمنتجات غذائية واستهلاكية وغيرها. ومع انتشار المحطات الإذاعية المحلية ازدادت المنافسة على جذب المستمعين والمعلنين والمذيعين، حتى أنه تُجرى قياسات إحصائية لمعدل الاستماع من استطلاعات للرأي هاتفية أو ميدانية تقوم بها شركات متخصصة مما تعمق التفاعل المتبادل بين الإذاعات والمستمعين في المجتمع، لعب البث الإذاعي دوراً كبيراً في إحداث التغييرات والتجديد والتحديث في المجتمع وفي توفير المعلومات وفي توليد اليقظة والصحة وفي ترويج العلوم والفنون وفي تجديد الأفكار وفي تصليح الأمة وإزالة الفجوة بين الناس والسلطات والمجتمع

¹, Gurmeet Singh Mann, P, 2 The Story of Mass Communication,

², إبلاتيات، الدكتور محمد شاهد حسين، ص، 3-4

والتفريق بين القيادة والأحزاب السياسية الملائمة وغير الملائمة لمصالح الشعوب والمجتمع.¹

اليوم العالمي للإذاعة: في الواقع، الإذاعة هي وسيلة قوية للاحتفال بالإنسانية بكل تنوعها وتشكل منصة للحوار الديمقراطي وتسير موجات الإذاعة بسرعة كبيرة عبر الفضاء. الموجات الإذاعية هي نوع من الإشعاع الكهرومغناطيسي وبالتالي فهي تتحرك بسرعة الضوء، سرعة الضوء أقل بقليل من 300000 كيلومتر في الثانية. تعتبر الإذاعة مكونة سريعة وقوية جدًا في الإتصال والتواصل التي تصل إلى المجتمعات النائية بالإضافة إلى سكان المناطق الحضرية. اليوم العالمي للإذاعة هو يوم دولي يحتفل به في 13 فبراير في كل عام. قررت هيئة اليونسكو (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة) هذا اليوم العالمي للإذاعة في الثالث من نوفمبر عام 2011 خلال مؤتمرها السادس والثلاثين بناءً على الطلب من أكاديمية الإذاعة الإسبانية في 20 سبتمبر عام 2010. ثم أجرت هيئة اليونسكو مشاورات واسعة في عام 2011 مع مختلف أصحاب المصلحة في هذا الصدد وبعد حصول على موافقة المشاركين في الاجتماع التشاوري قررت الهيئة تحديد هذا التاريخ للاحتفال بيوم الإذاعة العالمي. وتم الاحتفال باليوم العالمي السنوي التاسع للإذاعة في جميع أنحاء العالم في 13 فبراير عام 2020 بعنوان "الإذاعة والتنوع".²

تاريخ الصحافة الإذاعية في الهند: البث الإذاعي هو كل إرسال للإشارات عبر الموجات الكهرومغناطيسية عن بعد للمعلومات ذات طبيعة صوتية كلامية أو موسيقية أو أنواع أخرى من البرامج باستخدام الأمواج الإذاعية إلى عامة الناس المزودة بمستقبلات لاسلكية داخل المنطقة أو خارجها. بدأ البث الإذاعي في الهند من خلال الخدمة الإذاعية الخاصة في مدينة مدراس عام 1926. وفي نفس العام منحت الحكومة الاستعمارية البريطانية ترخيصاً لشركة خاصة اسمها شركة البث الهندي لفتح محطات إذاعية في مدينة بومباي وكولكاتا. ولكن لبعض الأسباب أفلسَت الشركة في عام 1930 وبعد ذلك استولت الحكومة الاستعمارية عليها وبدأت تشغيلها باسم هيئة الإذاعة الحكومية الهندية. في عام 1936 تم تغيير اسم الشركة في إذاعة عموم الهند All India Radio وتم وضعها تحت إدارة الاتصالات. عندما أصبحت الهند دولة مستقلة في عام 1947، أصبحت إذاعة عموم الهند إدارة منفصلة تابعة لوزارة الإعلام والنشر. وكان الاندماج الوطني وتطوير الوعي القومي وتوليد اليقظة والانتباه بشأن القضايا العالمية من الأهداف الأولى المفضلة بإذاعة عموم الهند. وكان يتوقع من الإذاعة

¹. https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%AB_%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B0%D8%A7%D8%B9%D9%8A

². https://en.wikipedia.org/wiki/World_Radio_Day

خاصة أن تساهم في عملية التحديث الاجتماعي وتوفير المعلومات وتخليق الصحة والانتباه وترويج العلم والمعرفة وتطوير الابتكار وتجديد الأفكار وتصلح الأشخاص في المجتمع. وفي الثامن من شهر يونيو عام 1961 احتفلت إذاعة عموم الهند باليوبيل الفضي لبثها البرامج المتنوعة بطريقة الناجحة في اللغة الهندية واللغات الأجنبية في البلاد وخارجها.¹ عندما أصبح البث الإذاعي قويا في البلاد ثم بدأ نشر التلفزيون في عام 1959، وحينئذ كانت الحكومة مترددة في الإستثمار في قطاع التلفزيون وذلك لأنه كان هناك شعور بأن البلد الفقير مثل الهند لا يستطيع تحمل تكلفة قناة التلفزيون. وفي هذا الحال كان على التلفزيون أن يثبت دوره وأهميته بين الناس في المجتمع هكذا عملية تطوير قناة التلفزيون كانت صعبة جداً. على كل حال بدأ البث التلفزيوني من دلهي في سبتمبر عام 1959 كجزء من خدمات إذاعة عموم الهند، هكذا تم بث البرنامج التلفزيوني مرتين في الأسبوع لمدة ساعة يومياً على مواضيع مختلفة مثل صحة المجتمع وواجبات المواطنين وحقوقهم وحركة المرور والإحساس بالطرق وما إلى ذلك. وفي عام 1961 تم توسيع نطاق البث ليشمل مشروع التلفزيون تعليم المدرسية والثقافية ومع مرور الوقت انضمت الأفلام والبرامج المختلفة الهندية التي تتكون مجموعة من المسرحيات والموسيقية من الأفلام الهندية مع برامج الترفيه في المرة الأولى.

إذاعة عموم الهند ووحدة اللغات الأجنبية: إذاعة عموم الهند تعرف رسمياً منذ عام 1956 باسم أكاشفاني "صوت من السماء" وهي الإذاعة الوطنية الحكومية في الهند. وتعد إذاعة عموم الهند أكبر شبكة إذاعية في العالم وواحدة من أكبر هيئات البث والنشر في العالم من حيث عدد اللغات التي تبث فيها طيفا من البرنامج المتنوع أي الاجتماعي والاقتصادي والأدبي والثقافي والرياضي وما إلى ذلك. تتألف خدمة إذاعة عموم الهند المنزلية من 420 محطة في جميع أنحاء البلاد وتصل إلى حوالي 92 في المئة من مساحة البلاد وتسعة وتسعين فاصل وواحد وتسعة في المئة من إجمالي السكان. إذاعة عموم الهند تخلق وتنشر البرامج المختلفة في ثلاث وعشرين لغة ومئة تسع وسبعين لهجة. وفي الأول من أكتوبر عام 1939، أقيمت وحدة الخدمة الخارجية من إذاعة عموم الهند وبدأت بثها في لغة البشتو أولاً. لكن بعض الأدلة التاريخية تشير إلى أن وحدة الخدمة الخارجية التي بدأت بثها للمرة الأولى بعد تأسيسها كانت في

¹ . Radio and TV Journalism, K.M. Shrivastava, P, 20

اللغة العربية.¹ وكان الغرض من تأسيسها مواجهة الدعاية الإذاعية من ألمانيا الموجهة إلى أفغانستان وبلاد فارس والدول العربية مع بداية الحرب العالمية الثانية. وشهد عام 1939 أيضاً افتتاح محطة إذاعة دكا في شرق الهند والآن هي بنغلاديش. بعد ذلك في فترة وجيزة بدأت الخدمات الخارجية بثها بلغات أخرى بما في ذلك اللغة الفارسية والدارية والإنجليزية والبورمية واليابانية والصينية والماليزية والفرنسية وروسيا وغيرها.

تُبت وحدة الخدمات الخارجية لإذاعة عموم الهند في ست عشرة لغة أجنبية وإحدى عشرة لغة هندية أي في سبع وعشرين لغة إلى البلدان المتعلقة بخارج الهند عبر عمليات البث ذات الموجة القصيرة عالية الطاقة. تستخدم الموجة المتوسطة أيضاً للوصول إلى الدول المجاورة بالإضافة إلى عمليات البث التي تستهدف إلى بلدان خارجية معينة حسب اللغة وهناك أيضاً خدمة عامة للدول الخارجية تبث فيها الأنباء والتعليقات والبرامج المختلفة باللغة الإنجليزية للجمهور العام الدولي.²

تبث إذاعة عموم الهند باللغة العربية كل يوم نشرتين: نشرة صباحية ونشرة مساءية، النشرة الأولى تبث في الصباح لساعة واحدة والنشرة الثانية في المساء لساعتين وخمس عشرة دقيقة. تشمل وحدة الإذاعة العربية في برامجها تلاوة القرآن الكريم والموسيقى والأغاني الهندية والعربية والمحادثات اليومية والمحادثات الخاصة حول الأعياد والمهرجانات الهندية وبشأن الثقافة والعادات والتقاليد الهندية والسيرة الذاتية للشخصيات البارزة في الهند وحول العلماء والمفكرين والباحثين والخبراء والمحللين من مجالات اللغة العربية والأدب والثقافة، والمحادثات حول القضايا الهامة الأخرى في البلاد والعالم. وحدة اللغة العربية بإذاعة عموم الهند أيضاً تهتم بنشر المقابلات مع الشخصيات العظيمة من الهند وخارجها. وحدة اللغة العربية أيضاً تنشر التعليق يوميا على القضايا الهامة والإستعراض على الصحف اليومية البارزة والأخبار والتقارير الإذاعية، والبرامج الخاصة بناء على الطلبات والتعليقات والرسائل الواردة من المستمعين الكرام من الدول العربية. برغم خدمات إذاعة عموم الهند هناك إذاعة المجتمع أو الإذاعة المحلية التي تعمل في هذا المجال هي خدمة إذاعية تقدم نموذجاً ثالثاً للبث الإذاعي مع البث التجاري والعامة. تخدم محطات المجتمع المجتمعات الجغرافية والمجتمعات ذات الاهتمام، وتنشر هذه

¹. نشریات اور آل انڈیا ریڈیو، اخلاق اثر، ص، 65- 66

². https://en.wikipedia.org/wiki/All_India_Radio

المحطات محتويات ومواضيع شائعة وذي صلة بالجمهور المحلي المحدد وغالبا ما يتم تجاهله من قبل المذيعين التجاريين أو وسائل الإعلام الرئيسية. وهكذا إذاعة ايف ايم هي طريقة للبحث الإذاعي باستخدام تعديل التردد، ويستخدم ايف ايم لمعظم عمليات البث الموسيقى والصوت العام أو البرنامج المشترك للمستمعين في نطاق الصوت.

على الرغم من ذكرت أعلاه أن البرامج المهمة المتنوعة باللغة العربية من إذاعة عموم الهند تترك انطباعات مذهلة على المستمعين وتلعب دورًا رئيسيًا في توفير المعلومات المفيدة والاكتشافات الجديدة وتصلح المجتمع وتحديث الأشخاص وترويج اللغة والثقافة وتعزيز العلاقات الهندية الدولية والدبلوماسية مع الدول العربية وإزالة الفجوة والحواجز بين الأفراد والمجتمع في داخل البلاد وخارجها.

المراجع والمصادر

- إبلاتيات، الدكتور محمد شاهد حسين، ايجوكيشنل ببلشنغ هاؤس، نيودلهي 2003
- نشریات اور آل اندیا ریڈیو، اخلاق اثر، مكتبة جامعة نيودلهي 1982
- عوامي ذرائع إبلاغ ترسیل اور تعمیر وترقی، دیویندر اِسّر، الترجمة شاهد برویز، المجلس القومي لترويج اللغة الأردية، نيودلهي 2002
- The Story of Mass Communication, Gurmeet Singh Mann, New Delhi, 1987
- Radio and TV Journalism, K.M. Shrivastava, New Delhi, 1989
- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%AB_%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B0%D8%A7%D8%B9%D9%8A
- https://en.wikipedia.org/wiki/World_Radio_Day
- https://en.wikipedia.org/wiki/All_India_Radio

مساهمات الشيخ أبي الحسن الندوي في الأدب العربي الإسلامي



السيد محمد بشير سي كي

أستاذ مساعد و باحث الدكتوراه،
كلية مدينة العلوم العربية ، بولكل

ABSTRACT: This article sheds light on the precious services that the great scholar Sheikh Abul Hassan Ali Nadawi performed in reviving Islamic thought and Arabic literature in the 20th century. It is an undeniable fact that Allama Ali Miyan was one of the most talented descendants among India's glorious personalities in the history around the world who revived authentic Islamic views in the twentieth century and enriched the Islamic literature, with his precious writings and valuable books.

His words and writings have been instrumental in resolving the fretting issues facing the Muslim community, both internally and externally. This feature made him the most prominent Islamic figure on the international level, as well as he has made significant efforts to bring the Muslim community back to its golden age at the global level, both spiritually and materially.

الملخص: تلقي هذه المقالة ضوءاً على خدمات فقيد الأمة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الندوي في تنعيش الفكر الإسلامي والأدب العربي في القرن العشرين فصار شيخ العرب والعجم بعلمه المستفيض لما نذر نفسه للجهاد في سبيل الله. كان علي ميان من أعز أبناء الهند وأفخرها، هو شخصية عالمية أنجبته الهند ذاع صيته من الشرق إلى الغرب ، وهو الذي أحيا الفكر الإسلامي الأصيل في القرن العشرين وأثرى المكتبة الإسلامية بمؤلفاته الثمينة ومقالاته القيمة. فدائماً غار للدين وكافح لإعزازه، ونهج للدعوة والتربية الإسلامية نهجا يجمع بين القديم الصافي والجديد الناجع. وكان من أكثر علماء عصره تأليفاً وإنتاجاً.

هو جوهرة القرن العشرين حقا التي أبرزتها الهند للعالم الإسلامي على جميع المستويات. لذلك استطاع أن يصبح الكلمة الأخيرة في حياته في أي قضايا تؤثر على العالم ، ولا سيما العالم الإسلامي. وكان يحظى باحترام كبير من قِبَل الناس في جميع نواحي العالم كداعية وأديب ، حتى قيل فيه حين فراقه: لا يلد امرأة رجلا مثله ولا ينظر السماء رجلا مثله ولا يدفن في الأرض مثله.

التوطئة: أصبح إسم الشيخ علي ميان خالداً في مجال الفكر الإسلامي المشيد ، من خلال مؤلفاته ومقالاته ومحاضراته التي تستند إلى المعرفة العلمية وتتسم بالأصالة الإسلامية وتحمس إلى إعادة الأمة الإسلامية لمجدها المفقود فكرياً وثقافياً. وكان صائب الرأي في حلول المشاكل الحرجة التي يواجهها المجتمع الإسلامي داخلياً وخارجياً

من الأمراض والأخطار. وهذه الميزة التي جعلته أبرز الشخصيات الإسلامية على المستوى العالمي.

مولده وتكوين شخصيته:

ولد الشيخ في قرية تكيه كيلان عام 1914م براي بريلي في مدينة لکناؤ ، وكان بيته بيت علم ودين وأسرته شديد المحافظة على التقاليد الإسلامية الأصلية، ونسبه ينتهي إلى الإمام الحسن بن علي ؑ وكان أبواه خير سلف له في شتل القيم الإسلامية ومبادئها الجليلة منذ صباه.

قادمًا من هذه العائلة الأدبية ، ليس من المستغرب أن نشأ الشاب عليّ بشعور أدبي وعالي. زوّده أسرته العريقة بالخصائص المحمودّة والعزائم الإصلاحية، يقول العلامة السيد محمد اجتباء الندوي عن الأسرة الشهيرة التي ينتسب إليها العلامة الندوي: "لم تزل متمسكة بعقيدة التوحيد الخالص، بعيدة عن الأعمال الشركية ، متجنبّة للبدع والمحدثات، مصونة من تأثير العقائد الشيعية ، وكانت الدعوة إلى التوحيد واتباع السنّة المطهرة شعارها الدائم وميزتها البارزة"¹

كان والده العلامة عبد الحي الحسني - الذي يلقب بابن خلكان الهند إذ هو مصنف كتاب "نزّه الخواطر و بهجة المسامع" - ممن يشتغل بإدارة دارالعلوم ندوة العلماء ممّا مهد له الطريق للعيش بأمان في مدينة لکناؤ معظم أيام طفولته، يقول الدكتور يوسف القرضاوي عنه:- "شخصية الشيخ ثرية متعددة المواهب، متنوعة العطاء، فهو إمام من أئمة الدعوة، وعلم من أعلام الإصلاح، ونجم من نجوم الهداية، وجبل من جبال العلم، ورائد من رواد الربانية، وقائد من قادة الإسلام."²

إن أكبر خلفية جعلته شخصية إسلامية راسخة ومتميزة هو منزله حيث كان يجدد أكثر الأفكار والسمات الدينية القيمة على يد والده العلامة عبد الحي الحسني الذي كان الأكثر شهرة واحتراماً بين علماء عصره . وبعد أن توفي والده وهو ابن عشر سنين قامت والدته وشقيقه الأكبر الدكتور عبد العلي الحسني يقومان بإشراف تعليمه وتربيته.

حفظ القرآن وهو صغير وواصل دراسته العليا في جامعة " لکناؤ" ودارالعلوم التابعة لندوة العلماء. فدرس اللغة العربية وآدابها والعلوم الشرعية، وخصوصاً الحديث والتفسير، وكان مهتمًا بدراسة اللغات ، فأتقن العربية والإنجليزية والفارسية فضلاً عن الأردية كتابةً وتحدثاً. والتحق بجامعة لکناؤ الحكومية عام 1927م وأصبح أحد خريجيها بتقدير ممتاز فائزاً بالمداوية الذهبية.

وكان متفرغاً لتعلم اللغة العربية وشغوفاً بها وتلمذ على يد جهازة العلماء كي يتفوّق في العربية ، كما تلمذ

1- محمد اجتباء الندوي، أبو الحسن علي الحسني الندوي الداعية الحكيم والمربي الجليل، الطبعة الأولى، 2001م، دار القلم دمشق، ص 25-26

2 - الدكتور جمال الدين الفاروقي، عبد الرحمن محمد الأدرشي، عبد الرحمن المنغادي، أعلام الادب العربي في الهند، الطبعة الأولى، مكتبة الهدى كاليكوت، 2008م، ص 210، نقلاً عن الدكتور يوسف القرضاوي.

على الشيخ محمد علي اللاهوري في تفسير القرآن وعلوم الحديث، أتم تحصيل اللغة العربية وبعض أمهات الكتب العربية عند الشيخ خليل اليماني. ثم انضم إلى قسم اللغة العربية بجامعة لکناؤ ونال شهادة فاضل أدب. ودرس اللغة الأردية وأدائها خلال ثلاث سنوات. وأخذ يقرأ اللغة الإنجليزية على صديق أبيه الشيخ محمد خليل، وجعل يذهب إلى معلم الإنجليزية الكبير الأستاذ محمد سمیع الصديقي، وكان له فترة من الزمن حينما كان دارساً بدار العلوم ندوة العلماء حتى تلمذ على الشيخ حيدر حسن خان الذي كان محدث العصر كما تلمذ على الشيخ حسين أحمد المدني في دارالعلوم ديوبند.

الشيخ علي مياں صحافياً:

وقد أولى السيد الندوي اهتماماً كبيراً بالنشاطات الصحفية العربية والأوردية بالإضافة إلى كتاباته وأنشطته التعليمية. وكان رئيس التحرير لمجلة "البعث الإسلامي" ومجلة "الرائد" كما اشتغل بالمحرر المراسل لمجلة "المسلمون" التي كانت صادرة من جنيف تحت رئاسة الدكتور سيعد رمضان، عينه السيد سليمان الندوي أستاذاً في دارالعلوم ندوة العلماء في علوم التفسير وعلوم القرآن والأدب العربي بعد أن أدرك ملكته وعبقريته في تدريس الطلبة و تثقيفهم. وكان خير مدرس وخير مثقف. تولدت في هذه الفترة "الضياء" صحيفة عربية من ندوة العلماء. فساهم في تحرير مجلة "الندوى" الأردنية. ورأس تحريرها فترة من الزمن. وأول المقالات له في اللغة العربية عن الإمام أحمد بن عرفان نُشرت في مجلة المنار في مصر سنة 1931م. حظي له بأن يسافر إلى المملكة العربية السعودية 1947م لأداء الحج وزار المملكة مرة أخرى سنة 1950م وألقى عدّة محاضرات قيمة في الحجاز، ثم ارتحل إلى دمشق 1957م، وألقى فيها خطابات علمية مثيرة للحماس الإسلامي.

العلامة أبو الحسن الندوي داعية إسلامية عالمية:

يعتبر الندوي من أعظم العلماء في القرن العشرين، من بين أعظم الدعاة الإسلاميين في العالم، الذين أثروا بشكل كبير في حياة الآلاف. سافر في جميع أنحاء العالم من أجل النصيحة والوعظ بالمبادئ الإسلامية للجمهور والقادة المتميزين على حد سواء. ومن النادر جداً أن يحصل الداعي على مثل هذا التأثير في نفوس الملايين ويزيد احترامهم له تدريجياً. ولعل أبرز ما يميز الشيخ الندوي في مضمار الدعوة الإسلامية اتخاذه الأدب سفينةً تمخر عباب محيط الدعوة الإسلامية، يقول الدكتور محمد عبده يماني الوزير السابق للإعلام سابقاً في السعودية:

"ومن يتتبع مسيرة الشيخ الندوي - رحمه الله - يجد أنه قد أمضى حياته المباركة التي ناهزت السابعة والثمانين سنة في جهاد متصل وعمل دائم، وترحال كثير في أقطار العالم الإسلامي، وفي الغرب والشرق، وهو يدعو إلى الله على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة، ينصح الناس ويعلمهم، ويزور العلماء ويجلّهم ويشجعهم ويبادلهم الرأي والمشورة، ويهتم بشؤون العالم الإسلامي كله، فلم يقتصر على شبه القارة الهندية ولا على البلاد العربية والإسلامية، بل اهتم بالمسلمين حيثما وجدوا في الشرق والغرب وفي الشمال والجنوب، وكان يخص كل بلد عربي أو إسلامي بزيارة متأنية، يعيش بين أهله ويدرس أوضاعه وأحواله، وما هو بحاجة إليه من المدارس والمساجد والعلماء

وما فيه من الجماعات الإسلامية فيدعوها إلى جمع الكلمة ووحدة الهدف ويحاول التقريب بينها وجمع كلمة زعمائها، ويجتمع كذلك بأهل الحل والعقد من الأمراء والملوك والرؤساء و ينال التقدير والتبجيل والتشجيع والإعجاب، وما كان هذا ليكون لولا إخلاصه لدينه وقدرته الفائقة على التأثير في قلوب الناس، ولا يتأتى هذا إلا للقلة النادرة من العلماء والعاملين والدعاة الموهوبين!!¹

ولإسهاماته وجهوده البارزة في مجال نشر الإسلام ودعوته نال جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام 1980م، ومنحته لجنة دبي الدولية للقرآن الكريم جائزة الشخصية الإسلامية لعام 1998م.

خلال حياته وبعد وفاته ، نجد العديد من العلماء والشعراء والكتاب يمدحون فضائله بسطور تمس القلوب و تجذب النفوس، و منها ما قاله الشاعر السعودي الكبير الدكتور عبد الرحمن صالح العشماوي في قصيدته "تلويحة وداع لشيخ الهند":

تزلزل فيه عالمنا ومادى	"أشيخ الهند هذا عام حزن
عقيدتها لأعلنت الحداد	لقد أثلكت أمتنا ولولا
زرعت لها وأحسن الحصاد	لأنك يا أبا حسن وفي
ترى فيها المنابع والمهاد	نظرت إلى جزيرتنا بعين
تضيئ بنور حكمتها البلاد	لندوتكم مشاعل من علوم
ولا أخفيت معنى مستفاد	كتبت لنا فما أرخصت فكرا
بحسن صياغة الأسلوب ضادا ²	و كنت أديبنا في الهند تخي

الشيخ الندوي أديبا إسلامي :

رأى الشيخ الندوي الأدب الإسلامي كأفضل أداة لتقديم تعاليمه للمسلمين المتعطشين للمعرفة بوفرة . تعد محاضرات وكتب مولانا الندوي من الأكثر شعبية حتى بين العلماء العرب. وإن جميع مقالاته تفيض بالفكر الإسلامي السليم ورأي ضرورة إحيائه. كان للأدب العربي قسطا و افرا في أعماله العلمية حيث كان شغوبا به داعياً إلى حلول مطردة في جميع مقالاته المليئة بالموافق القوية في القضايا الوطنية والدولية الحاسمة. كتب العلامة الندوي باللغة العربية بالدرجة الأولى ، وكتب أكثر من خمسين كتاباً عن التاريخ واللاهوت والسيرة الذاتية ، إضافة إلى آلاف أوراق الندوات والمقالات والخطب المسجلة. وكان يتولى عدة مناصب منها: الرئاسة العامة لندوة العلماء وعضوية المجمع العربي بدمشق، وعضوية المجلس التأسيسي لرابطة العالمي الإسلامي في مكة المكرمة. وعضوية المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، ورئاسة هيئة التعليم الديني في الولايات الشمالية

¹ الندوي..داعية القرن ورجل موافق، صحيفة "الشرق الأوسط"، الثلاثاء 18 شوال 1420 هـ، ص:16

² العشماوي، عبد الرحمن صالح، قصيدة "تلويحة وداع لشيخ الهند"، ديوان "قوافل الراحلين"، ص – 35 - 38، الطبعة الأولى 2007م، مكتبة العبيكان، الرياض

في الهند ورئاسة رابطة الأدب الإسلامي العالمية. وتميز الندوي بعلمه الغزير وعمله الدؤوب و خلقه الفاضل وأناته و حكمته وكثرة نشاطاته العلمية والأدبية و بُعد نظره بين العلماء الربانيين كما شهد عليه العديد من معاصريه لاحقا و حينما كان على قيد الحياة.

ومن خصائص أدبه لطف تعبيره وأسلوبه الجذاب الذي يمتع القراء وألفاظه السلسة التي يعرفها العوام والخواص، وهو يأخذ القارئ والمستمع ليتجولا معه، يقول وزير الإعلام السعودي السابق الدكتور محمد عبده يماني فيه: "كان - رحمه الله - قويا صلبا شجاعا لا يهادن ولا يدهان ولا يجامل، ولا يخشى في الله لومة لائم، وكان إذا وقف في موقف الدفاع عن الاسلام يحسن الكرو ولا يعرف الفر، ويملك زمام الموضوع الذي يتحدث فيه، فلا يترك مجالا لنقد ولا ثغرة يدخل منها خصم مهما كانت ثقافته وحجته، ومهما كان انتهاؤه وحزبه.... ولا يصبر على مخالفته إلا أهل الجحود والفساد، من الذين إذا تولوا سعى في الأرض ليفسدوا فيها ويهلكوا الحرث والنسل".¹

النزعات المبتكرة في أعماله الأدبية:

قام العلامة الندوي بإثراء المكتبة الإسلامية والعربية بكنوزه العلمية ممثلة بمصنفاته التي تتجاوز مائتين إلا أن معظمها رسائل دعوية و توجيهية صغيرة و محاضرات مسجلة، وجميعها تتناول القضايا التاريخية والدفاعية والمدنية والاجتماعية والسياسية التي تواجهها الأمة الإسلامية ليس فقط بأسلوبها الحماس ولكن بأسلوب علمي متين، وقد ترجمت معظمها إلى اللغات الدولية مثل الفرنسية والإنجليزية والتركية، فضلا عن ترجمتها إلى اللغات الهندية مختلفة. توسعت إسهاماته في دراسات القرآن والحديث والدراسات الثقافية والاجتماعية وفي أدب الرحلة وغيرها. تعرض لنا أعماله الممتازة قدرته الرائعة على تصوير الأحداث ملتزما بدقة التاريخ والتحليل. تتميز كتبه برصانة الأسلوب و جزالة التعبير عما يجيش في نفسه من أفكار و عواطف. فمن أهم مصنفاته التي تدل على فهمه العميق للعصر الذي عاش فيه:

- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين
- الأركان الأربعة
- الطريق إلى المدينة
- الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية
- المسلمون في الهند
- رجال الفكر والدعوة في الإسلام
- إذا هبت ريح الإيمان
- المسلمون وقضية فلسطين

¹ الندوي..داعية القرن ورجل موافق، صحيفة "الشرق الأوسط"، الثلاثاء 18 شوال 1420 هـ، ص: 16

- روائع إقبال
 - القادياني والقاديانية
 - التربية الإسلامية
 - العقيدة والعبادة والسلوك
- علاوة على ذلك، قام الشيخ الندوي بتصنيف عدد من كتب التراجم الرائعة أيضا، كما ألف كتابًا قيمًا موضحًا بالتفصيل أسلوب ومبادئ كتابة السير الذاتية، ومن كتب السير المهمة التي قام بتأليفها ما يلي:

- السيرة النبوية
 - خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز
 - الإمام الممتحن أحمد بن حنبل
 - المرتضى (عن علي بن أبي طالب ؑ)
 - ترجمة السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد
 - ابن تيمية
 - شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال
 - الإمام عبد القادر الجيلاني
 - الإمام السرهندي حياته وأعماله
 - صلاح الدين الأيوبي البطل الناصر لدين الله
- كما خصص العلامة الندوي أيضًا بتأليف بعض الكتب العربية الأدبية ذات المغزى للأطفال المتناميين على توسيع مهاراتهم الأكاديمية وتحسين شخصياتهم وتطوير فكرهم. مثلا، كتابه الشهير "قصص النبيين للأطفال" كتبه لابن أخيه، ثم أصبح شائعًا حتى بين الشعوب العربية، وسرعان ما أُدرج الكتاب في المناهج الدراسية لتعليم اللغة العربية في مؤسسات مختلفة حول العالم. كذا استخدمت معظم المدارس الدينية في الهند - حتى في ولايتنا كيرالا أيضا - هذه الكتب لفترة طويلة من الزمن لتعليم الأطفال دروس اللغة العربية و التاريخ الإسلامي و الأخلاقيات. ومنها:

- القراءة الراشدة لتعليم اللغة العربية في المدارس
- قصص النبيين للأطفال
- سيرة خاتم النبيين للأطفال
- من النجوم إلى الأرض

الشيخ أبو الحسن علي الندوي - آية من آيات الله:

كان الشيخ أعجوبة زمانه. إن قوة الإيمان التي تحترق بداخله والحماس الشديد إلى أن ترجع الأمة الإسلامية إلى السيادة العالمية روحياً ومادياً ، كانت أبرز ملامح كتاباته الإسلامية والأدبية. استخدمها لدعم كلمة الله ، فخوراً بدين الله الحقيقي. وكان هدفه الرئيسي الإصلاح بين المسلمين دون قتال باسم الجماعات والطوائف. فعندما مات رحمه الله كان خسارة كبرى للأمة المسلمة ، غير أن قِطْعَه الأدبية التي لا مثيل لها ما زالت تضيء عقلية الأمة الإسلامية إلى الأبد.

وفاته :

قد أسدل الستار على حياته الحافلة بالجهود المضنية والعطاء المتواصل يوم الجمعة، الثالث والعشرين من رمضان عام 1999م في قرية رائن بريلي. ولبي رباني الأمة وداعية الإسلام نداء ربه وهو في قراءة سورة الكهف استعداداً لصلاة الجمعة. وكان هذا العام عام حزن للعالم الإسلامي، لأنه ودع، بجانب العلامة الندوي، أربعة من العلماء الأعلام هم: الشيخ عبد العزيز بن باز، وأديب الفقهاء وفقه الأدباء العلامة علي الطنطاوي، والفقيه الكبير المجدد مصطفى الزرقاء، والمحدث الكبير الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. وبوفاته فقد العالم العربي والإسلامي مفكراً إسلامياً وزعيماً دينياً وقائداً ثقافياً ورائداً من رواد الأدب.¹

وكان الندوي من أواخر العناقيد في السلسلة العلمية المباركة التي سقطت في القرن العشرين بعد فراق قافلة من العلماء الكبار أمثال الشيخ ابن باز والشيخ علي الطنطاوي والشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمهم الله. وإن الآثار العلمية التي خلفها الندوي رحمه الله كانت بمثابة سد الفراغ في كل ما عالجتها من الموضوعات . تغمده الله بواسع رحمته وغفرانه، ولا نذكره على الله، هو أعلم بمن تزي.

المصادر والمراجع

- كلمات التعزية، عدد ممتاز في ذكرى العلامة أبي الحسن الندوي، مجلة البعث الإسلامي، أبريل-مايو-يونيو 2000م
أبو الحسن علي الحسيني الندوي، رجال الفكر والدعوة في الإسلام، الجزء الأول، دار الرشيد ، 2014م.
مجلة ثقافة الهند ، عدد ممتاز عن الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية ، نيودلهي، الهند، المجلد 52، العدد 4 ، 2001م
أبو الحسن علي الحسيني الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، المجمع الإسلامي العلمي، 2012م
أبو الحسن علي الحسيني الندوي، المسلمون في الهند ، المجمع الإسلامي العلمي، 2011م
د. جمال الدين الفاروقي، عبد الرحمن، عبد الرحمن المنغادي، أعلام الأدب العربي في الهند ، مكتبة الهدى كاليكوت، 2008م
صحيفة الشرق الأوسط، 18/شوال/ 1420
العشماوي، عبد الرحمن صالح، ديوان "قوافل الراحلين"، الطبعة الأولى 2007م، مكتبة العبيكان، الرياض

¹ -الدكتور جمال الدين الفاروقي، عبد الرحمن محمد الأدرشي، عبد الرحمن المنغادي، أعلام الأدب العربي في الهند ، الطبعة الأولى ، مكتبة الهدى كاليكوت. 2008م . ص 211



مفهوم الترجمة وأهميتها وأنواعها في الأدب العربي

الدكتور توصيف أحمد مير

محاضر في المدرسة الثانوية العليا الحكومية ميدان بورة لولاب

Abstract : Translation in itself is a distinct art as it depends upon creativity, linguistic sense and ability to bring around the different cultures and it enables the whole humanity to communicate and benefit from experience and knowledge of one another. The art of translation originates from the beginning of era of written literature, and it is one of the human activities, which aims at the interpretation of meanings of written text and its conversion from one language to another language. It is obvious that translation is one of the advanced arts, which has special rules and regulations, and specific means like all those writers who are involved in the process of translation have certain conditions, abilities and proficiency. The translation is a means of transmitting the cultures, civilizations, customs and traditions of different regions of the world from one language to another language, as it is also means of establishing commercial, industrial and diplomatic relations and cooperation between two or more countries. Likewise, translation is a means of enriching and developing the language, as it is a means of conveying the concepts of sermons, seminars, conferences, lectures and texts to the minds of the listeners. There is no doubt that the process of translation with all its kinds is not an easy task, but rather one of the most difficult arts and it requires more training and practice for a long time from the translator to be proficient in it.

This article throws light on the meaning of translation linguistically and idiomatically and in addition to it, it throws light on the concept of translation, its kinds, its importance in the modern period and conditions, abilities and skills of the translator.

الملخص: تعتبر الترجمة فنا مستقلا بذاته حيث أنه يعتمد على الإبداع والحس اللغوي والقدرة على تقريب الثقافات وهو يمكن جميع البشرية من التواصل والاستفادة من خبرات بعضهم البعض. فهي فن قديم قدم الأدب المكتوب، وهي أحد الأنشطة البشرية التي تهدف إلى تفسير المعاني التي تتضمنها النصوص، وتحويلها من إحدى اللغات إلى نصوص لغة أخرى. لا يخفى أن الترجمة أحد الفنون الراقية، لها قواعد وضوابط خاصة، ووسائل محددة مثل سائر الفنون الأخرى كما أن للقائمين بعملية الترجمة شروطا ومؤهلات ومهارات معينة، وأن الترجمة وسيلة نقل ثقافات وحضارات أمم العالم وعاداتها وتقاليدها من لغة إلى أخرى كما أنها وسيلة إقامة التعامل والتعاون التجاري والصناعي والدبلوماسي بين دولتين أو أكثر، وكذلك أنها وسيلة لإثراء اللغة وتطويرها كما أنها

وسيلة إيصال مفاهيم الخطب والندوات والمؤتمرات والمحاضرات والنصوص إلى أذهان المستمعين، وما من شك في أن عملية الترجمة بمختلف أنواعها ليست سهلة بل من أصعب الفنون، وأنها تتطلب من المترجم مزيدا من التدريب والممارسة مدى فترة طويلة لإجادتها. يلقي هذا المقال ضوء علي معني الترجمة لغة واصلاحا بالإضافة إلي مفهوم الترجمة و أقسامها، وأهميتها في العصر الحديث، والوسائل المستخدمة لها، وشروط المترجم ومؤهلته ومهاراته.

الترجمة لغة واصطلاحا

الترجمة لغة: أما كلمة "ترجمة" فهي على وزن "فعلة" والمصدر هو "ترجم" والجمع هو "تراجم"، وإسم الفاعل منها هو "ترجمان". وينطق بأشكال مختلفة مثل "ترجُمان" بفتح التاء وضم الجيم وهذا أجودها بقول أغلب اللغويين، و"ترجُمان" بضمهمما معا بجعل التاء تابعة للجيم، و"ترجمان" بفتحهما معا بجعل الجيم تابعة للتاء. ولكلمة "الترجمة" المعاني المتعددة في اللغة العربية، فهي تعني تبيان الاستيضاح والتبيان، وفي مواضع أخرى تعني التعرف على سيرة أحد الأشخاص، وكذلك تعني عملية تحويل الكلام إلى أفعال. أو نقول أن الترجمة تأتي لمعان التبيين والتوضيح والتفسير وحياة الشخص وسيرته ونقل النصوص من لغة إلى أخرى.

الترجمة اصطلاحا: والترجمة في الاصطلاح فهي التعبير عن معنى كلام في لغة بكلام آخر من لغة أخرى مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده¹. وقيل أيضا أن الترجمة هي نقل الكلام من لغة إلى أخرى عن طريق التدرج من الكلمات الجزئية إلى الجمل والمعاني الكلية. لقد ذكر خبراء الترجمة والمتخصصون فيها عدة تعريفات اصطلاحية للترجمة كما يقال أن الترجمة في الاصطلاح نقل الكلام من لغة إلى أخرى² مثلا نقل نص مكتوب باللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية أو بالعكس. وقد عرفها د. جمال عبد الناصر بأنها نقل كلمة من لغة إلى أخرى شريطة أن يكون المعني المقصود والمستدل عليه، المحسوس منه والمجرد، مفهوما على الأقل أو موجودا، كأن ينقل أحد (seat) الإنكليزية إلى "مقعد" العربية³. وكذلك عرفها عبد العليم السيد المنسي وعبد الله عبد الرزاق بأنها تعني نقل الأفكار والأقوال من لغة إلى أخرى مع المحافظة علي روح النص المنقول⁴.

يقول الأستاذ أبو نعمان محمد عبد المنان خان في تعريف علم الترجمة المطلق، هو علم يبحث عن نقل لغة إلى لغة أخرى. وعادة يكون هذا النقل نقل مفاهيم النصوص المكتوبة أو الخطاب من لغة إلى لغة أخرى. وهذا النوع من الترجمة يتحقق في نقل الكتب أو الرسالة أو العريضة أو الحوار أو المحاضرة من لغة إلى لغة أخرى⁵. وخلاصة ما جاء في تعريفها اصطلاحية في الكتب والمجلات أنها تعني نقل الأفكار والمفاهيم من لغة إلى لغة أخرى مع مراعاة التسلسل المنطقي، وقواعد اللغة النحوية والصرفية والصوتية والدلالية والبلاغية والمصطلحات والتقابلات وما إلى ذلك، ومع الحفاظ علي روح النص المنقول.

الترجمة في إطار التاريخ

عرف العرب الترجمة منذ أقدم عصورهم، ولقد أشار الدكتور عبد السلام كفا في كتابه "في الأدب

المقارن" إلى أن العرب كانوا "يرتحلون للتجارة صيفا وشتاء ويتأثرون بجيرانهم في مختلف نواحي الحياة، لقد عرفوا بلاد الفرس، وانتقلت إليهم ألوان من ثقافتهم... وانتقلت بعض الألفاظ الفارسية إلى اللغة العربية، وظهرت في شعر كبار الشعراء، وكان الأعشى من أشهر من استخدموا في شعرهم كلمات فارسية. كذلك عرف البعض جيرانهم البيزنطيين. وفي زمن الدولة الأموية، تمت ترجمة الدواوين، واهتم بحركة الترجمة الأمير خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الترجمة في العصر العباسي كانت بعد الفتوحات العربية، واتساع رقعة الدولة العربية نحو الشرق والغرب، واتصال العرب المباشر بغيرهم من الشعوب المجاورة وفي مقدمتهم الفرس واليونان ولا سيما في العصر العباسي، ازدادت الحاجة إلى الترجمة، فقام العرب بترجمة علوم اليونان، وبعض الأعمال الأدبية الفارسية، فترجموا عن اليونانية علوم الطب والفلك والرياضيات والموسيقى والفلسفة والنقد. وبلغت حركة الترجمة مرحلة متطورة في عصر الخليفة هارون الرشيد وابنه المأمون، الذي يروى أنه كان يمنح بعض المترجمين مثل حنين بن اسحق ما يساوي وزن كتبه إلى العربية ذهباً، ومن المعروف أن المأمون أسس دار الحكمة في بغداد بهدف تنشيط عمل الترجمة، ومن المعروف أن حنين بن اسحق ترجم وألف الكثير من الكتب وفي علوم متعددة، وتابع ابنه اسحق بن حنين بن اسحق هذا العمل. ففي القرن التاسع الميلادي، قام العرب بترجمة معظم مؤلفات أرسطو، وهناك مؤلفات كثيرة ترجمت عن اليونانية إلى العربية، وضاع أصلها اليوناني فيما بعد، فأعيدت إلى اللغة اليونانية عن طريق اللغة العربية أي أنها فيما لو لم تترجم إلى اللغة العربية لضاعت نهائياً. وقام عبد الله بن المقفع وهو فارسي الأصل في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور بترجمة كتاب "كليلة ودمنة" من الفارسية إلى العربية وأضاف إليه بعض الأشياء، وكان هدف عبد الله بن المقفع من ترجمة "كليلة ودمنة" تقديم النصيحة للمنصور للكف عن ظلم العباد، فأراد ابن المقفع من كتابه الإصلاح الاجتماعي، والتوجيه السياسي، والنصح الأخلاقي. ولكنه نفسه لم ينج من الظلم فقتله الخليفة. وفي الوقت ذاته بدأت الترجمة في العصر العباسي من اللغة العربية إلى اللغات الأجنبية، ولقد أشار المستشرقون إلى دور العرب في الحضارة الأوروبية في هذه الفترة، كما أشار بعض الأدباء الغربيين إلى فضل علوم العرب على الغرب ومن بينهم الأديب الألماني غوته⁶.

وأما أهمية الترجمة، فهي في حياتنا اليومية متعددة الأبعاد على نطاق واسع. فالترجمة لا تمهد الطريق إلى الأمام للتفاعل العالمي فحسب، ولكنها تسمح للدول أيضاً بإقامة علاقات تفاعلية عندما يتعلق الأمر بالتقدم في الأدب والتكنولوجيا والسياسة وغيرها. ويقول جاحظ في قيمة الترجمة "ولا بد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة، في وزن علمه في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها، حتى يكون فيهما سواء وغاية، ومتى وجدناه أيضاً قد تكلم بلسانين، علمنا أنه قد أدخل الضميم عليهما، لأن كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى وتأخذ منها، وتعارض عليهما، وكيف يكون تمكن اللسان منهما مجتمعين فيه، كتمكنه إذا انفرد بالواحدة، وإنما له قوة واحدة، فإن تكلم بلغة واحدة استفرغت تلك القوة عليهما، وكذلك إن تكلم بأكثر من

لغتين، وعلى حساب ذلك تكون الترجمة لجميع اللغات، وكلما كان الباب من العلم أعسر وأضيق، والعلماء به أقل، كان أشد على المترجم، وأجدر أن يخطئ فيه، ولن تجد البتة مترجما يفي بواحد من هؤلاء العلماء⁷.

هناك مصطلحان مهمان يخدمان غرض التمييز بين النص واللغة الأصلية والنص المترجم ولغة النص المترجم. ينطبق مصطلح "المصدر" إلى مدخلات النص الأصلي (النص المصدر)، ولغة هذا النص (اللغة المصدر). وأما مصطلح "الهدف" فيصف النص المنتج (النص الهدف)، ولغة هذا النص (اللغة الهدف). والهدف من الترجمة هو تحقيق التكافؤ الأمثل بين النص المصدر والنص الهدف. ربما يكون مصطلح "التكافؤ الأمثل" شارحا لنفسه، ولكن الوصول إلى التكافؤ التام يعتبر من المستحيل تقريبا، ودائما ستُفقد بعض الأشياء في الترجمة، ويرجع ذلك أساسا لأن اللغات تختلف عن بعضها البعض رسميا ووظيفيا، وكذلك لأن اللغات متجذرة في ثقافات مختلفة. وبالتالي فإن عملية الترجمة في حد ذاتها هي عملية ديناميكية للغاية، وبينما قد يكون هناك بالتأكيد العديد من الطرق لإنتاج نص هدف سيء وردئ أو غير صحيح، فليس هناك ترجمة واحدة ربانية صحيحة لأي نص، ببساطة هناك عوامل كثيرة جدا تلعب دورا في عملية الترجمة⁸.

ودون شك كانت الترجمة ولا زالت بمثابة الجسر التي تعبر الثقافات من خلاله إلى باقي المجتمعات من حولها دون أي جواز فهي تلعب دورا كبيرا في خلق الحوار بين الآداب المختلفة، وتضييق الفجوة بين مختلف الحضارات والثقافات وتهيئ الظروف لإيجاد أدب عالمي مشترك. هذا النشاط في حد ذاته كان موجودا منذ الأزل، إذ مارسه البشر، سواء عن طريق الإيماء أو الإشارة أو الكلام أو الكتابة، علي مرّ العصور، فتبادلوا المعلومات فيما بينهم وتزاوجت الثقافات والحضارات فيما بينها أيضا. إنّ نظرية حوار الحضارات باتت اليوم نظرية عالمية تحظى باهتمام واحترام وتقدير العديد من أصحاب الفكر والرأي في العالم لاسيما المنظرين والمفكرين منهم⁹.

أنواع الترجمة:

وللترجمة أنواع مختلفة، ومنها "الترجمة المكتوبة" وهي ترجمة نتاج لغوي ملفوظ أو مكتوب إلى نتاج ترجمي مكتوب بإتاحة مدة زمنية للمترجم تفصله عن تاريخ نشأة النتاج اللغوي المزمع ترجمته. و"الترجمة الملفوظة" وهي ترجمة نتاج لغوي ملفوظ أو مكتوب إلى نتاج ترجمي ملفوظ وكذلك بإتاحة مدة زمنية للمترجم. وكذلك "الترجمة الفورية" وهي "مكتوبة" أو "ملفوظة" وليست ملفوظة فقط كما يظن البعض. وتتميز هذه الترجمة بعدم إتاحة مدة زمنية للمترجم بين نشأة النص أو تقديمه للمترجم وبين عمله الترجمي. وعليها قد يضطر المترجم إلى ترجمة كلام قيل للتو أو نص كتب قبل دقائق ترجمة فورية دون تفكير ودون مراجعة. وهذه الترجمة هي الأصعب وهي التي تكثر فيها الأخطاء والاختلالات وتتطلب مجهودا ذهنيا جبارا. والأنواع الأساسية للترجمة هي:

النوع الأول: "الترجمة ضمن اللغة الواحدة" (Intralingual translation) وتعني هذه الترجمة أساسا إعادة صياغة مفردات رسالة ما في إطار نفس اللغة. ووفقا لهذه العملية، يمكن ترجمة الإشارات اللفظية بواسطة

إشارات أخرى في نفس اللغة، وهي تعتبر عملية أساسية نحو وضع نظرية وافية للمعنى، مثل عمليات تفسير القرآن الكريم.

النوع الثاني: "الترجمة من لغة إلى أخرى" (Interlingual translation) وتعني هذه الترجمة ترجمة الإشارات اللفظية لإحدى اللغات عن طريق الإشارات اللفظية للغة أخرى. وهذا هو النوع الذي نركز عليه نطاق بحثنا. وما يهم في هذا النوع من الترجمة ليس مجرد معادلة الرموز (بمعنى مقارنة الكلمات ببعضها) فحسب، بل تكافؤ رموز كلتا اللغتين وترتيبها. أي يجب معرفة معنى التعبير بأكمله.

النوع الثالث: "الترجمة من علامة إلى أخرى" (Intersemiotic translation) وتعني هذه الترجمة نقل رسالة من نوع معين من النظم الرمزية إلى نوع آخر دون أن تصاحبها إشارات لفظية، وبحيث يفهمها الجميع. ففي البحرية الأمريكية على سبيل المثال، يمكن تحويل رسالة لفظية إلى رسالة يتم إبلاغها بالأعلام، عن طريق رفع الأعلام المناسبة¹⁰.

وفي إطار "الترجمة من لغة إلى أخرى" يمكن التمييز بصفة عامة بين قسمين أساسيين:

1. الترجمة التحريرية (Written Translation)

وهي التي تتم كتابة. وعلى الرغم مما يعتبره الكثيرون من أنها أسهل نوعي الترجمة، إذ لا تتقيد بزمن معين يجب أن تتم خلاله، إلا أنها تعد في نفس الوقت من أكثر أنواع الترجمة صعوبة، حيث يجب على المترجم أن يلتزم التزاما دقيقا وتاماً بنفس أسلوب النص الأصلي، وإلا تعرض للانتقاد الشديد في حالة الوقوع في خطأ ما.

2. الترجمة الشفهية (Oral Interpretation)

وتتركز صعوبتها في أنها تتقيد بزمن معين، وهو الزمن الذي تقال فيه الرسالة الأصلية. إذ يبدأ دور المترجم بعد الانتهاء من إلقاء هذه الرسالة أو إثرائه. ولكنها لا تلتزم بنفس الدقة ومحاولة الالتزام بنفس أسلوب النص الأصلي، بل يكون على المترجم الاكتفاء بنقل فحوى أو محتوى هذه الرسالة فقط.

وكذلك تنقسم الترجمة الشفهية إلى عدة أنواع:

أولاً: الترجمة المنظورة (At-Sight Interpreting)، أو الترجمة بمجرد النظر. وتتم بأن يقرأ المترجم نص الرسالة المكتوبة باللغة المصدر (Source Language) بعينه، ثم يترجمها في عقله، ليبدأ بعد ذلك في ترجمتها إلى اللغة المنقول إليها (Target Language) بشفتيه.

ثانياً: الترجمة التتبعية (Consecutive Interpreting)، وتحدث بأن يكون هناك اجتماعاً بين مجموعتين تتحدث كل مجموعة بلغة مختلفة عن لغة المجموعة الأخرى. ويبدأ أحد أفراد المجموعة الأولى في إلقاء رسالة معينة، ثم ينقلها المترجم إلى لغة المجموعة الأخرى لكي ترد عليها المجموعة الأخيرة برسالة أخرى، ثم ينقلها المترجم إلى المجموعة الأولى ... وهكذا. ومن الصعوبات التي يجب التغلب عليها في الترجمة التتبعية، مشكلة الاستماع ثم

الفهم الجيد للنص من منظور اللغة المصدر نفسها. ولذلك فيجب العمل على تنشيط الذاكرة لاسترجاع أكبر قدر ممكن من الرسالة التي تم الاستماع إليها.

ثالثاً: الترجمة الفورية (Simultaneous Interpreting)، وتحدث في بعض المؤتمرات المحلية أو المؤتمرات الدولية، حيث يكون هناك متحدث أو مجموعة من المتحدثين بلغة أخرى عن لغة الحضور. ويبدأ المتحدث في إلقاء رسالته بلغته المصدر (Source Language) ليقوم المترجم بترجمتها في نفس الوقت إلى لغة الحضور (Target Language)¹¹.

وفي ختام هذه المقالة نستطيع القول أن الترجمة هي علم وفن وذوق، ولها عالمها الخاص ومجالها الواسع، وهي حقل من أهم حقول المعرفة التي لها جذورها الضاربة في التاريخ، كما أن لها اختصاصاتها وتشعباتها وتخصصاتها الدقيقة أيضاً. ولابد من التخصص بإحدى مجالاتها تخصصاً دقيقاً، وينبغي على المترجم أن يكون على اطلاع مستمر ليوكب تطورات الصياغة للمفردة والعبارة في مجال تخصصه، لاسيما إن كان في المجال الذي يقتضي إضفاء روح الجمالية على النص مع المحافظة على أمانة المعنى الصحيح للنص. وأخيراً ألتمس المختصين والخبراء في مجال الترجمة أن يقبلوا على تقديم مزيد من المعلومات عن هذا الموضوع الحيوي الهام الذي له علاقة مباشرة بالحياة العملية والأدبية.

المصادر والمراجع

- محمد عبد العظيم الزرقاني، "مناهل العرفان في علوم القرآن" مطبعة عيسى الياباني الحلبي وشركاه، 1943م، ص 111.
 جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين بيروت، يناير 1984م، ص 14.
 د. جمال عبد الناصر، "الترجمة والتعريب" مجلة الفيصل الثقافية، الرياض، أكتوبر 1996م، العدد 239، ص 2.
 عبد العليم السيد وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، "كتاب الترجمة، أصولها ومبادئها وتطبيقاتها" الرياض، 1988م.
 أبونعمان محمد عبد المنان خان، "مذكرة علم الترجمة العربية الفورية"، جامعة دكا، 1992م، ص 7.

<https://www.atinternational.org/forums/showthread.php?t=497>

نظرية الترجمة عند الجاحظ، موقع واي باك مشين 11 مايو 2009م.

أفرج محمد صوان، "ما هي الترجمة" موقع عالم أكاميديا، 2017/04/29م

د. يحيى معروف، دور الترجمة والمترجمين في حوار الحضارات، مجلة النور، 2009/07/14م

<https://hdoghmi.wordpress.com/about>

<https://hdoghmi.wordpress.com/about>

الدراسة الموضوعية لروايات أحلام مستغانمي



محمد ميكائيل

Abstract: Ahlam Mostaganemi, the daughter of Algeria, the writer, the novelist and the poet, who took up her country as an issue and a message in her literary works, has reached a considerable level in the field of novels in terms of quality, which discuss various themes, whether political, religious, social or cultural, but specifically they address the reality of Arab women and different issues faced by them, as well as the issue of love and sex, the issue of nation and politics along with the social issues. This paper will examine the novels of Ahlam Mustaganemi objectively. We find that Ahlam Mostaghanemi has emerged as a professional writer who has the ability to render details beautifully and accurately, expressing the reality of women with transparency and pain, refusing to be a mere object at the table of masculine lust. She fought in all her novels for freedom and rejected injustice in all its forms. She wants to give women the right to live outside the painful memory, away from a tale that has only the consequences of successive disappointments, and struggles against the male authority. We find the war against the male authority in her all works such as Fauza Al Hawas, Abir Sarir, Nisyan dot com and Al aswadyaliqobik. Therefore, some critics think that she has exaggerated the portrayal of women's pain and attack on the people

ملخص البحث: إن أحلام مستغانمي ابنة الجزائر الكاتبة والروائية والشاعرة، التي حملت وطنها في صفحات أديها قضية ورسالة، بلغت مرتبة لا بأس فيها من حيث جودة الإنتاج الروائي الذي يناقش مواضيع مختلفة سواء على الصعيد السياسي أم الديني أم الاجتماعي أم الثقافي، وإن كان بالتحديد يعالج واقع المرأة العربية وما يواجهها من أمور مختلفة وقضية الحب والجنس وقضية الوطن والسياسة والقضايا الاجتماعية، وسيتناول هذا البحث الموضوع المهم هو الدراسة الموضوعية لروايات أحلام مستغانمي. كما نرى أن أحلام مستغانمي ظهرت ككاتبة محترفة تتقن رسم التفاصيل بدقة وجمال، معبرة عن واقع الأنثى بكثير من الشفافية والوجع، رافضة أن تكون النساء مجرد جوارع على مائدة الشهوة الذكورية، إنها ناضلت في كل رواياتها مع بني قومها لنيل الحرية، ورفضت الظلم بكل أشكاله. إنها تريد أن تعطي المرأة الحق في أن تعيش خارج إطار الذكرى

المؤلة، وبعيدا عن حكاية لم يكن لها محصلة إلا الخيبات والأوضاع المتتالية، وهي تناضل ضد سلطة الرجل الذكورية. نجد الحرب ضد سلطة الرجل الذكورية في كل أعمالها من فوضى الحواس وعابرسبيل ونيسان دات كوم والأسود يليق بك، حتى نقدها بعض النقاد بأنها بالغت في تصوير آلام المرأة والهجوم على الناس. الكلمات المفتاحية:

الدراسة الموضوعية، السلطة الذكورية، آلام المرأة، الحب، الظلم، الوطن والسياسة، القضايا الاجتماعية.

مدخل البحث: يعاني المجتمع الجزائري كبقية المجتمعات العربية الأخرى من عدة مشاكل اجتماعية و سياسية و ثقافية و تعترض سبل تقدمه جملة من عوارض التخلف و مظاهر الظلم والقهر والغصب و الحيف، ومن جملة المشاكل والآفات المطروحة قضية المرأة التي هي قضية قديمة،¹ وكثيرا ماتتار الصورة تصل أحيانا حد التناقض فبينما ترى بعض الآراء ضرورة التزام المرأة بالبيت ولبس الحجاب، وترتفع أصوات تحررية أخرى لتمزيق ذلك الرداء الأسود و الانطلاق إلى العمل و المشاركة في الحياة العامة جنبا إلى جنب مع شقيقها الرجل، وبين هذين النقيضين ترتفع أصوات أخرى وسطية و اعتدالية تدعو إلى اتباع منهج وسط بين الانغلاق و التحرر، ولكل هذه الآراء و الأفكار أدلتها و حججها وأرضيتها الثقافية و خلفيتها التاريخية، كما أن لها مساحة كبيرة في ميدان الأدب كالشعر و القصة و الأقصوصة و المسرحية و الدراسات الأدبية الاجتماعية، و كما احتل الموضوع في الرواية أيضا، فعالجت الرواية الجزائرية أيضا هذا الجانب بدقة و تفصيل، و أحلام مستغانمي في طليعة أولئك الأدباء والروائيين الذين خاضوا في هذا المجال بكل جرأة و وقاحة حتى اتهم بعض الناس بإقامة المرأة ضد الرجل. حقا! و إذنجل فيما يخص بالمضمون الروائي السائد في روايات أحلام مستغانمي بشكل عام نقول يدور حول المرأة وأحلامها و آلامها و معاناتها وشقاوتها، إنها ناضلت لحرية المرأة من كل نوع من العبودية و السلطة الذكورية، و رفضت الظلم و القهر و الغصب، إنها قامت بالكفاح عن حقوق المرأة، و ركزت عنايتها على بيان مسائلها و قضاياها في روايتها، إنها عالجت هذه القضية في جميع رواياتها، إنها أثارت الحرب ضد اغتصاب المرأة واضطهادها و عبوديتها وقامت من أجل الدفاع عن حريتها وكرامتها وحقوقها، والرد على نزعات الرجل الشرقي السلبية في التعامل معها مع المحاولة الدائمة لتأكيد فكرة الحرية، وصورت أوضاع المرأة البائسة بشكل إنساني و وقع متمرد.

قضية المرأة في روايات أحلام:

ظهرت المرأة في روايات أحلام مستغانمي في صور مختلفة، كما ظهرت في صورة عشيقة غارقة في الحب و الهيام، كما نرى في هذا المقتبس يقول بطل الرواية لعشيقته تصورا لبيائه وجماله و بيان الحب وعشقتها

¹ لجنة التحرير: المونث والمذكر بين الحقوق والعلاقة الإشكالية، مجلة مواقف، مجلة فصلية، دار الساقي، بيروت، العدد: 73-74، ص 8.

"كنّا نفهم بعضنا بصمت متواطئ، كان حضورك يوقظ رجولتي، كان عطرك يستفزني، ويستدرجني إلى الجنون، وعيناك تجردّاني من سلاحي حتى عندما تمطران حزناً".¹

وفي موقع آخر تصف أحلام مستغاني بعض النساء الجزائريات المكبوتات والمحرومات: "تعلمت مع الزمن، أن أفكّ رموز نظرات النساء المحتشمات. والمبالغات في اللياقة، المفردات المؤدبة. ولكنني كنت أتجاهل نظرتهم ودعوتهم الصامته إلى الخطيئة". كما تستطرد في لغتها النسوية والوقوف على الكثير من التفاصيل التي تتباحثها النساء فيما بينهنّ، خاصة نظرة المجتمع لهنّ، فتقوم بسرد نظرة المجتمع الجزائري للمرأة، وكيفية معاملتها، فالمرأة الجزائرية محرومة من كثير من الأشياء في حال كانت منفردة لا تحتفي برجل، والتي هي فقط حكراً للرجال منفردين، كالذهاب إلى السينما لمشاهدة فيلم "ولكن كنت أعني تماماً أنني ارتكبت حماقة غير مضمونة العواقب، بنهاية بمفردي لمشاهدة فيلم في مدينة مثل قسنطينة لا ترتاد فيها النساء قاعات السينما".²

وكذلك تطرح أحلام نظرة المجتمع للمرأة المطلقة، وذلك تتجلى عندما تسأل "حياة" عشيقها عن الارتباط بها في حال طلاقها من زوجها الضابط: "لو انفصلت عنه... هل تزوجني؟"³، فيتذرع العشيق بعدم امتلاكه لشيء، وعدم قدرته على تلبية احتياجاتها الحياتية، فهي نظرة فيها من القساوة والعتاب واللوم، وقسوة المعاملة وقلة احترامها، مما يجعلها أكثر عرضة للذئاب البشرية بحكم فقد عذريتها وتستترها بكلمة مطلقة. كما أنها هاجمت مصطلح العنوسة الذي يزرع في عقول النساء الخوف والانقياد فتقول: "بإمكان فتاة أن تزوج وتنجب وتبقي رغم ذلك في أعماقها عانسا، وردة تتساقط أوراها في بيت الزوجية".⁴

كما تظهر المرأة في صورة الأم في روايات أحلام مستغاني كما هو يذكر حرمانه من فقدان حنان الأمومة وتجرحه مرارة اليتيم، فتورد لنا الكاتبة على لسانه مثلاً شعبياً يقول: "إن الذي مات أبوه لم يتيتم.. وحده الذي ماتت أمه يتيم"⁵ وهذا الطريق إنها تصورو واقع المرأة في الوطن العربي وما تعانيه من تهميش ولا مبالاة في حقها، وهي أن الأم هي مصدر الحنان والعطف والشفقة، لا عوض لها ولا بديل، "أما عوضها بألف امرأة أخرى... ولم أكبر"⁶ ولكن الأب العربي الظالم لا يمضي على وفاة زوجته أسبوع حتى يأتي بعروس صغيرة أخرى لتعويض الزوجة المتوفاة بدون اهتمام بذكرى الزوجة ولا بشعور الأبناء اليتامى، ولذا يجد خالد بديلاً لأمه المتوفاة ممثلاً في أحلام "فما إن مدت يدها لمصافحته حتى استوقفه مسوارها الذهبي وعادت به الذاكرة إلى معصم أمه الذي

¹. أحلام مستغاني: ذاكرة الجسد، ص 120.

². أحلام مستغاني: فوضى الحواس، ص 45.

³. أحلام مستغاني: فوضى الحواس، ص 320.

⁴. أحلام مستغاني: الأسود يليق بك، ص

⁵. أحلام مستغاني: ذاكرة الجسد، ص 270.

⁶. نفس المصدر، ص 329.

لم يفارقه هذا السوار فقط¹. ثم يتسع خيال خالد في تقريب أحلام من أمه فيقول لها "يا امرأة متنكرة في ثياب أمي في عطر أمي وفي خوفي أمي علي"² ثم يعود خالد إلى الواقع وتتجلى له الحقيقة فيقول: "أنت الفتاة التي كان يمكن أن تكون إبنتي والتي أصبحت دون أن تدري أمي"³.

كما تظهر المرأة في روايات أحلام مستغانمي متمردة تنمرد على التقاليد والعادات المتبعة في المجتمع، تنثور على المعايير والقوانين الاجتماعية والثقافية وتنادي للحرية الكاملة في الدين والأدب والسياسة، كما نرى بطلة رواية "فوضى الحواس" تنمرد على الأعراف والتقاليد، فهي تسكن مدينة محافظة ومع ذلك تغامر بارتياح المقاهي وقاعات السينما وتشتري علب السجائر لعشيقها وتسافر عدة مرات للقائه في مدينة أخرى لتحقيق معه ما لم تستطع تحقيقه مع زوجها، تكتشف البطلة في النهاية أنها عندما ذهبت إلى السينما في بداية مغامرتها كانت تجلس إلى جوار رجل اعتقدت أنه الشخص الذي تحب، يقول نزيه أبو نضال في هذا الصدد "أن الرواية تشهد حضورا كثيفا لجنس الرجال في مقابل غياب الجنس المؤنث، إن دور البطولة الرئيسي شبه المطلق للرجل، هكذا يقول التاريخ الاجتماعي للجزائر، أما المرأة فظل دورها هامشيا، وبهذا فإن "حياة" تلعب نسبيا دور النموذج الواقعي لدور المرأة في الزمن الاجتماعي للرواية، وهذا ما يعطي سببا إضافيا لخالد بأن يقوم بدور الراوي الرئيسي"⁴.

قد وصلت أحلام إلى ذروتها في ثورتها وتمردتها ضد السلطة الذكورية في رواية "نسيان دات كوم" التي كتبت فيها أن الكتاب خصيصا للنساء ويحظر بيع هذا الكتاب للرجال "دعت فيها النساء إلى نسيان الماضي وذاكراتها وحبها وهمومها ومشاكلها ومأساتها مع التي تعانينها لدى الرجل الذي يستغلها ويسبب لها الكثير من الصعاب في حياتها، لأن بالنسيان ترتاح المرأة كثيرا من همومها ومعاناتها وشقاوتها، وهي تعتقد أن تخلي الرجل عن المرأة ونكرانه لجمالها وحبها له ليس نهاية للعالم، "ما النسيان سوى قلب صفحة من كتاب العمر قد يبدو الأمر سهلا، ما دمت لا تستطيع اقتلاعها ستظل تعثر عليها بين كل فصل من فصول حياتك"⁵ إنها تقول أن الرجل لا يحدث سوى الألم والكآبة والدمار عند كل تجربة وحب فلذلك يجب نفيه عن الحياة مهما ترك من بصمات و آثار لديها، وهي تصف تلك الأشياء التي تركها بالفاجعة وتصف نسيانه بالمعركة "أكبر فاجعة عند ما تدخلين معركة النسيان اكتشافك أن حواسك خانتك، وأن عليك إن شئت إخراج هذا "الجن العاطفي" من جسدك أن تلغي الحرب على نفسك أن تقولي "لا" بملء صوتك لحاسة تذكرك بعطره وأخرى بصوته وأخرى

¹ نفس المصدر، ص 53.

² نفس المصدر، ص 118.

³ نفس المصدر، ص 27.

⁴ نبيلة فايز السيوف: قضايا المرأة بين الصمت والكلام في الرواية النسوية العربية، ص 114.

⁵ نسيان دات كوم، ص 19.

بمذاق قبلته وأخرى بلمسته وأخرى بطلته، بمشيته، بجلسته، بثيابه¹ تقول في مكان آخر "إنك باختصار تخوضين حرباً عالمية بمفردك ضد جيوش قوات الحلفاء مجتمعة"² ليس هناك أي رجل كما تعتقد أحلام يستحق حب الأنثى، وعلى المرأة أن تفكر بحب الرجل مرات وكرات "ولا تصدقي الأساطير... مؤلفوها رجال"³ فلذلك كوني أول من يهرب من رجل كهذا، حتى لا تمنحيه فرصة هدر وقتك أو إهانتك.. اقلمي قانون الذكورة، كوني من بينه وبالانسحاب"⁴ كما حثت أحلام كل امرأة على عدم الوفاء للرجل مهما بلغ أعلى المراتب ومهما مارس ألامعيبه البطولية والمقالية ومهما تفرد بالمزايا والسمات والخصال المحموده "الوفاء مرض عضال، لم يعد يصيب في أيامنا إلا الكلاب والغبيات من النساء".⁵

هاجمت أحلام أيضاً على الرجال بصور مختلفة في الرواية كما هاجمت في الروايات الأخرى، فهي تقول "ثمة رجال لا تكسبهم إلا بالخسارة عندما ستدسينه حقاً، سيتذكرك ذلك أننا لا ننس خسارتنا"⁶ وفي موضع آخر تقول: "من الرجال من لا يعلم أن الكلمات كالرصاصة لا تسترد.. وقد يفرغ فيك في لحظة غضب ذخيرته من الكلام الذي يفاجئك بأذاه"⁷

وكذلك واصلت أحلام مستغاني حربها ضد الرجل في روايتها "الأسود يليق بك" في هذه الرواية إنها دعت المرأة إلى أن تحب نفسها وحياتها أكثر من أي شيء آخر، ومن أي رجل يحاول أن يمتلكها، إنها تستهل الرواية بقولها "كبيانو أنيق مغلق على موسيقاه، منغلق هو على سره"⁸ لترصد تكتم رجل عن حقيقة انسحاب امرأة من حياته، وأرادت أحلام عبر هذا التشبيه تصوير العوالم النفسية الداخلية للرجل الشرقي "الذي لا يهزم" فذكوريته المتضخمة بفعل ثرواته المتركمة تمنعه من أن يتقبل فكرة خسارة أمام امرأة فضلت نجاحها عليه وعلى هداياه الثمينة.

وقد اختارت أحلام عنواناً لروايتها "الأسود يليق بك" كمحاكاة تهكمية سافرة من عقلية الرجل العربي الذي لا يتحمل أن يرى "إمرأته" حبيبة كانت أم زوجة تحت دائرة الضوء، فيحاول أن يركبها في الظل، حتى يبقى وحده الحاضر الأقوى في محيطه.

وقد نرى المرأة في روايات أحلام مستغاني في صورة مأكرة وغشاشة وكذابة ومراوغة ومحتالة تتظاهر

1. نفس المصدر، ص 206.

2. نفس المصدر، ص 207.

3. نفس المصدر، ص 135.

4. نفس المصدر، ص 174.

5. نفس المصدر، ص 36.

6. نفس المصدر، ص 66.

7. نفس المصدر، ص 248.

8. أسود يليق بك، ص 345.

بالوقار والتمنع في حين أنها ترغب في الوصال، كما هي تقول في موضع: "سيكون من الصعب أن ألتقي بك في النهار، فليس من المعقول أن أترك ناصرواً ما وحدها، لكنني عثرت على حيلة تمكّني من أقضي ليلة الغد معك"¹ وفي موضع آخر من نفس الرواية هي تقول: "كنت أكره امرأة تصرخ لحظة الحب، ففي كل صراخ مراوغة لا تخلو من نوايا الغش النسائي".²

وكذلك تبدو المرأة في روايات أحلام كأديبة وكاتبة، لأن الكتابة يجد فيها الفنان متنفساً لأوجاعه الداخلية التي يعيشها بشكل عميق فيصوغها في شكل خطاب يحاور من خلاله العالم الخارجي ويرفقه به عن مكبوتاته وآهاته والمرأة من خلال مختلف أشكال كتاباتها الجسدية والرمزية تستدعي المكبوت المتراكم عبر الزمن لتعلنه في صراعها مع الرجل خصوصاً حين تقترب هذه الكتابة مع الحركات النسوية،³ فصراع المرأة مع الرجل أصبح حركة روحية مكررة تتعالق فيها المسافة بين "أنا" المرأة المقهورة و"الآخر" الرجل باعتباره من مسببات مكبوتها المتراكم، وأن الكلمات حرة منطلقاً نائرة مجلجلة بالحقيقة على الرغم من مرارتها، كما جاء على لسان خالد "ها هو ذا القلم إذن... الأكثر بوحاً وأكثر جرحاً، ها هو الذي لا يتقن المراوغة، ولا يعرف كيف توضع الظلال على الأشياء، ولا كيف ترش الألوان على الجرح المعروض للفرجة".⁴ ومرة تقول واصفة صفة كتابتها: "أنا امرأة مجنونة، وأزداد جنونا في حضرة الورق"⁵

إن الكتابة بالنسبة إلى أحلام فعل خلاص، هي مساحة لحرية المرأة في وجه من يهيمشها ويرتضي عدم أهليتها، بل رداً على القهر الوجودي العالم الذي ظلت تمارسه السلطة الذكورية واختارت لنفسها زاوية جديدة، واصطلح عليها "الأدب النسوي" أو "الأدب الأنثوي"، وبهذا إنها تحدث السلطة الذكورية على اللغة والأدب والدين والسياسة.

وقد أثارت أحلام مستغانمي القضايا الأخرى المتعلقة بالمرأة كما هي تبين مدى معاناة المرأة عندما تمشي في الشارع منفردة، فالمشكلة الأكبر التي تواجه المرأة في حالة كهذه هي نظرات الرجال التي تنهال عليها من كل حَدَبٍ وَصَوْبٍ كالسهم، أو التحرش الذي قد تتعرض له، فتصورها الكاتبة بلغتها الخاصة قائلة: "للتجد في انتظارها جيشاً من الرجال الذين لا شغل لهم سوى التحرش بأنثى، على قدر كافٍ من الحرية أو الجنون".⁶ وبهذه اللغة تحاول الكاتبة إلقاء الضوء على معاناة المرأة، من خلال تصوير المرأة بأنها فريسة للرجال

1. عابر سيرير، ص 199.

2. نفس المصدر، ص 87.

3. محمد نور الدين: آفاية: البوية والاختلاف، ص 35.

4. ذاكرة الجسد، ص 10.

5. آسيا موساوي: بشير مقي، مقالة أحلام مستغانمي لا أغفر للذين نهبوا الجزائر، مجلة الاختلاف، العدد: 3، الجزائر، 2003، ص 30.

6. أحلام مستغانمي: فوضى الجواس، ص 45.

ولو حتى بمجرد نظرة أو ما شابه ذلك.

وفي رواية "فوضى الحواس" نلاحظ الكثير من المحاور التي تلجأ إليها الكاتبة بغية الدخول في تفاصيل غالباً ما يكون سردها مختصاً بالمرأة، ونجد في بداية الرواية سمة من سمات المرأة وهي كثرة الأسئلة، فنلاحظ أن كثرة أسئلة المرأة هونابع من فضولها وحياها في التعرف على كافة التفاصيل التي تتعلق في موضوع معين لها طرف فيه، أو هي الأنانية التي تتملكها في سبيل الإبقاء على الرجل ملكاً لها ومعرفة كافة أفكاره وتصورات. وفي حوار آخر يتضح إكثار المرأة من الأسئلة عندما يردّ الرجل على "حياة" قائلاً "كم يلزمني من الصمت يا سيدتي.. لأردّ على أسئلتك".¹

ثم تلج الكاتبة في خفايا المرأة ومقارنتها بين الحبيب غير الزوج والزوج، ومدى توافر عنصر المفاجأة مع كلا الشخصين، ومدى الضياع الذي تعاني منه بعض النساء خلال مسيرة الزواج، وتريد أن تلفت الانتباه لما يجول بخاطر المرأة من أفكار حول العلاقة الغرامية والعلاقة الزوجية، فتقوم بعقد المقارنة بين مدى الرتبة التي تعيشها المرأة في حال ما إذا امتدت حياتها الزوجية، وأصبحت تلك الحياة عبارة عن خدمة الزوج والأبناء والقيام على الشؤون الداخلية للبيت، وبين ما تكتشفه المرأة في حال إنشاء علاقات غرامية متجددة تحمل لها الكثير من المفاجآت التي تغير من نمط حياتها وتجعلها أكثر معرفة بالرجال.

وفي سياق العلاقة الزوجية للمرأة العربية تبدي الكاتبة مدى تعلق المرأة العربية بزوجها وتنصيبه ولياً لأمرها والقائد الوحيد لها، فهي تريد أن تبرز بأن المرأة العربية أسيرة التقاليد، ولكنها كذلك تستغل هذه التقاليد لمصلحتها ساعة تريد، إضافة إلى إظهار المرأة العربية كضحية للرجال، ولكنها الضحية التي تستلذ ألمها وتستعذب معاناتها وتستفيد من صورتها هذه لتتصرف إما إلى الكسل والانتكالية أو إلى استدرا العطف وكسب التأييد، فالكاتبة تشير إلى بدايات علاقة "حياة" بزوجها الضابط العسكري قائلة: "إنني امضي نحو عبوديتي بمشيئتي، ومن الأرجح.. دون انتباه.. سعيدة بسكينتي أو استكانتي إليه، تاركة له الدور الأجل، دور الرجولة التي تأمر، وتقرر، وتطالب، وتحمي، وتدفع، وتتمادي، كنت أجد في تصرفه شيئاً من الأبوة..."²

ورغم كل ما تقدم من إبراز الصفات الأنثوية والتي جاءت اللغة النسوية للكاتبة متجاوبة معها إلى حد بعيد، تحاول الكاتبة جعل "حياة" تماشي الرجال بتصرفاتهم وكأنه خروج على المؤلف، ولكن بلغة أنثوية كذلك، فعندما تدخل "حياة" إلى المقهى للبحث عن ذاك الرجل الذي رآته في السينما، وأثناء جلوسها تقول "أثناء تفكيري، جاء النادل وسألني ماذا أريد، لا أدري لماذا أجبت على غير عاداتي "قهوة" ربما لأنسيه أنوثتي، ما

¹ المصدر السابق، ص 81.

² فوضى الحواس، ص 38.

دام الرجال يطلبون عادةً القهوة".¹

ومع تحوّل الكاتبة لجعل "حياة" تماشي الرجال ولوقليلاً في المكان الذي غالباً يؤمّه الرجال أكثر من النساء، تحاول الكاتبة الانسحاب والرجوع لإبراز كينونة الأنثى وحفاظها على كل ما لديها، ابتداءً من حركات جسدها وانتهاءً بصوتها الذي تُعورف عليه عند البعض بأنه عورة، فتري "حياة" تحاول قدر الإمكان الحفاظ على مكتسباتها الخلقية دونما إشعار الآخرين بما تحتفظ به من أنوثة ولو على حساب ما تشتهي من بعض الأمور البسيطة التي لا يعاب عليها التصرف الرصين في مثل هذه المواقف، فتري الكاتبة تختزل معنى الأنوثة بلغة نسوية توجي بالنظرة الاجتماعية للمرأة التي ترفع صوتها وما تلاقيه من تأنيب خاصة عند فئة المتدينين " انتهت لعدم وجود السكرجواره – فنجان القهوة- كما هي العادة، رفعت يدي لأنادي، لكني عدلت، فقد كان بعيداً، ولم أشأ أن أرفع صوتي لأقول كلاماً تافهاً مثل "يا خويا...يعيشك..جيبلي سكريّة". شعرت أن صمتي أجمل من أن أكسره لأقول شيئاً لنادل، خاصة أن عواقب ما سأقوله قد لا تكون محمودة، حسب ما توجي به لحيته".²

فالكاتبة تحاول من خلال لغتها النسوية إبراز الدور الذي تعكسه تصرفات المرأة في الأماكن العامة، خاصة إذا ما كان أغلب مرتاديه من الرجال، فهي تحاول قدر الإمكان أن يكون كل تصرف محسوب بدقة فلكية، وكأنها متأكدة من أن العيون تلاحقها في كل ما تقوم به من حركات، وخاصة إذا ما ارتفع صوتها العذب، وهذا يوجي بنوع من عدم ارتياح المرأة في معظم الأماكن العامة، وتحديدًا إذا لم يكن برفقتها رجل.

وبعد أن وصفت الكاتبة حال المرأة في المجتمع الجزائري ونظرة ذلك المجتمع إليها، ها هي الكاتبة توغل في افتتاح الرجل بالمرأة، عندما تلتقي "حياة" بالشخص الذي كانت تبحث عنه في المقهى ويخرجان سوياً إلى مقهى آخر، فتراه يبتدئ الكلام معها بالتغزل، وهنا تبرز اللغة النسوية للكاتبة من خلال التركيز على بعض جماليات المرأة الظاهرة، فتري الرجل يقول: "شيء فيك تغير منذ ذلك الوقت، ربما تسريحتك.. أحبك بشعرك الطويل هذا، أتدري.. كدت لا أتعرف إليك لولا ثوبك الأسود".³

بعد ذلك ترجع الكاتبة ومن خلال لغة نسوية محددة المعالم لتبرز عدم سيطرة المرأة أو فرض إرادتها حتى على السرير مع زوجها، فهي مسلوبة الإرادة، وذلك عندما تقوم "حياة" بالحديث عن المعاشرة بينها وبين زوجها الضابط "دوماً، كان ضابطاً يحب الانتصارات السريعة حتى في سرير، وكنت أنثى تحب الهزائم الجميلة".⁴

¹ نفس المصدر، 67.

² المصدر السابق، 68-69.

³ نفس المصدر، ص 75.

⁴ نفس المصدر، ص 97.

من كل ما تقدم تبين دور اللغة النسوية عند الكاتبة في إبراز الكثير من المسائل النسوية ومناقشتها، ولكن عند ما يتعلق الأمر في مكان تتردد عليه النساء ليستعرضن أنفسهن ومقتنياتهن النسوية، تكون اللغة النسوية أكثر التصاقاً وقرباً في سرد الأحداث المتعلقة بخصوصية النساء في ذلك المكان، وهذا المكان هو الحمام الجماعي. لم يكن حظ المرأة التقليدية في قسنطينة كحظ المرأة العصرية أو الغربية التي تمارس نشاطها وتطلعاتها خارج البيت كالأندية النسائية وأماكن اللياقة البدنية أو أماكن الترفيه.

لذلك كان الحمام هو المكان الوحيد الذي يمكن للمرأة أن تلتقي فيه وتتعرف على نساء جدد، فهو مكان تخطيب البنات، والحديث في الأمور الخاصة والعامة على حد سواء، ففيه تتداول النساء أخبار المجتمع من حولهن، وفيه يستعرضن أدواتهن وأنفسهن "الحمام هو المكان الذي يمكن أن تلتقي فيه بكل نساء المدينة. ومثلن يمكنها أن تثرثر وتحكي ما جدَّ في حياتها، وتباهي بمشترياتها الجديدة، وصيغتها، وثيابها التي لم يرها رجل".¹

وهنا تحشد الكاتبة لغتها النسوية لتركز على خصوصية المرأة في تعاملها مع مقتنيات الأنثوية التي تفخر بها "تماماً كما كانت في زمنٍ مضى تستعرض أو اني الحمام الفاخرة، من طاسة فضيَّة، ومشط من العاج والفضة بأسنان دقيقة، ومناشف فاخرة ومطرزة، و"صابون ريحة" مستورة، وعطور، ومستحضرات لإزالة الشعر أو صبغة، وكثير من التفاصيل النسائية التي تعودت أن أراها في طفولتي مجموعة في سطل فاخر من الفضة المنقوشة موجود في ركن من الخزانة، جاهز للاستعراض الأسبوعي".²

وهنا وبالتحديد في هذا المكان الذي تتجمع فيه النسوة شبه عاريات تسعف اللغة النسوية الكاتبة بحيث تقوم باستعراض مجمل الأحداث أو الظواهر التي يمكن أن تقع في الحمام، كما تبدي عدم حياءٍ لمثل هذه الأمكنة البخارية المائية المؤتثة بأجساد نساء عاريات، وكلما نتقدم في الوصف، تطرح الكاتبة الأسئلة ذات الطابع التأملي من جديد، فتتداعى بها الأفكار عن الأنوثة.

ولفرط ما يبرزه هذا المكان من أنوثة المرأة، تستطرد الكاتبة بلغتها النسوية مسيرة وصف هذا المكان، فتعتبر الحمام المكان الوحيد في المدينة "الذي تنهك فيه حرمة الجسد وحياءه، تسلط عليه الأضواء، والنظرات الفضولية للنساء، تتالى عليه الأيدي حكاً ودلكاً وتشطيفاً ساكبةً عليه كميات من الماء، وكأنها تريد أن تطهره من أنوثته".³

ولا تقف الكاتبة عند هذا الحد من الوصف الدقيق للحمام الذي لا يستطيع أحد سوى المرأة أن تنفرد

¹. المصدر السابق، ص 229.

². المصدر السابق، 97.

³. نفس المصدر، ص 232.

بالحديث عنه أو عمن يرتاده، فلغتها تساعدها على ذلك، فالحمام هو المكان الذي ترتاده الجميلة والقبیحة، الشريفة والعاهرة والبائسة، وبهذه النبذة الساخرة تصور الكاتبة بلغتها النسوية بعض الأجساد المشوهة الأنوثة.. المترهلة، لتمدح نَعَم العتمة "و أفهم أن يكون الله بحكمته تعالى قد خلق العتمة -أيضاً- ليمنح كل المخلوقات حق ممارسة الحب في الظلام".¹

فالرواية تنتقد عدم اهتمام بعض النساء بأجسادهن منكراً عليهن ذلك، وبالمقابل محفزةً لهن على الحفاظ على المقومات الجسدية التي يجب على المرأة أن تتمتع بها لتجذب زوجها إليها.²

ولا تكاد أحلام مستغانمي تنتهي من وصف عالم النساء في أماكنهن الخاصة بلغة أقرب ما تكون كرداء يلتصق بأجسادهن الأنثوية، ترجع للحديث عما يجول في خواطر النساء ونفوسهن، وهذه المرة مع الغيرة التي تسيطر على المرأة، خاصةً إذا ما كان الأمر يتعلق "بالضرة" ف"حياة" هي الزوجة الثانية للضابط ""طبعاً لم يكن سهلاً أن أقبّل فكرة مقاسمة رجل مع امرأة أخرى".³

وتبقى الوسواس تتناوب على المرأة "حياة" لشدة رغبتها بامتلاك زوجها هي وحدها فقط "كثيراً ما سألت نفسي، إن كنت أغار من هذه المرأة -الضرة- التي من الأرجح أن يكون زوجي الآن في بيتها، يقاسمها السرير".⁴

على كل حال إن قضية المرأة هي قضية أساسية مهمة التي أثارها أحلام مستغانمي وناضلت من أجل حقوقها وكرامتها وشرفها ودافعت عنها الظلم والقهر والحيث في كل رواية من رواياتها.

قضية الحب والجنس في روايات أحلام:

ترتبط قضية الحب والجنس بارتباط وثيق مع قضية المرأة التي تناولتها أحلام مستغانمي في رواياتها بنصيب أوفر وأكبر بداية من روايتها الأولى "ذاكرة الجسد" انتهاءً إلى روايتها الأخيرة "الأسود يليق بك" حتى إنها تستهل روايتها الأولى بكلمة الحب عندما تقول:

ما زلت أذكر قولك ذات يوم:

الحب هو ما حدث بيننا،

والأدب هو كل ما لم يحدث،

يمكنني اليوم، بعد ما انتهى كل شيء أن أقول:

هنيئاً للأدب على فجيعتنا إذن فما أكبر مساحة ما لم يحدث، إنها تصلح اليوم الأكثر من كتاب، وهنيئاً

¹. نفس المصدر، ص 233.

². المصدر السابق، ص 233.

³. نفس المصدر، ص 310.

⁴. نفس المصدر، ص 311.

للحب أيضا.¹

وفي موضع آخر يخاطب خالد بن طوبال بطل الرواية حبيبها حياة بلغة شاعرية موحية وعاطفية عميقة:

يا ياسمينة تفتحت على عجل... عطرا أقل حبيبتى... عطرا أقل

لم أكن أعرف أن للذاكرة عطرا أيضا... هو عطر الوطن²

رواياتها كلها تبشر بالحب والهيام والعشق والمحبة العميقة في كل طيات صفحاتها، كما أن روايتها الأولى "ذاكرة الجسد" تحكي قصة الحب بين شاب جزائري يعيش في فرنسا ويمتهن الرسم وبين فتاة تدعى "حياة"، وتسير الرواية على خطين متوازيين، هما قصة الحب بين خالد وحياة وتاريخ الجزائر والوطن العربي من عيون مغتربة، وتحمل الرواية كما كبيرا من مشاعر الحنين والأسى والدفن على الوطن البعيد في قالب روائي شديد الحرفية ولغة عربية وتحمل قدرا كبيرا من الجمال لدرجة تأسرب محبي اللغة العربية، وكذلك الجزء الثاني الأخير من ثلاثيتها "فوضى الحواس" و"عابر سرير" يعد استمرارا للرواية الأولى من حيث التعمق في قصة حب خيالية مع بطل روايتها، كما روايتها الأخيرة أيضا تحكي قصة حب بين فتاة جزائرية معلمة هالة الوافي وبين رجل أعمال متربع على إمبراطورية مع الثراء يملؤه الغرور ويقيم في البرازيل ويدير سلسلة من المطاعم في أنحاء العالم، فيحدث بينهما الحب عبر على شاشة التلفزيون في مقابلة تلفزيونية.

أما الجنس هو جزء لا يتجزأ من روايات أحلام مستغانمي حتى أن البعض يذهب إلى أنها بالغت في استخدام الجنس في روايتها "عابر سرير" لإغناء محتوى فقير في الأصل لعنصر الإبداع الروائي، وبعض الأحيان بلغت درجة هذه المبالغة إلى درجة الوصف المفتوح والشفافية ونرى ملامح هذا البلوغ خاصة في ثلاثيتها بكل وضوح وأناقة، كما هي تقول في موضع: "كنت أريد أن أقول لك شيئا لم أعد أذكره. ولكن قبل أن أقول أية كلمة، كانت شفتاي قد سبقتا، وراحتا تلتهمان شفتيك في قبلة محمومة مفاجئة. وكانت ذراعي الوحيدة، تحيط بك كحزام، وتحولك في ضمة واحدة، إلى قطعة مني. انتفضت قليلاً بين يدي كسمكة، خرجت لتوها من البحر، ثم استسلمت إليّ. كان شعرك الطويل الحالك، ينفرط فجأة على كتفك شالاً غجرياً أسود، ويوقظ رغبة قديمة، لإمساكك منه، بشراصة العشق الممنوع. بينما راحت شفتاي، تبحثان عن طريقة تتركان بها توقيعي على شفتيك المرسومتين مسبقاً للحب...³ وتقول في موضع آخر "كنّا نفهم بعضنا بصمت متواطئ، كان حضورك يوقظ رجولتي، كان عطرك يستفزني ويستدرجني إلى الجنون. وعيناك كانت تجرداني من سلاحي حتى

¹. ذاكرة الجسد، ص 7.

². نفس المصدر، ص 85.

³. ذاكرة الجسد، ص 172.

عندما تمطران حزناً¹. وهذا الصدد يقول نزار قباني: "إن فوضى الحواس رواية تكشف العمق الوجداني عند المرأة وملامسة شفافاة لأنوثة المرأة تداعب صهيلها الداخلي، وخيول شوقها العنيفة، وتفصح رغباتها المستترة"². وقال الأديب سلوم درغام سلوم "وكانت معظم أفكار روايتها عن حببها الذي أيقظ فيها رغباتها المستترة وأفلت العنان لخيول شوقها الوحشية، وأشعل كل شيء فيها"³ وتقول أحلام مستغاني بنفسها: "إن الحب والموت يغذيان وحدهما كل الأدب العالمي، فخارج هذين الموضوعين لا يوجد شيء يستحق الكتابة"⁴. ولكن أحلام مستغاني لا تكتب الجنس بكل شفافية وأناقة من أجل المتعة والاستلذاذ والفرحة ولا من أجل إثارة الجنس والحيوانية بل هي تكتب كما هي تحس وتدرك وترى في المجتمع، هكذا الكتابة عن الجنس عندها فقط موضوع من الموضوعات التي تستحق أن تكتب عنها كما هي تقول: "أنا لا أكتب الجنس من أجل الإثارة، بل أكتب كما أتكم وأحس... أنا كاتبة الرغبة ولست كاتبة المتعة، كل كتاباتي قائمة على الرغبة، المتعة شيء آخر لا يعني لأن المتعة قتل للأدب"⁵.

وكذلك تصرّح أحلام مستغاني كتابتها عن الجنس في حوار لها نشر في مجلة الاختلاف عام 2003م؛ أنّها عندما تكتب عن الجنس، لا تفكر لا بالاستفزاز ولا بالإثارة، تكتب كما تتكلم وكما تحس. كما أنّها تعتقد أنّ الحياء مثله مثل البذاءة يسيء للأدب والذي يكتب أدبا بذيئاً لا يكتب أدبا، والذي يكتب أدبا خجولاً أيضاً لا يكتب أدبا، لأنّ الجنس جزء من حياتنا اليومية ونكون أغبياء إذا ألغيناه.⁶

قضية الوطن والسياسة:

إن قضية الوطن والسياسة والهيم الجزائري نال حيزاً واسعاً في أعمال أحلام مستغاني، إنّها استطاعت الدخول في متاهات السياسة في رواياتها من باب الثورة الجزائرية والنضال الجزائري الواسع، إضافة لاضطرابات الجزائر الشهيرة والإطاحة بجوانبها متعمدة بذلك على تاريخ والدها النضالي دون إغفال ذكره معظم ما كتبت، إنّها صورت الثورة الجزائرية والحرب ضد الاستعمار الفرنسي، كما صورت هموم الشعب الجزائري وآلامه وأماله كما مدحت الرئيس "أحمد بن بلة"، كما تضمنت روايتها "ذاكرة الجسد" جزءاً مهماً من أوضاع الشعب الجزائري إبان الاحتلال الفرنسي لها والذي دام 180 عاماً، ومعاناته العميقة بعد الاحتلال، وتفرد قيادته العسكرية الانتهازية بالسلطة، والاهتمام فقط بمصالحهم الذاتية الخاصة، وصراعاتهم فيما

¹ نفس المصدر، ص 120.

² مقال "فلسفة اللغة الجديدة في رواية "فوضى الحواس"، يمكن التصفح عليه من العنوان التالي: <http://kfarbou-magazine.com/issue/7749>

³ المرجع السابق.

⁴ الكتابة الروائية النسوية العربية- بين سلطة المرجع وحرية المتخيل " بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه، إعداد: بايزيد فطيمة الزهرة، ص 115.

⁵ آسيا موساوي-بشير مفتي- أحلام مستغاني: لا أغفر للذين نهبوا الجزائر، مجلة الاختلاف، العدد: 3، الجزائر 2003م، ص 30، نقلاً عن الكتاب "الأنوثة في الرواية

الجزائرية المعاصرة مقاربة سيميائية رواية ذاكر الجسد أنموذجاً" للخضر لمياء، ص 28-29.

⁶ مجلة الاختلاف، العدد: 3، رابطة كتاب الاختلاف، الجزائر 2003م، ص 29.

بينهم، وكذلك نجد ملامح قصة السياسة الجزائرية وقصة نضال الشعب الجزائري ضد الاستعمار في معظم رواياتها.

كما يقول رشيد الإدريسي بصدد الروايتين الأوليين للكاتبة بـ "أن الروايتين تقومان على القضايا الكبرى التي تهم المواطن العربي، وعلى إدانة بعض المواطنين الذين ركبوا موجة الثورة، فاستغلوا الوطن ونهبوا ثرواته فنشأت حالة فوضى كان من عواقبها مقتل الرئيس محمد بوضياف الذي أهدته المؤلفة الجزء الثاني من روايتها، يقول خالد مخاطبا أحلام "كان جرحي واضحاً وجرحك خفياً في الأعماق، لقد بتروا ذراعي وبتروا طفولتك، اقتتلوا من جسدي عضوا وأخذوا من أحضانك أبا.. كنا أشلاء حرب.. وتمثالين محطمين داخل أثواب أنيقة لا غير¹.."².

وتتفق مع رشيد الإدريسي بثينة شعبان إذ ترى أن أهمية الروايتين تكمن في قدرة الكاتبة على تشريح وضع عربي ردي وتطرح الخيال الفردي والشخصي بديلاً عن الخيار السياسي الجماعي، وهذه الرؤية الثاقبة هي ما يحتاجه جيل عربي في وطن عربي تتنازع الخلافات والعداءات والحساسيات وقصر البصر والبصيرة، إن رواية "ذاكرة الجسد" هي محاكمة وحوار عن فعل الكتابة، فبعد خسارة القضايا الكبرى كلها تبقى الكتابة هي الأهم، الألق اليوم هي ألق الكتابة والإبداع فقط³.

ويضيف أبو نضال أن الكاتبة في هذه الرواية "ذاكرة الجسد" تعلن الدور الوظيفي للإبداع الروائي في المعركة البشعة التي تعيشها الجزائر هذه الأيام لكي نستعيد جميعنا ذاكرتنا الثورية النبيلة ونهض من جديد لكي نرحم جسد الجزائر وروح الأمة، والرواية/الذاكرة تتحول إلى سلاح لحماية روح الإنسان وترميم جسده ووطنه⁴.

صورت أحلام مستغاني في رواياتها صورة الوطن ما انفجرت فيه ملامح العنف والشدة والإرهاب وتتحسر على ما إلى وطنه كما يقول حاج بن سراي "تمثل "حياة" الشخصية الرئيسية في رواية ذاكر الجسد، وكان رمزاً عن الوطن وهنا الراوي يتحسر على ما إليه وطنه، يتحسر على جماله وعلى دفئه وتجسد ذلك في صورة "حياة" فالوطن ذلك المعنى الجميل المحيل على الأمان والاستقرار ورغد العيش، أصبح في بعض مراحل تاريخه واقعا مرأليما وجحيما، وقوده من عشقه من مخلصيه أبنائه صور المجازر والفوضى التي عمت أرجاء البلاد والموت اللاهث بحثا عن أرواح الأبرياء⁵.

نقول إن هذه الأقوال وإن قيلت خاصة عن ثلاثية أحلام مستغاني ولكنها تصدق عن جميع رواياتها

¹ ذاكر الجسد، ص 102.

² رشيد الإدريسي: روايتا أحلام مستغاني، لذة التفاصيل المستترة، مجلة الآداب، 10/94، أيلول وتشرين أول، ص 49.

³ شعبان بثينة: نفس المرجع، ص 236.

⁴ نزيه أبونضال: أحلام مستغاني في رواية المرأة العربية، نقلا عن الكتاب "فضايا المرأة بين الصمت والكلام في الرواية النسوية العربية" لنائلة فايز السيوف، ص 113.

⁵ الحاج بن سراي: جدلية الوطن والمنفى في رواية عابر سرير لأحلام مستغاني، أعمال الملتقى الوطني الثاني في الأدب الجزائري، ص 229.

لأننا نرى قضية الوطن والسياسة والهم العربي كله منتشرة في طيات صفحات جميع رواياتها كما نرى ذلك في رواية نسيان دات كوم وفي رواية الأسود يليق بك التي هي مسكونة بالهم الانساني العربي في الجزائر وفي لبنان وفي سوريا وفي العراق... إلى جانب المشكلة العاطفية الاساسية التي تطرحها من خلال علاقة حب تربط بين فتاة آتية من مروانة من جبال الاوراس وشاب عربي مغترب في البرازيل... ومواقفها الانسانية المشرفة في الواقع معروفة فهي من الكتاب الذين وقفوا مع الشعوب المظلومة المطالبة بكرامتها وحريتها من الطغاة والمستبدين. كما تقول زهرة شهبرونورة مهود في مذكرتهما التي قدمتا لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي إلى كلية الآداب واللغات، جامعة الجيلالي بونعامة تحت عنوان "صورة المجتمع الجزائري في روايات العشرية السوداء" تعد روايات أحلام مستغاني مرجعا مهما في دراسة الفترة التسعينية بالجزائر ابتداء بثلاثيتها "ذاكرة الجسد وعابر سرير وفوضى الحواس" وكذا بروايتها "الأسود يليق بك".¹

القضايا الاجتماعية في روايات أحلام:

إن أحلام مستغاني تناولت في رواياتها المختلفة كثيرا من المساوي الاجتماعية علاوة على قضية المرأة كالفقر والمرض والجهل وقلة الغذاء والبطالة المتفشية بين أبناء شعبه والنقص الحاد في عدد المدارس التعليمية وفي عدد المدرسين، وموضوع التصنيع والزراعة وتنمية وبناء الجزائر المدمر والمغامرة الجنسية. ثم تنتقد أحلام مستغاني بعنف أيضا النفاق الاجتماعي في المجتمع الجزائري وغرور الرجل بتمسكه بالشرف ولكنه في نفس الوقت يتباهى برجولته ومغامراته الجنسية بينه وبين أصدقائه، فمع من هو يزني إذن؟ وهذا هو خداع للذات، وهذه هي العقلية الذكورية المتفشية عربيا من المحيط إلى الخليج، وليس فقط في المجتمع الجزائري فحسب. وكذلك صورت أحلام مستغاني ذلك العنف والشدة والإرهاب الذي دخل في المجتمع الجزائري ومزقته ودمرته حتى عم الخوف والدهشة والصدمة والهيب والسلب واللااخلاقية وسار المجتمع إلى الزوال والدمار والخراب، تتداخل صور العنف والإرهاب في رواية "الأسود يليق بك" بقتل والد البطلة "هالة الوافي" من قبل الإرهابيين "ليس من الجيش الذي يقتل الأبرياء بشبهة إسلامهم. بل من الإرهابيين الذين يقتلون الناس بذريعة أنهم أقل إسلاما مما يجب".² الضغوطات الممارسة ضد أخمها قصد إجباره الالتحاق بالجماعات المسلحة في الجبال فقد "أقنعوه بأن يلتحق بالجبال، ليضع خبرته في إسعاف "الإخوة" هناك معالجة جراحهم... لم يستشر أحدا ولا أخبر أحدا بقراره، تحاشى تضرعات أمه ودموعها والغضب العارم لأبيه الذي ما كان يقبل بانحيازه لحزب القتلة".³

¹ زهرة شهبرونورة مهود: صورة المجتمع الجزائري في روايات العشرية السوداء " ص 63.

² الأسود يليق بك، ص 57.

³ نفس المصدر، ص 69.

يقول الحاج بن سراي "صورت أحلام مستغانمي في رواية "عابر سرير" الوضع المزري الذي آل إليه وطن الكاتبة في فترة من أشد فتراته حرجا، فترة المحنة، فيمثل الوطن في حضور النص حقيقة المأساة التي صنعتها أطراف عديدة متشابكة، أشارت إليها الرواية مباشرة دون إحياء أو ترميز بل وضعت عليها اليد متهمة ومدينة إياها".¹ فتعطي هاته الرواية صورة عن وطن منكسر دمرته أيادي داخلية بالتهب والسلب فأصبح لا يحوي إلا الخوف والرعب والإيذاء والتشريد "ترتسم منذ بداية الرواية صورة الوطن المخاوف الذي أصبح العاشقون فيه يخشون على أنفسهم إن حاولوا أن ينعموا باللقيا والمواعد".²

فصار المجتمع الجزائري في هذه الفترة مجتمعا عميقا في العنف والشدة غابت عنه الرحمة والشفقة حتى كانت الحيوانات أرحم فيما بينها من البشر كما يعتبر به السارد في رواية "فوضى الحواس" بنبرة حزن عاتية "هل يمكن لوطن أن يلحق بأبنائه أذى لا يلحقه حيوان بنسله؟ هل الثورات أشرس من القطط في التهامها لأبنائها من غير جوع".³

أجبر هذا العنف والإرهاب كثيرا من الناس أن يتخلوا عن التعليم، ويتعمقوا في الجهالة والبطالة والعطالة والحياة اللامبالاة والمغامرة الجنسية، وأن يهجروا البلد ويلجأوا إلى البلاد الأخرى ليعيشوا حياة النفي والغربة والعزلة والوحدة، كما تخلوا المعلمون والمدرسون عن التعليم والتدريس وعاشوا حياة ساذجة في الأرياف والبوادي، وهكذا وقفت الحركة الثقافية والحضارية وانجمد الفكر والرأي في المجتمع الجزائري في تلك الفترة.

خاتمة البحث:

هذه هي نبذة مختصرة عن المواضيع والقضايا التي تناولتها الكاتبة الروائية الجزائرية في رواياتها وخاصة في ثلاثيتها ذاكرة الجسد، وفوضى الحواس وعابر سرير، وهي صورة المرأة الغارقة في الحب والرومانسية، المعشوقة التي تنتظر لعاشقها وتموت في هيامه، وصورة المرأة المثيرة لكثيرية الأسئلة والمرأة العاجزة عن السلطة الذكورية، لاتحترمها ولا تقبل استقلالها وحريتها، ولاتعطيها حقها في التصرف، وصورة المرأة الخجلة التي تتردد من الخروج من البيت إلى السينما والسوق والجامعة، وصورة المرأة المطلقة التي تحيا حياة العبودية وأكثر عرضة للذئاب بعد الطلاق، والمرأة التي تظهر بصورة الأم وتضحي كل غال ورخيص في سبيل إرضاء زوجها وتربية أولادها، وصورة المرأة المتمردة التي تتمرد على كل التقاليد البالية والعادات القديمة، وتقاوم وتكافح للحرية والاستقلال والحقوق التامة في المجتمع والسياسة. ومعالجة قضية الحب والجنس وقضية الوطن والسياسة بالإضافة إلى إثارة القضايا الاجتماعية المختلفة.

¹ الحاج بن سراي: جليلة الوطن والمنفى في رواية عابر سرير لأحلام مستغانمي، أعمال الملتقى الوطني الثاني في الأدب الجزائري، ص 229.

² نفس المصدر والصفحة ذاتها.

³ عابر سرير، ص 49.

المصادر والمراجع

1. أبونضال، نزيه: الشرط الاجتماعي وقصور الوعي في الرواية النسوية العربية، وزارة الثقافة، عمان، 1997 م.
2. بامية، عابدة أديب: تطور الأدب القصصي الجزائري (1925-1967) ترجمة: خنفر، دايون المطبوعات الجامعية، ط 2، الجزائر، 1982 م.
3. بعلی، خفادي: مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية، منشورات واختلاف الجزائر، ط 1- 2009 م.
4. بنت الشاطئ، عائشة، الخنساء، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1963 م.
5. الدكتور صابر بلول، "التمكين السياسي للمرأة العربية بين القرارات والتوجهات الدولية والواقع"، مجلة جامعة دمشق، المجلد 25، العدد الثاني 2009 م.
6. السيوف، نبيلة فايز، قضايا المرأة بين الهمم والكلام في الرواية النسوية العربية، رسالة الماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2002 م.
7. الغدامي، عبد الله: المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 3، 2006 م.
9. كرام، زهور: السرد النسائي العربي، مقارنة في المفهوم والخطابة، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، ط 1، 2006 م.
10. كرمال منصور: "الخطاب الأدبي النسوي بين سلطنة المتخيل وسؤال الهوية"، مجلة المخبر، العدد 3، قسم الأدب العربي
11. مستغاني، أحلام: أكاذيب سمكة، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، بيروت، 1993 م.
12. مستغاني، أحلام: الأسود يليق بك، نوفل، دمغة الناشر هاشيت أنطوان، بيروت، لبنان، 2012 م.
13. مستغاني، أحلام: الجسد، أدبيات العرب، بيروت، 2013 م.
14. مستغاني، أحلام: الكتابة في لحظة عري، دار الآداب، بيروت، 1976 م.
15. مستغاني، أحلام: ذاكرة الجسد، دار الجيل، بيروت، 1999 م.
16. مستغاني، أحلام: عابر سرير، منشورات أحلام مستغاني، بيروت، 2003 م.
17. مستغاني، أحلام: على مرفأ الأيام، أدبيات العرب، بيروت، 2013 م.
18. مستغاني، أحلام: فوضى الحواس، منشورات أحلام مستغاني، بيروت، 2001 م.
19. مستغاني، أحلام: قلوبهم معنا وقنابلهم علينا، دار الآداب، بيروت، لبنان، سنة الطباعة لم تذكر.
20. مستغاني، أحلام: نسيان دات كوم، نوفل، دمغة الناشر هاشيت أنطوان، الطبعة الثانية، 2014 م.
21. موساوي، آسيا بشير مفتي، "مقالة أحلام مستغاني لا أغفر للذين نهبوا الجزائر"، مجلة الاختلاف، العدد 3، 2003 م، الجزائر.
22. نور سلمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفضي والتحرير، دار العلوم للملايين بيروت 1981 م.
23. طه وادي، صورة المرأة في الرواية العربية المعاصرة، 1971 م.
24. عفيف فراج، الحرية في أدب المرأة، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1975 م.
25. فريدة النقاش، قراءة نقدية في رواية ذاكرة الجسد، العربي، العدد 457، ديسمبر 1996 م.
26. مخلوف عامر، الرواية والتحويلات في الجزائر، من منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق.
27. وجدان عبد الإله الصانع، سلطة النص الآخر في الخطاب الروائي لأحلام مستغاني، مجلة ثقافات الصادرة عن كلية الآداب، جامعة البحرين، العدد 2، ربيع 2002 م.

العودة



كتبتها: سعاد حسن منتو

ترجمة: د. هيفاء شاكري

أستاذة اللغة العربية في الجامعة الملكية الإسلامية، بالهند

تحرك القطار الخاص من أمرتسر الساعة الثانية ظهراً، ووصل بعد ثماني ساعات إلى مغل بورة. قتل العديد في الطريق، وجرح آخرون، وضاع البعض الآخر.

عندما فتح سراج الدين عينيه على أرضية المخيم الباردة الساعة العاشرة صباحاً، وشاهد حوله بحراً متلاطمًا من الرجال والنساء والأطفال، تهاوت قواه أكثر، ركّز نظره على السماء المليئة بالغبار لفترة طويلة. كانت الفوضى تعم المخيم، ولكن أذنا سراج الدين أصابهما الصمم. لم يكن يسمع شيئاً، وإن رآه أحد لظن أنه غارق في تفكير عميق. ولكن الحقيقة كانت غير ذلك. فقد كانت حواسه مشلولة، وكأنه معلق في الفضاء الفارغ.

تصادم بصره مع ضوء الشمس أثناء رؤيته السماء المغبرة، ويكأن الضوء النفاذ تسرب إلى عروقه وشرائينه واستيقظ فجأة. تسابقت على ذهنه صور عديدة، نهب... نار... فوضى... محطة... رصاصات... ليل وسكينة. قام سراج الدين فوراً، وبدأ يبحث كالمجنون في بحر البشر الموجود حوله.

صرخ "سكينة سكينة" لثلاث ساعات كاملة وهو يتخبط في المخيم، ولكنه لم يجد أثراً لابنته الوحيدة الشابة. كانت الفوضى تعم المكان؛ أحدهم كان يبحث عن طفله، وآخر عن أمه، أو زوجته، أو ابنته. جلس سراج الدين في ركن بعد أن تعب كثيراً، وحاول أن يتذكر... متى وكيف

انفصلت عنه سكينه، ولكن تفكيره تحوّل إلى جثة أمّ سكينه وأحشائها الخارجة عنها. لم يكن بإمكانه التفكير أكثر من هذا.

توفّيت أمّ سكينه أمام عينيه، ولكن أين سكينه؟! والتي قالت عنها أمّها قبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة: "اتركني وخذ سكينه واهرب من هنا".

كانت سكينه معه، كانا يجريان حافيي القدمين، ثم سقطت طرحة سكينه، أراد أن يتوقف لرفعها، ولكن سكينه صرخت: "اتركها يا أبي!" ولكنه رفعها، وأثناء هذا التفكير نظر إلى جيب سترته المنفوخ، أدخل يده في الجيب وأخرج قطعة من القماش، إنها طرحة سكينه... ولكن... أين سكينه؟

ضغط سراج الدين على ذهنه كثيرًا، ولكنه لم يصل إلى نتيجة. هل رافقته سكينه إلى المحطة؟ هل ركبت معه القطار؟ وعندما قام الفوضويون بإيقاف القطار، ودخلوه عنوة، هل فقد هو الوعي، حتى تمكنوا من اختطافها؟

كانت الأسئلة تتلاطم في ذهنه، ولكن لم يكن لها أيّ جواب، كان بحاجة إلى مَنْ يعطف عليه، ولكن كلّ الموجودين هناك كانوا بحاجة إلى من يعطف عليهم ويشاطرهم أحزانهم. حاول سراج الدين البكاء ولكنّ عينيه لم تو افقاه، لم يدر أين اختفت الدموع.

بعد ستة أيام وبعد أن عاد إلى سراج الدين بعض صوابه، التقى بأشخاص كانوا مستعدين للمساعدة، كانوا ثمانية من شباب، يملكون سيارة وبنادق، دعا لهم سراج الدين كثيرًا وذكر لهم حياة سكينه: "إنها بيضاء وجميلة جدًّا.. لا تشبهني.. إنما تشبه أمّها.. عمرها حوالي سبع عشرة سنة... عينان واسعتان ... وشعر أسود ... خال أسود كبير على الخد الأيمن ... إنها وحيدتي، أرجوكم

ابحثوا عنها.. جزاكم الله".

تحدث الشباب المتطوعون بكل ثقة وطمأنوا سراج الدين بأن ابنته سكيانة ستكون معه في غضون أيام إن كانت على قيد الحياة.

اجتهد الشبان الثمانية كثيرًا، وخاطروا بالسفر إلى أمرتسر، وأوصلوا العديد من النساء والرجال والأطفال إلى أماكن مأمونة. مرت عشرة أيام ولكنهم لم يجدوا أثرًا لسكيانة.

وفي يوم من الأيام وهم مسافرون إلى أمرتسر لنفس الهدف، وجدوا بالقرب من شهرة فتاة هربت عند سماعها صوت السيارة، أوقف المتطوعون السيارة ولاحقوها حتى أدركوها في وسط مزرعة، كانت جميلة جدًا، خال كبير على الخد الأيمن، قال لها أحد الشباب: "لا تقلقي ... هل اسمك سكيانة؟"

اشتد اصفرار الفتاة، ولم ترد، ولكن عندما طمأنها جميع الشباب، هدأت وأخبرتهم أنها سكيانة ابنة سراج الدين.

اهتم الشباب الثمانية المتطوعون كثيرًا بسكيانة، منحوها الطعام والحليب، ثم جعلوها تركب السيارة. ناولها أحدهم سترته، لأنها كانت منزعة من عدم وجود طرحتها معها، وكانت تحاول عبثًا أن تغطي صدرها بذراعيها.

مضت عدة أيام، ولم يتلقَ سراج الدين أيَّ خبر عن ابنته، كان يقضي اليوم بأكمله وهو يبحث في المخيمات والمكاتب المختلفة، ولكنه لم يجد شيئًا. وكان يدعو لوقت متأخر من الليل لأولئك الشباب المتطوعين الذين طمأنوه بكل ثقة أنهم سيجدون سكيانة خلال أيام قليلة إن كانت حية.

شاهدتهم سراج الدين الشباب في المخيم ذلك اليوم وقد ركبوا السيارة، ذهب إليهم راکضًا،

كانت السيارة على وشك التحرك عندما سأل: "بني! هل من خبر عن سكينه؟

ردّوا جميعاً بصوت واحد: "سنجدها! سنجدها". وتحركت السيارة.

دعا لهم سراج الدين مرة أخرى، وشعري بعض الاطمئنان يحيط قلبه.

وفي المساء، بالقرب من المكان الذي كان يجلس فيه سراج الدين، أحسّ ببعض الفوضى، قدم

أربعة رجال وقد حملوا شيئاً، سأل فأخبروه بأن فتاة مغمى عليها وجدت بالقرب من خط السكة،

وقد جاؤوا بها. لحقهم سراج الدين، سلّمها الناس إلى أصحاب المستشفى وانصرفوا.

وقف لفترة مستنداً إلى العمود الخشي المنصوب أمام المستشفى، ثم دخل المستشفى ببطء،

لم يكن هناك أحدٌ في الغرفة، نقالة متحركة عليها جثة، تقدم نحو النقالة بخطى قصيرة، وفجأة

أضيت الغرفة، وقع بصرُ سراج الدين على الخال اللامع على الوجه الأصفر للجثة، وصرخ:

"سكينه!".

سأل الطبيب الذي كان قد أضاء الغرفة سراج الدين: "ماذا هناك؟"

لم يستطع سراج الدين الرد إلا بقوله: "أنا... نعم أنا... أنا أبوها!".

نظر الطبيب إلى الجثة الملقاة على السرير، تحسّس نبضها، ثم قال: "افتح النافذة".

تحرك جسد سكينه، وبدأت بيديها الخائرتين فتح ربطة سروالها وحركته إلى الأسفل، صرخ

سراج الدين من الفرحة: "إنها حية! ابنتي حية!"

وعندها تصبب الطبيب عرقاً من قمة رأسه إلى أخمص قدميه.



من يسمعني؟

(قصة قصيرة)

إرم زهراء رضوي

باحثة بالجامعة المليية الإسلامية، الهند

سألتها " كيف تجري حياتها بعد الزواج؟" فتجاهلت ثم طرحت عليها نفس السؤال مقترية منها فأعرضت عن الإجابة فازداد حرصي على معرفة ما يجول في داخلها وكررت السؤال حتى نسبت: **"أنا لا أعرف"** فاستغربت من إجابتها. ولو كانت جملة بسيطة ولكن تختفي وراءها قصة كاملة. كانت مع قريبتها زميلاتها اللاتي يشغلن بالتحدث حول موضوعات ترفيهية تصادف انقطاع الكهرباء بإغلاق المراويج والمصابيح فشعرن بشدة الحرارة والاختناق فهرعن بالخروج من الغرفة لينعمن بالهواء الطازج في الفناء وكدت أن أخرج من الغرفة إلى أن وقعت عليها عيني وهي كانت جالسة بالقرفصاء ويمس ذقنها بإحدى ركبتيها وكانت ضائعة في أفكارها وساد عليها الصمت فبادر إلى ذهني ماذا بها؟، لماذا لا تزعجها الحرارة والخنق فتصحين في الخروج للهواء الطازج؟ فدنوت و سئلتها مادحةً "كيف تجري حياتك بعد الزواج؟" فتجاهلت. فأقلقني ما ردت من فعلي. لأن العروسات إما يبتسمن أو يستحيين لما تسألن زميلاتهن مثل هذه الأسئلة. ثم طرحت عليها نفس السؤال ولكن هذه المرة قلقة عليها فأعرضت عن الإجابة فازداد حرصي على معرفة ما يجول في داخلها وكررت السؤال حتى نسبت " أنا لا أعرف" فاستغربت من إجابتها.

فاطمة فتاة بلغت في 17 من عمرها، وهي تقيم في ريف من أرياف أوده، منطقة كبيرة وشهيرة و قديمة تتكون من مدينة لكاناؤوما يجاورها من الكبار مدن أخرى... توفي أبوها بسبب معاناته من

فشل الكبد منذ مدة طويلة فزوجها أشقائها مع ابن عمها خالد البالغ في 28 من عمره والمقيم في مدينة دلهي الذي شغفته حباً امرأة وهي كانت أماً لأربعة أطفال وخائنة مع زوجها، دون أن يعثروا على ارتضاءها بقرار الزواج.

لدى مناسبة حفلة، لقيتها وهي قد عادت إلى بيت أبيها بعد الزواج فمازحت واستفسرت عن زوجها وأعضاء أسرته، فهزتي هزةً عنيفة ما رمت من كلمات مدهشة ولم تكن ترضى بما فعل معها أشقاؤها، فهي كانت شديد الحماسة والرغبة بمواصلة دراستها وضُحيت وراء الحفاظ على الممتلكات العائلية عن طريق قرار الزواج حتى قبل بلوغها إلى العمر الأدنى 18 عام للزواج حسب الدستور الهندي.

كان لجدها ابنان أحمد ومجد فهذه الفتاة كانت بنتاً لمحمد وابن عمها خالد كان من أحمد وورث كل من أحمد ومجد من أبيه ممتلكات واسعة لما مات مجد أبو الفتاة، خشى أبناؤه أن تنتزع عنهم ممتلكاته لأنهم كانوا يسكنون في جنوب الهند بسبب وظائفهم هناك، فبعد وفاة أبيهم اتخذوا قراراً أن يربط زواج شقيقتهم مع ابن عمهم خالد لتستمر العناية بالممتلكات المشتركة تحت رعاية والد خالد ولم يخطر ببالهم حتى مرة أن يكتشفوا بما يجول من عواطف وأحاسيس في داخلها تجاه قرار زواجها مع ابن عمها. وفي الحقيقة كانت هذه الفتاة على معرفة تامة عما يحمل ابن عمها من سوء عريكته وعادته

في الغرفة التي كنا فيها، تصل إلينا أصوات قهقهة الرجال عبر الشبابيك بمن فيهم زوجها. نقيضاً للطبيعة، لا يحلو لها ما يمر من كلمات قريتها بمسمعها لا تهتم برؤيته بل تهمله حتى تؤثر أن تبقى في مكان الخنق والظلم والحرارة. فطريقة سلوكها معي تجاه بعليها أقلقني للغاية فجلست معها فأمسكت يدها بيدي ورفعت ذقنها بلطف ورفقي فرأيت الدموع تنزل من عيونها البرية وسئلتها ما بك

يا حلوتي؟ فأجابت يا اختي لا تتحدث معي عنه هونتُنْ وكريهٌ في عيني هذا الرجل سيء الأخلاق هو

جزاء عفتي وحسن خلقي!

فقلت لها، لم لا رفضت أنت عندما عرض عليك الزواج معه؟ فكان هذا من حَقكِ. فأجابت

بلهجة مليّة بالوجع والدمع يا أختاه! من يسمع للبنات في مجتمعنا، فمن يسمعي؟

يا أيها القارئ العزيز!

*أليس من واجبات ولادة الأمور أن يستكشفوا عن رغبة رضى البنت التي لا تلفظ بالكلماتها

احتراماً لهم وثقة بهم؟

أليس من واجبات ولادة الأمر أن يلاحظوا بدقة النضج الذهني والحسي في أبنائهم وبناتهم؟

هل يتدهور مجتمع إلى درجة أكثر من أن أشياء مادية تافهة فانية تحظى بنت تقضي على أهمية

ما من عواطف ومشاعرو أحاسيس؟

ألم يأت الأوان أن يغير المجتمع مكياليه - أليس للمجتمع مكيالان للتفاعل مع الفتى والفتاة

الذين ارتكبنا نفس الجريمة؟

لأن الفتى سيء الخلق يفصح ويعاني عن جريمة مع الدليل على أنه خطأ وقت بلوغه إلى سن رشد و

سوف يتحسن مع مسؤولياته العائلية في مستقبل ويعتبر متاهلاً ليتزوج من يطيب له من فتيات .

بينما تلصق الفتاة المرتكبة نفس الجريمة "بالسيئة الخلق" وتعتبر جريمتها لا تعاف ويتفاعل

معها المجتمع مفقودة الاحترام والثقة مدى حياتها.

أليس من الواجبات المجتمع أن يراعي الكفو الخلقي بين الزوجين بالإضافة إلى الأكفاء الأخرى ؟

“الخبثاتُ للخبثين والخبثون للخبثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات... إلى أخرى

الآية (الرقم : 26، سورة النور) القرآن الكريم، الجزء الثامن عشر .